

رسائل الإمام علي (عليه السلام)

دراسة بنيوية تكوينية

رسالة قدمتها

عهد ثعبان يوسف الأسدي

**إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل، وهي جزء
من متطلبات نيل درجة ماجستير في آداب اللغة
العربية.**

بإشراف

أ.م.د. قيس حمزة فالح الخفاجي

2008م

1429هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾

صدق الله العلي العظيم
الرعد/11

الإهداء

إلى

الكلمة الباقية

حبا

ومنهجا

شكر وعرفان
من شكر الخلق فكأنما شكر الخالق... هكذا تعلمت، وهكذا سوف أعلم، وبعد.

فمشكورة هي الجهود التي بُذلت لإخراج هذا البحث بهذه الصورة، ومشكورة هي اليد التي مُدَّت في توفير المصادر المهمة التي قام عليها البحث، ومشكورة هي الكلمة المشجعة التي أعانت للوصول بهذا البحث إلى هذه الصورة.

فما عساني إلا أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان لكل من أعانني بقول أو فعل في هذا الجهد المتواضع في حقل بحوث آداب اللغة العربية لغة القرآن والفصاحة، ولاسيما د. عامر عمران الخفاجي الرئيس الحالي لقسم اللغة العربية، ود. علي ناصر غالب الرئيس السابق، وأساتذتي في مرحلة الماجستير؛ د. عباس محمد رضا، ود. عدنان العوادي، ود. هناء جواد عبد السادة، ود. أسعد النجار، ود. أمل الشرع، وأساتذتي في مرحلة البكالوريوس في قسم اللغة العربية بكلية التربية- جامعة كربلاء، ولاسيما د. محمد عبد الحسين الخطيب ود. عباس العامري، والسادة مهندي طارق، وحربي نعيم، ونجاح فاهم، وبشرى ياسين، ثم د. عبد الهادي أحمد الفرطوسي الذي أسهم الحوار معه في إغناء معلوماتي في بعض مفردات البحث، وللسيدين سامر فاضل الأسدي، وإدريس طارق الشريفي، وللأنسة فاتن فاضل، والست هناء إبراهيم.

وأتقدم- للمسوغات نفسها- بالشكر والثناء لزملائي وزميلاتي، ولاسيما موسى خابط، وفاضل عباس (رحمه الله)، وتغريد عبد الأمير، وحوراء عزيز، ونبراس هاشم، وإيمان عبد الحسين، وسهاد محمد باقر، وهدي حسين زوير، وآلاء محمد ثابت، ومجيد عبد الرحمن، ومسلم مالك.

وشكري للعاملين في المكتبات في كربلاء، ومنهم أبو عقيل، وأم فرح، وأبو زيد (رحمه الله)، ومحمود في المكتبة المركزية، ووفاء، ووسام، وإيمان في المكتبة المركزية في جامعة كربلاء، وللعاملين في مكتبة الروضة الحسينية المطهرة. وشكري الموصول بدعائي لوالدي، وإخوتي، وأخواتي؛ لصبرهم ودعائهم، وتقديم يد العون لإخراج هذا البحث بهذه الصورة.

الباحثة

المقدمة

التمهيد

البنائية التكوينية

الصيرورة

والبلورة (الغولد مانية)

الفصل الأول

الرؤية المستقيمة

المصدر الإلهي

والسيرورة

الفصل الثاني

عملية الفهم (التأويل)

الفصل الثالث

عملية الشرح (التفسير)

الخاتمة

المصادر والمراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(رسائل الإمام علي عليه السلام) - دراسة بنيوية تكوينية) التي قدمتها الطالبة (عهد شعبان يوسف الأسدي) قد جرى بإشرافي في كلية التربية - جامعة بابل، وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير في آداب اللغة العربية.

الإمضاء:
أ. م. د. قيس حمزة الخفاجي
(المشرف)
التاريخ : / / 2008

بناءً على التوصيات المتوافرة، أرشّح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء:

أ. م. د. د. عامر عمران الخفاجي
(رئيس قسم اللغة العربية)
التاريخ : / / 2008

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة بأننا قد اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ(رسائل الإمام علي عليه السلام) - دراسة بنيوية تكوينية التي قدمتها الطالبة (عهد ثعبان يوسف الأسدي)، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها، وفي ما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة ماجستير في آداب اللغة العربية بتقدير).

الإمضاء :

أ.م.د. ثائر سمير الشمري

(عضواً)

التاريخ : / /

الإمضاء :

أ.م.د. أمل عبد الجبار الشرع

(عضواً)

التاريخ : / /

الإمضاء :

أ.م.د. قيس حمزة الخفاجي

(عضواً ومشرفاً)

التاريخ : / /

الإمضاء :

أ.د. شاكر هادي التميمي

(رئيساً)

التاريخ : / /

صادق مجلس كلية التربية في جامعة بابل على قرار لجنة المناقشة.

الإمضاء :

أ.م.د. لؤي عبد الهاني السويدي

(عميد الكلية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وخاتم النبيين أبي القاسم محمد بن عبدالله، وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وبعد.

فنظرا للأهمية الكبيرة التي يعطيها المنهج النبوي التكويني للنص وللنظرة الشمولية له، ولسياقه، ونظرا للأهمية الأدبية والدينية والتاريخية والاجتماعية لرسائل الإمام علي(ع)، وبتوجيه من المشرف على هذا البحث، الأستاذ المساعد الدكتور قيس حمزة الخفاجي الذي اقترح الموضوع(رسائل الإمام علي(ع)) والمنهج النقدي(النبوية التكوينية) ليتكون منهما عنوان هذا البحث (رسائل الإمام علي(ع)- دراسة بنوية تكوينية)، فقد ارتأيت أن أتصدى للقيام بهذه العملية النقدية على هذا النص التراثي الذي يحمل سمة إنسانية من حيث الرؤية والمبادئ والغايات، للكشف عن الرؤية المهيمنة في رسائل الإمام علي(عليه السلام)، والمحركة لفكره في أوجهه جميعها ولاسيما الدينية والأدبية والسياسية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية، وعن الرؤى المعارضة التي تصل معارضتها في بعض الفئات الدينية إلى مرحلة التضاد.

وقد واجهتني صعوبات متعددة؛ أولها ومنبعها الرئيس هو الظرف الأمني الذي يعيشه بلدنا الحبيب العراق، والذي حدد حركتي، بين المحافظات بحثا عن مصادر ومراجع مفيدة، وحدد حركة الآخرين في إيصال تلك المصادر والمراجع إلى أماكن يمكن الوصول إليها... ولولا عون الله سبحانه وتعالى، واليد المخلصة للعلم ولطريقه لما أنجز هذا البحث. ومن الصعوبات أيضا جدة الحقل الذي اشتغلت عليه؛ وهو الرسائل، في حقول الدراسة النبوية التكوينية الأمر الذي استدعى وقتا ليس بالقليل للاقترب من كيفية الاشتغال النبوي التكويني، ولاسيما أنني ما زلت في بداية طريقي في الدراسات النقدية الحديثة.

وبعد تمثل الاشتغال النبوي التكويني ما استطعت من التمثل، في حقول النقد والرواية والشعر، تم تقسيم مادة البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

اشتغل التمهيد على(النبوية التكوينية- الصيرورة والبلورة الغولدمانية)، ليعطي الخطوة الأولى والمفتاح الرئيس للدخول إلى ساحة الاشتغال النبوي التكويني في النقد الأدبي الحديث. فتابع صيرورتها وأثر لوسيان غولدمان في بلورتها، وأهم ما يميزها عن غيرها، تاركا ما يتصل بمواد الفصول إلى المحاور النظرية التي تم افتتاح الفصول بها؛ لكي تكون قريبة مكانا وعلاقة من محاورها التطبيقية.

ولكي نحقق الخطوة الثانية كان لا بد من أن يشغل الفصل الأول على (الرؤية المستقيمة- المصدر الإلهي والسيرورة) لتضع المتلقي على الخط نفسه، ولكي يتدرج مع البحث شيئا فشيئا نحو الهدف المنشود جني ثمرته في الفصل الثالث، من غير أن يستعجل الحصول على ثمار الدراسة النبوية التكوينية في الفصل الأول، أو على ثمار ناضجة في الفصل الثاني. فاشتغل مشكلا سياقيا كبيرا يمكن أن يُشارك المتلقي في تصور ما كان متاحا للإمام علي(ع) تمثله وتشكيل البنية الذهنية على أساسه، ومن ثم الانطلاق منه في القول والفعل، وذلك من خلال محورين؛ محور نظري يتمحور حول البنيات الذهنية في التنظير النبوي التكويني، ومحور تطبيقي يتمحور

حول الرؤية المستقيمة ومصدرها الإلهي وسيرورتها بوساطة تمثل الأنبياء وأتباعهم المخأصين منذ بداية خلق آدم(ع) حتى نصل إلى نزول القرآن وانتشار الدين الإسلامي. ولذلك كانت مساحة التعليق وإبداء الرأي محدودة، فالمهم هو تجسيد السياق أمام المتلقي؛ لأن غياب هذا السياق (أو تغييبه أو تجاهله) يؤدي إلى عدم اتضاح الصورة المرسومة للرؤية، وقد يؤدي ذلك إلى انقطاع التواصل بين المتلقي ومادة البحث، ولأن حضوره يعني - فيما يعني - عدم الحاجة إلى تنبيه المتلقي على تفاصيل كثيرة في الفصلين الثاني والثالث، يستطيع هو أن يلتقطها بسهولة ويجد مناطق الربط بين ما سيذكر في هذا الفصل وما يذكر في الفصلين التاليين. ولذا فما سيذكر هنا ليس استعراضا تاريخيا دينيا، وإنما هو متابعة قد تكون تفصيلية أحيانا للسياق المراد بسطه أمام نظر المتلقي، ورسم دائرته الكبيرة أمامه.

وفي هذه الدائرة الكبيرة توجد دائرتان واحدة منهما داخل الأخرى - كما هو مرسوم في نهاية المقدمة - خاصتان بعمليتي الخطوات الإجرائية للمنهج التكويني. اختص الفصل الثاني بالدائرة الأصغر صابًا الاهتمام على النص المدروس نفسه؛ وهو رسائل الإمام علي(ع)، فكانت عملية الفهم(التأويل) مادة هذا الفصل الذي تشكل من محورين أيضا؛ محور نظري يشتغل على ما توافر من مادة في التنظير النبوي التكويني حول هذه العملية وما يرتبط بها، ومحور تطبيقي انصب على رسائل الإمام علي بن أبي طالب(ع) حصرا. ولذلك تطلب الجانب التطبيقي عدم العودة إلى المصادر والمراجع - إلا في حالات معينة - والاعتماد على بسط مادته على وفق البنى وعناصرها التي تتشكل منها تلك الرسائل، بغية كشف رؤية العالم التي تمثلها الإمام علي(ع)، والبنية الدلالية التي تضمنتها البنية التركيبية لتلك الرسائل.

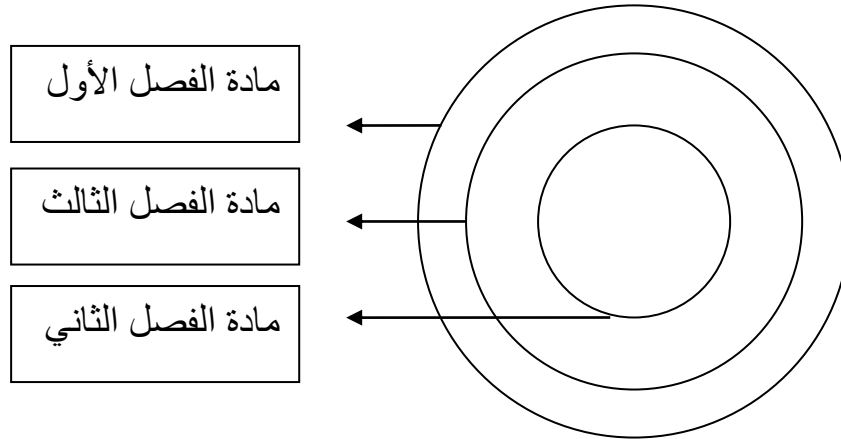
واختص الفصل الثالث بالدائرة متوسطة الحجم التي تكشف التناظر والتماثل بين البنية الذهنية المكشوف عنها في الفصل الأول، ورؤية العالم المكشوف عنها في رسائل الإمام علي(ع) في الفصل الثاني من جهة، والواقع الخارجي الذي ولدت الرسائل في أجوائه من جهة ثانية. ولذلك كانت عملية الشرح(التفسير) مادة لهذا الفصل الذي تشكل من محورين أيضا؛ محور نظري يشتغل على ما توافر من مادة في التنظير النبوي التكويني حول هذه العملية وما يرتبط بها، ومحور تطبيقي انصب على ربط رسائل الإمام علي(ع) بالسياق الذي كتبت فيه، واكتشاف ذاته(ع) المتجاوزة للفردية. وتطلب ذلك الكشف عن تجلي هذا الربط وذلك التناظر، الاستناد إلى رسائل أفراد من الفئة التي تمثلها الإمام(ع)، وإلى رسائل أفراد من الفئات الأخرى التي يقع بعضها على الطرف المضاد من موقع فئة الإمام(ع) وأتباعه، بما يبعث في نفس المتلقي ما تلقاه في الفصل الأول والفصل الثاني وما تلقاه من رسائل الإمام(ع) نفسه، في عدد من مفردات الفصل الثالث نفسه، لا على سبيل التكرار، وإنما على سبيل الإحساس بأهمية الأفكار في تلك الرسائل، وبطريقة اشتغالها، وبتأثيرها في الإمام علي(ع)، وفي الأفراد الآخرين، وفي الواقع الحاف بإنتاج تلك الرسائل، ولا على سبيل سرد عدد من النصوص الدينية والتاريخية، وإنما على سبيل توضيح الرؤية المستقيمة عند الإمام(ع) وأتباعه، وتوضيح الرؤية المختلفة عند أعدائه. ويتطلب هذا الأمر من المتلقي أن يذهب مع سعي البحث واتجاهه إلى ما

خلف الواجهات الدينية والتاريخية ليتلمس تنوعات الفكر المحرك للواقع الإسلامي في ذلك الوقت.

ولكل بحث أكاديمي خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها، وهذا ما تم السعي إليه في خاتمة هذا البحث.

وإذا ما أقدم شكري لأستاذي الأستاذ المساعد الدكتور قيس حمزة الخفاجي بوصفه أحد أساتذتي في مرحلة الماجستير، فأنا- هنا، في مقدمة هذا البحث أيضا- أقدم شكري إليه بوصفه المختار لعنوان هذا البحث، والمشرف عليه، الذي وجه أفكاري في دراسة هذه الرسائل التي تعد أرضا بكرًا للدراسة البنيوية التكوينية، والذي تحمل مشقة المتابعة التفصيلية لمفردات البحث، وتوجيهاته الداخلية، وتقسيماته المنهجية، وقدم ما أمكنه من مصادر ومراجع مهمة أفدت منها كثيرا في تشكيل ملامح البحث وخط سيره.

وفي خاتمة هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أقول أنني بذلت قصارى جهدي في إخراج هذا البحث، مدفوعة برغبة إيمانية في أن أقدم ما استطعت، خدمة نقدية أدبية لأدب الرسائل عموما، ولرسائل صاحب نهج البلاغة ثانيا... ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ {هود/88}.



الباحثة

أولاً: تبلور البنية التكوينية:

اتفقت آراء عدد كبير من الباحثين على أن لوسيان غولدمان⁽¹⁾ هو الذي تبلورت على يديه البنية التكوينية⁽²⁾ بشكل واضح في النقد الأدبي، مفيداً ممن سبقه. فقد أفاد كثيراً من الناقد المجري الهنغاري جورج لوكاتش⁽³⁾ (1885-1971) الذي التقى به عام 1944، وأعجب كثيراً بكتبه (الروح والأشكال)، و(نظرية الرواية)، و(التاريخ والوعي الطبقي)⁽⁴⁾؛ لأنه "وجد فيها أقانيمه الجمالية الثلاثة، [...] الشكل والبنية والشمولية"⁽⁵⁾، فصار المنبع الفكري له، ولا سيما في تحديد منهجه البنيوي التكويني⁽⁶⁾. ولذلك "عقد لوسيان غولدمان لواء السوسيولوجيا الأدبية والبنوية التوليدية لجورج لوكاش"⁽⁷⁾.

ورأى باحثون أن تبلور البنية التكوينية كان على يد لوكاتش وغولدمان معاً⁽⁸⁾، وأن تطوير غولدمان لما أنجزه لوكاتش في نقده للرواية وتاريخه لها، كان "تعميقاً لهذا التيار السوسيولوجي الذي يربط ربطاً عضوياً بين العملية الإبداعية والظاهرة الاجتماعية في مختلف تجلياتها وتطورها"⁽⁹⁾.

وفي (الروح والأشكال) ربط بين الإبداع والواقع المعيش، وفي (نظرية الرواية) تشديد على أن الرواية نتيجة فنية لوعي متميز للتاريخ؛ ولذا لم يهتم لوكاتش بتحليل

(1) لوسيان غولدمان:

ولد في بوخارست عام 1913، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية بدأ بتحضير إجازة في الحقوق. وتعرف الفكر الماركسي، واحتك به عام 1933، بوساطة بعض مفكره وممثلي بعض اتجاهاته ومدارسه. وقام في باريس عام 1934 بتحضير دكتوراه في الاقتصاد السياسي، وفي أثناء وجوده في كلية الحقوق في السوربون حصل على إجازة في الأدب الألماني، وأخرى في الفلسفة، وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأ في باريس بتحضير أطروحة دكتوراه في الآداب. وأنجز عام 1945 أطروحة دكتوراه في الفلسفة عن (كانت) بعنوان (الجماعة الإنسانية والكون لدى كانت). ونشر كتابه (العلوم الإنسانية والفلسفة) عام 1952، وكتابه (أبحاث جدلية) عام 1959 (وقيل 1958)، وكتابه (من أجل سوسيولوجيا الرواية) - أو كما يترجم (نحو علم اجتماع للرواية) أو (نحو اجتماعية القصة) أو (من أجل علم اجتماع روائي) - عام 1964، ونشر عام 1970 كتابه (البنى الذهنية والإبداع الثقافي) الذي شدد فيه على (التماثل) بين بنية الرواية الحديثة وبنية اقتصاد السوق فاتحاً بذلك أفقاً جديدة لفهم النص الأدبي، و(الماركسية والعلوم الإنسانية) الذي شدد فيه على العلاقة القائمة بين المجتمع والثقافة، ووضع فيه أسسها. وتوفي في صيف 1970.

لمزيد من المعلومات، ينظر على سبيل المثال لا الحصر: في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان، د. جمال شحيد: 9، 13-16، 28، والتحليل الاجتماعي للأدب، السيد يس: 22-24، واتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، نهاد التكرلي: 57-58، ونظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل: 128، وفي معرفة النص- دراسات في النقد الأدبي، د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد): 295-296، وعصر البنية- من ليفي شتراوس إلى فوكو، أدبث كيرزويل، ت. جابر عصفور: 273، والمذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي، محمد شبل الكومي: 206، ودليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي: 42.

(2) ينظر: في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 9.

(3) ينظر: م. ن: 14، 75، والعلوم الإنسانية والفلسفة، لوسيان غولدمان، ت. ديوسف الأنطكي: 27.

(4) في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 75.

(1) ينظر: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر: 58.

(2) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 187.

(3) ينظر: محمد مندور وتنظير النقد العربي، د. محمد برادة: 20، والمذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 186.

(4) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 178، وتنظر: 186.

النص الروائي وبيان خصائصه، بقدر اهتمامه بمتابعة الوعي التاريخي المنبعث منه⁽¹⁾.

وقد ارتبط غولدمان بلوكاتش على المستوى التاريخي الاجتماعي⁽²⁾، وسار على نهجه "في رفضه مفهوم العلاقة البسيطة والمباشرة بين مضمون العمل الأدبي وبين الإيديولوجيا الخفية التي تتحكم في فكر الفئات الاجتماعية وسلوكها، وكذلك المصالح والأهداف والآمال التي تسعى إلى تحقيقها، فهو يبحث عن بنيات الإيديولوجيا المتبلورة والمتجسدة في العمل الأدبي، ليقابلها بالبنيات الاجتماعية بحيث يستطيع تعريف طبيعة العمل ووظيفته، وفي الوقت نفسه طبيعة الإيديولوجيا الاجتماعية السائدة وأثرها في فكر الناس وسلوكهم"⁽³⁾.

وكذلك أفاد إفادة كبرى من الفيلسوف والعالم النفسي جان بياجيه (1896-1980) الذي وثقت علاقة غولدمان به إداريا وعلميا، بعد أن توسط في عام 1943 للإفراج عنه حينما سجنه النازيون عام 1942⁽⁴⁾، وارتبط به فيما بعد على المستوى المعرفي⁽⁵⁾.

ومن هنا شرع غولدمان بالتفكير بإمكانية إجراء تقارب بين الفكر الماركسي الذي تشرب به، والنظرية التكوينية للمعرفة التي أعطاها جان بياجيه صفتها المميزة، وحين قام بذلك أعجب جان بياجيه بتلك المحاولة⁽⁶⁾. ولذلك وجدنا من يرى أن أكبر ممثلين للمدرسة البنائية التي تطلق على نفسها التوليدية، هما جان بياجيه وغولدمان، "إذ يقدم الأول تصورا نظريا متكاملا عن البنية، بينما يتولى الآخر تطبيق هذا التصور في مجال الدراسة الاجتماعية للأدب"⁽⁷⁾، وأن أفكار بياجيه كانت "تمثل الأرضية الانثروبولوجية لأبحاث جولدمن التي استوعبها إلى حد الإشباع ولاسيما تلك التي تتعلق بالعلوم الإنسانية من حيث هي دراسة للظواهر التي تنشأ عبر سلسلة من العمليات التي تشترك فيها الذات الجماعية خلال مدة طويلة من الزمن. وبعبارة أخرى فإن الظواهر الاجتماعية لا تنشأ بشكل فوري، وعلى ذلك فإن من الخطأ أن تدرس هذه الظواهر دون أن نعود بها إلى البنية الشمولية الدالة التي هي نشاط تلقائي يزاوله الأفراد دون وعي أو بوعي خالفين بذلك مثل هاتيك البنى"⁽⁸⁾.

ويرى بياجيه في محاولة أولى لتعريف البنية "أنها نظام من التحولات يتضمن قواعد خاصة- كنظام- بمعنى أنها تختلف عن خصائص العناصر المكونة لها، وتتم المحافظة عليه أو إثراؤه من خلال لعبة التحولات نفسها التي لا تتجاوز حدود النظام

(5) ينظر: في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 75.

(6) ينظر: م.ن: 119.

(7) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 204.

(1) ينظر: في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 13-14، والتحليل الاجتماعي للأدب: 22.

(2) ينظر: في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 119.

(3) ينظر: م.ن: 14.

(4) نظرية البنائية في النقد الأدبي: 128.

(5) مقالات ضد البنية، جون هال وأخران، ت: إبراهيم خليل: 24.

ولا تلجأ لعناصر خارجية عنه، وعلى هذا فإن البنية تتضمن ثلاث خصائص هي الشمول والتحول والتحكم الذاتي⁽¹⁾.

وأشار عبدالله الغدامي إلى مفهوم البنية عند بياجيه مفيدا مما كتب عنه، قائلا: طرح بياجيه للبنية "تعريفا يكاد يشفي غليل كل متطلع إلى تعريف محدد. وذلك حين قال إن البنية تنشأ من خلال (وحدات) تتقمص أساسيات ثلاث هي: 1- الشمولية. 2- التحول. 3- التحكم الذاتي"⁽²⁾.

ثم ذكر ما يبين التفصيلات، بقوله: "فالشمولية تعني التماسك الداخلي للوحدة، بحيث تصبح كاملة في ذاتها، وليست تشكيلا لعناصر متفرقة، وإنما هي خلية تنبض بقوانينها الخاصة التي تشكل طبيعتها وطبيعة مكوناتها الجوهرية [...]. ولذا فالبنية تختلف عن الحاصل الكلي للجمع؛ لأن كل مكون من مكوناتها لا يحمل نفس الخصائص إلا في داخل هذه الوحدة. وإذا خرج عنها فقد نصيبه من هاتيك الخصائص الشمولية"⁽³⁾. وينتج عن ذلك أن "البنية غير ثابتة، وإنما هي دائمة (التحول) وتظل تولد من داخلها بنى دائمة التوثب. والجملة الواحدة يتمخض عنها آلاف الجمل التي تبدو جديدة، مع أنها لا تخرج عن قواعد النظم اللغوي للجمل. وهذا (التحول) يحدث نتيجة (لتحكم ذاتي) من داخل البنية. فهي لا تحتاج إلى سلطان خارجي لتحريكها"⁽⁴⁾.

ومفهوم البنية عند غولدمان ينطلق من تصور بياجيه لها، "الذي يرى أن البنية توجد عندما تتمثل في العناصر المجتمعة في كلٍّ شامل، بعض الخصائص المميزة، ولكنه يأخذ على أستاذه أنه يقصر مفهوم البنية على المظهر الثابت، بينما تعتبر عمليات التوازن بدورها أبنية نشطة يتعين على الباحث في كل مجال على حدة أن يحدد طبيعتها ويرصد حركتها. ثم يستخدم جولدمان مصطلح البنية مضافا عليه مدلولات متعددة طبقا للسياق الذي يرد فيه"⁽⁵⁾. فغولدمان يقصد بالبنية في دراساته عن باسكال وراسين وغيرهما "النظام أو الكل المنظم الشامل لمجموعة من العلاقات بين عناصره؛ هذه العناصر التي تتحدد طبقا لعلاقاتها داخل الكل الشامل، ولكنه يستخدم البنية في كتابه (نحو اجتماعية القصة) بمفهوم الشكل القصصي أحيانا، والنظام الداخلي للقصة أحيانا أخرى، ثم يقرن هذا المفهوم الأخير بالبنية الفكرية والاجتماعية للعصر"⁽⁶⁾.

(6) نظرية البنائية في النقد الأدبي: 128.

(1) الخطيئة والتكفير - من البنيوية إلى التشريرية، د. عبدالله محمد الغدامي: 32، وتنتظر ترجمتان أخريتان لكلام بياجيه كله هنا، وللکلام الوصف للتعريف، في: البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكر، ت: مجيد الماشطة: 13، وفيه (فكرة الكلية، وفكرة التحول، وفكرة الانتظام الذاتي)، وفي: مغامرة المنطق البنيوي- البنيوية كما هي، إبراهيم محمود: 38- 39. وفيه (الجملة، والتحويلات، والضبط الذاتي).

(2) الخطيئة والتكفير - من البنيوية إلى التشريرية: 32.

(3) م.ن: 32، وينظر عن البنية وتعدد دلالاتها: مشكلات فلسفية (8) مشكلة البنية، د. زكريا إبراهيم: 8، 17، 32، 33.

(1) نظرية البنائية في النقد الأدبي: 131.

(2) م.ن: 131.

ثانيا: فكر (غولدمان) و(الإله الخفي):

تجلى فكر غولدمان والمنهج الذي اتبعه، في كتابه المهم (الإله الخفي)- أو كما يترجم أحيانا (الإله المختفي)- الصادر عام 1955⁽¹⁾، وقيل عام 1956⁽²⁾، الذي يعد أنضج الكتب التي عالجت الأدب والفكر الفرنسيين في القرن السابع عشر⁽³⁾، والذي "أثار ضجة كبيرة؛ إذ إنه كان أول عمل رائد في النقد الحديث في فرنسا"⁽⁴⁾، وإنه- كما يرى بعضهم- "يمثل لأول مرة مرجعا في علم الاجتماع الأدبي"⁽⁵⁾. وهذا الكتاب هو أطروحته للدكتوراه في الآداب، وعنوانه الكامل هو (الإله الخفي- دراسة للرؤية المأساوية في خطرات باسكال ومسرح راسين)⁽⁶⁾.

قام القسم الأول من هذا الكتاب على دراسة الرؤية التراجيدية من خلال إطار ثلاثي (الله والعالم والإنسان)؛ ليكون مدخلا مناسباً للقسم الثاني الذي اختص بدراسة الحركة (الجانسينية) وإيديولوجيتها، وقام القسم الثالث على دراسة أفكار باسكال ومسرح راسين⁽⁷⁾. والفكرة الرئيسية التي انبنى عليها الكتاب هي أن الوقائع الإنسانية تكون دائما أبنية كلية ذات دلالة تتسم بأنها عملية ونظرية وانفعالية على السواء، وأن هذه الأبنية لا يمكن دراستها إلا من خلال منظور عملي مؤسس على مجموعة معينة من القيم⁽⁸⁾. وبعبارة أخرى: تقوم الفكرة المحورية لهذا الكتاب- كما يقول غولدمان نفسه- "على أن الحقائق ومنها الإنسان، تسعى إلى التشكل من تلقاء نفسها على الدوام في بنية شاملة ودالة، وهذه البنية تكون في المكان والزمان المعينين بنية واحدة على الصعيد النظري والتطبيقي والانفعالي. والبنى المتعددة لعصور مختلفة وأماكن متباعدة، يمكن دراستها بطريقة دالة أيضا"⁽⁹⁾.

ولما كان الإنتاج الأدبي والفكري والفلسفي، تبلورا - من منظور غولدمان- لوعي طبقي معين، فإنه يبدأ بتحليل الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للطبقة التي نشأت فيها (الجانسينية) كي يتمكن بعدئذ من تحليل رؤية هذه الطبقة للعالم⁽¹⁰⁾. وتتضح أهمية هذا الكتاب في المنهج التطبيقي البنوي الذي اتبعه مؤلفه فيه بغية الوصول إلى "فهم العمل الأدبي والفلسفي بواسطة البنية الذهنية الجماعية"⁽¹¹⁾، وتتضح في أن المحاولة التطبيقية في هذا الكتاب، التي "فتحت آفاقا جديدة لفهم النص

(3) ينظر: التحليل الاجتماعي للأدب: 23، والمذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 187.

(4) ينظر: في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 15، وفي معرفة النص- دراسات في النقد الأدبي: 296.

(5) ينظر: في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 15.

(6) م.ن: 15، وينظر: المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 187.

(7) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 187.

(8) ينظر: في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 15.

(1) ينظر: التحليل الاجتماعي للأدب: 24. و(الجانسينية) حركة دينية فرنسية، نشأت حوالي عام 1640م، ودخلت في صراع مع باقي الحركات الدينية، وقد استندت إلى تعاليم جانسينون (1585-1638) الذي أدانت الكنيسة أفكاره. ينظر: م.ن: 24.

(2) ينظر: م.ن: 23، ومقالات ضد البنوية: 23، والمذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 187.

(3) مقالات ضد البنوية: 23- 24.

(4) ينظر: في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 65.

(5) م.ن: 15.

الأدبي" (1)، تتمثل في رؤية البنى كما تتجلى في أرفع الأعمال الأدبية والفنية من خلال المنظور التاريخي (2).

ويتجلى منهجه بصورة واضحة في القسم الأول منه، إذ يبين مؤلفه العلاقة بين الكلية والجزئيات، ويؤكد استحالة فهم الجزئيات من دون وضعها في إطارها العام، وظهورها مشوهة إن لم يتم ذلك الوضع في الإطار العام (3).

وقد كشف غولدمان في هذا الكتاب "عن وجود علاقات تصل بين تراجيديات راسين، وفلسفة باسكال، والحركة الدينية الفرنسية المسماة بالجنسينية، [...] والمجموعة الاجتماعية المسماة (بنبلأ الرداء) [...] فنظرة الحركة الجنسينية إلى العالم مأساوية" (4). وقد تم له ذلك من خلال تطبيقه منهجيته البنيوية التكوينية المتضمنة لمفهوم (رؤية العالم) في دراسته هذه (5)، واستطاع أن يكتشف "الوحدة الإيديولوجية القائمة في عالم كل من باسكال وراسين" (6)، من خلال تشديده على تحليل داخلي يعالج فيه "الوضع الاجتماعي الذي نشأت فيه نظرة العالم المأساوية، كما يدرس الطبقة الاجتماعية التي تبنت هذه النظرة وعلاقتها بالمجتمع الفرنسي ككل وبحركة التاريخ الشاملة في فرنسا" (7).

ثالثا: البنيوية التكوينية والتاريخ الاجتماعي:

من توجه غولدمان ولاسيما في كتابه (الإله الخفي)، تبين أن البنيوية التكوينية عنده تحاول "البحث عن العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي-الاقتصادي الذي سبق تكوينه، ولا ينظر إلى هذه العلاقات على أنها مجرد تساق أو توازن بسيط بين بنية الأثر الأدبي وبين شروط إنتاجه، الاجتماعية والاقتصادية، وإنما يعتبرها اندماجا تدريجيا بين سلسلة من الجمل أو الكليات totalities النسبية" (8).

ولذلك كانت "الفرضية المبدئية لما يدعوه غولدمان البنيوية التكوينية هي أن السلوك البشري سلسلة من الأجوبة أو الردود ذات الدلالة على مواقف تواجهها الذات، وتحاول أن تقيم نوعا من التوازن بينها وبين العالم المحيط بها. ولكن تلك المواقف تتغير بتغير الظروف المحيطة بها مما يدعوها إلى إقامة توازنات جديدة تستجيب للمواقف الطارئة" (9)، وبعبارة أخرى "تنطلق البنيوية التكوينية باعتبارها تصورا علميا للحياة الإنسانية، من الفرضية التالية: كل سلوك وكل فكر يعتبران محاولة لتقديم جواب دال عن وضعية محددة يعيشها أفراد فئة اجتماعية معينة بشكل يجعلهم يصطدمون بنفس المشاكل والعوائق ويحلمون بنفس المثالات والمطامح. كما

(6) م.ن:9.

(7) ينظر: مقالات ضد البنيوية:24.

(1) ينظر: في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:51.

(2) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي:205.

(3) ينظر: م.ن:205، وتأصيل النص- المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان، محمد نديم خشفة:12.

(4) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:26.

(5) م.ن:26.

(6) تأصيل النص- المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان:9-10، وينظر: التحليل الاجتماعي للأدب:9.

(1) تأصيل النص- المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان:55.

أن هذا السلوك من جهة ثانية يعتبر محاولة لخلق توازن بين الذات والموضوع المفعول⁽¹⁾.

ولا بد من التنبيه على أمر غاية في الأهمية؛ هو "أن التكوين أو التوليد هنا لا يتضمن أي بعد زمني يعيد الشيء المدروس إلى تاريخ ولادته ونشأته. فالبعد الزمني في هذه الشأن ثانوي جدا"⁽²⁾. ولذلك "فإن البنية التي يأخذ بها غولدمان ترتبط بالأعمال والتصرفات الإنسانية، إذ يكون فهمها محاولة لإعطاء جواب بليغ عن وضع إنساني معين لأنها تقيم توازنا بين الفاعل وفعله، أو بين الأشخاص والأشياء. فصفة (تكوينية) أو (توليديّة) هنا تعني (الدلالية)، دون الرجوع إلى النشأة بالضرورة"⁽³⁾. وبسبب من هذا الإيحاء رأى بعض الباحثين أن الاطلاع الواسع لغولدمان على الفلسفة الألمانية، أهله "لابتكار منهجية جديدة من الدراسة الأدبية تدعى (السوسيولوجيا الجدلية للأدب) ولكنه اتباعا للموضة الشائعة أسماها (البنيوية التكوينية)"⁽⁴⁾.

وانطلاقا من تشديد البنيوية التكوينية على الجانب الدلالي، شددت على "أن كل تصرف إنساني (أو ربما حيواني) له طابع دلالي، أي يمكن ترجمته إلى لغة معنوية كمحاولة لحل مشكلة علمية"⁽⁵⁾.

أصبحت هناك - إذا - حقيقة "مسلمة عند غولدمان، وهي أننا لا نستطيع أن نعزل أي عمل أو أية مسألة أو نظرية من السياق الثقافي الذي نشأ فيه هذا العمل وترعرع وتطور ضمنه [...] وأن كل مسألة يجب فهمها من خلال الإطار العام المحيط بها، أو من خلال تاريخ المجتمع الذي نشأت فيه"⁽⁶⁾.

وبناء على هذا، رأى بعض الباحثين في البنيوية التكوينية ملامح مدرسة "تعتمد التأويل الداخلي للنص بغية الوصول إلى فهم أعمق وأدق للمجتمع والتاريخ والحضارة"⁽⁷⁾، مستعينة بسعيها "إلى تحقيق وحدة بين الشكل والمضمون، وبين حكم القيمة وحكم الواقع، بين التفسير والفهم"⁽⁸⁾، واضعة في مقدمة أولوياتها أنها "تحاول أن تحلل البنية الداخلية لنص من النصوص لربطه بحركة التاريخ الاجتماعي الذي تجلى فيه"⁽⁹⁾، من حيث إنها تعد العمل الفني "تعبيرا أدبيا عن بنيات اجتماعية وتصورات مشكّلة بواسطة الظروف التاريخية والاقتصادية"⁽¹⁰⁾.

وعلى هذا يؤدي التاريخ "دورا أساسيا في البنيوية التكوينية"⁽¹¹⁾، شريطة أن يفهم على أنه ذو "أبعاد ثلاثة؛ هي: الماضي والحاضر والمستقبل"⁽¹⁾.

(2) العلوم الإنسانية والفلسفة: 15، وينظر: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان وآخرون: 44.

(3) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 77.

(4) م.ن: 77، وتنتظر: 78.

(5) تأصيل النص- المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان: 9.

(1) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 119.

(2) م.ن: 76-77.

(3) مقالات ضد البنيوية: 17.

(4) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 46.

(5) نظرية البنائية في النقد الأدبي: 128.

(6) البنيوية والنقد الأدبي، جورج مونان وآخران، ت: محمد لقاح: 52.

(7) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 79.

ومن ثم يؤكد غولدمان أن أبرز المسائل التي يجب أن "يتصدى لها الباحث في العلوم الإنسانية معرفة ما إذا كان الأفراد وحدهم هم الذين ينتجون البنى الذهنية والفكرية أم أنها نتاج التحولات التي تطرأ على البنى. إن البنية التكوينية تصر على أن هذه البنى هي الجانب الجماعي من فكر الإنسان أو إحساساته وعاداته الخلقية التي لا يمكن دراستها في منأى عن التاريخ"⁽²⁾.

والعمل الأدبي على ذلك "لا يعبر عن مؤلف فرد، وإنما عن الجماعة التي ينتمي إليها الأديب ويعبر عن رؤيتها للعالم سواء بطريقة شعورية أو لاشعورية"⁽³⁾. وهذا ما جعل غولدمان يرى "بأن التاريخ لا يمكن أن يفهم ويشرح إلا من خلال فاعل(صانع) جماعي أو فرد تجاوز فرديته"⁽⁴⁾.

ومن ثم فإن من الاكتشافات الأساس للبنوية التكوينية أنها لا ترى الفاعل في النص الأدبي فردا، بل جماعيا، أو فردا تجاوز فرديته⁽⁵⁾، وأن هذا الفاعل الجماعي أو الفرد الذي تجاوز فرديته يمكن أن يتراوح عدده بين شخصين اثنين وعدة ملايين⁽⁶⁾.

ويربط غولدمان بين الإنسان والتاريخ ربطا يرفض فيه التوجهات النقدية السائدة في عصره، من خلال تشديده على "أن البنية أو اللغة أو علاقات الإنتاج لا يمكن أن تكون بمثابة فاعل. الفاعل الوحيد الممكن هو الإنسان الذي يصنع التاريخ، في إطار بنى ولغات وعلاقات إنتاج معينة. وما التاريخ من هذا المنظور إلا محصلة الممارسة التي تؤديها الجماعة البشرية"⁽⁷⁾.

رابعاً: البنية التكوينية والحقول المجاورة:

ما دامت البنية في المذهب الإيديولوجي(المتمثل هنا بالبنوية التكوينية) لا تفهم "بحد ذاتها خارج حدود الزمان والمكان، وإنما من خلال تطورها وتحركها وتفاعلها وتنافرها داخل وضع محدد زمانيا ومكانيا"⁽⁸⁾، فقد دفع هذا التصور غولدمان وعددا من الباحثين إلى كشف افتراق البنية التكوينية عن الحقول المجاورة، وعليه فقد أكد "غولدمان أن هناك فرقا كبيرا بين البنية التكوينية وسوسيولوجية المضامين والأشكال. ففي الثانية يظهر العمل الفني كانعكاس حتمي للمجتمع والوعي الاجتماعي، بينما يكون عاملا أساسيا من عوامل هذا الوعي الجماعي، في البنية التكوينية"⁽⁹⁾.

(8) م.ن:79.

(1) مقالات ضد البنية:25.

(2) التحليل الاجتماعي للأدب:170، وينظر: في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:140.

(3) في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:79، وينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنوية تكوينية، محمد بنيس:335.

(4) ينظر: في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:119.

(5) ينظر: م.ن:130.

(6) م.ن:80.

(1) في البنية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:76.

(2) م.ن:79.

ولما كان للبنوية في الدراسات الأدبية اتجاهان؛ هما الاتجاه الشكلي (البنوية الشكلية)، والاتجاه الإيديولوجي (البنوية التكوينية)⁽¹⁾، فالمقارنة بينهما تكشف عن أن من الفروق الجوهرية بينهما "أن البنوية الشكلية ترى جزءا أساسيا من البنى، ولكنها تهمل الوضع التاريخي الذي تبلورت فيه، مما يفقدها إمكانية فهم المضامين بشكل كاف. أما البنوية التكوينية فإنها تهدف مبدئيا إلى الوصول إلى المعنى التاريخي دون إغفال دور الفرد فيه. وهذا يجعلها تحقق وحدة بين الشكل والمضمون (ذي البعد التاريخي)"⁽²⁾. بعبارة أخرى إن "البنوية التكوينية التي نادى بها غولدمان تفهم النص كحدث اجتماعي، بينما البنوية الشكلية [...] ترى أننا لا نستطيع أن نفهم دون الاعتماد على بناء اللغوية فقط"⁽³⁾.

وقد تجسد الفرق الرئيس بين المنهج البنيوي التكويني والمنهج الآخر، في عدّ "الإبداع تعبيراً عن فئة اجتماعية محددة اجتماعيا وتاريخيا"⁽⁴⁾، لانطلاق هذا المنهج من حقيقة نقدية تتمثل في أن البنوية التكوينية "إيديولوجية ولها تصور للعالم يركز على المادية الجدلية والتاريخية"⁽⁵⁾.

خامسا: مبدأ البنوية التكوينية:

تقوم البنوية التكوينية على مبدئين؛ "المبدأ الأول- كما يقول غولدمان- ينحصر في الفكرة التالية: إن أول معاينة عامة يركز عليها الفكر البنيوي التكويني تكمن في أن كل تأمل في العلوم الإنسانية يحدث لا من خارج المجتمع، بل إن هذا التأمل جزء- تقل أو تكثر أهميته حسب الوضعية بطبيعة الحال- من الحياة الثقافية لهذا المجتمع، ومن خلالهما، للحياة الاجتماعية العامة. بالإضافة إلى أن التكوين الخاص للفكر، وبالمقياس نفسه، حيث إن الفكر جزء من الحياة الاجتماعية، يغير قليلا أو كثيرا- حسب أهميته، وفعاليته- هذه الحياة الاجتماعية نفسها"⁽⁶⁾.

والمبدأ الثاني يظهر في قول غولدمان: "إن الفكرة الثانية الأساسية لكل علم اجتماع جدلي تكويني هو أن الأفعال الإنسانية أجوبة شخص فردي أو جماعي، تؤسس محاولة لتغيير وضعية معطاة في اتجاه ملائم لتطلعاته. وهذا يعني أن كل سلوك، وبالتالي كل فعل إنساني، له خاصية دالة ليست دائما واضحة، ولكن الباحث يجب عليه عن طريق عمله إظهارها"⁽⁷⁾.

ويعلق محمد بنيس بعد ذلك قائلا: "فهذان المبدآن يوضحان كل الخطوات العملية التي ينهجها البنيوي التكويني في قراءته لكل مظاهر السلوك، أو الفعل الإنساني، في

(3) ينظر: م.ن:74.

(4) م.ن:79.

(5) م.ن:93.

(6) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية:335.

(7) في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:76.

(1) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية:333، وينظر: في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:119.

(2) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية:333، وينظر: في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:119.

مرحلة من مراحل الثانوية وهما يحددان العلاقة الجدلية الموجودة بين القراءة الداخلية والقراءة الخارجية لكل عمل أدبي، ومدى تفاعلها؛ لأن كل داخل في حاجة لخارج يفسره"⁽¹⁾.

سادسا: من آراء البنيوية التكوينية:

- من بين الآراء التي تمخضت عن توجه غولدمان:
- "إن مشكلة الفن لا تقتصر على معرفة الوسائل الفنية التي طورها الكاتب، وإنما لماذا استعمل هذه الوسائل ولم يستعمل غيرها للتعبير عن نظريته للعالم"⁽²⁾.
- "إننا لا نستطيع أن نفهم جوهر الجمال، بمعزل عن العالم الخارجي، ذلك أن فكرة الجمال بحد ذاتها لها خلفية وجودية تاريخية، وليست فقط تصويرية بحتة"⁽³⁾.
- "يجب على الناقد الواعي- إن وجد هناك تأثرا أو تأثيرا- أن يتساءل عن سببه الثقافي والاجتماعي والإيديولوجي"⁽⁴⁾.
- "الانعكاس- كما يوضحه غولدمان- غير مباشر؛ لأن العمل الأدبي هو الصورة الذاتية للعالم الواقعي"⁽⁵⁾.

(3) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية:333.

(1) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:43.

(2) م.ن:76.

(3) م.ن:83.

(4) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية:340.

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
5-1	المقدمة.
19-6	التمهيد: البنوية التكوينية- الصيرورة والبلورة (الغولدمانية).
11-7	أولاً: تبلور البنيوية التكوينية.
13-11	ثانياً: فكر (غولدمان) و(الإله الخفي).
16-13	ثالثاً: البنيوية التكوينية والتاريخ الاجتماعي.
17-16	رابعاً: البنيوية التكوينية والحقول المجاورة.
18	خامساً: مبدأ البنيوية التكوينية.
19	سادساً: من آراء البنيوية التكوينية.
87-20	الفصل الأول: الرؤية المستقيمة- المصدر الإلهي والسيرورة.
33-21	المحور النظري.
87-34	المحور التطبيقي.
50-34	أولاً- اجتباء رجل.
52-50	ثانياً- الاستقامة في التوراة والإنجيل.
57-53	ثالثاً- النبي محمد(ص).
62-57	رابعاً- السياق العربي العام وبعثة النبي(ص).
68-62	خامساً- الاستقامة في القرآن الكريم.
69-68	سادساً- الاستقامة في فكر عدد من المسلمين.
83-69	سابعاً- الإمام علي(ع).
87-83	ثامناً- الاستقامة والوسطية.

144-88	الفصل الثاني: عملية الفهم (التأويل).
92-89	المحور النظري.
144-93	المحور التطبيقي.
97-93	أولاً) = البنية الرؤيوية.
111-97	ثانياً) = البنية الدينية- الأدبية.
127-111	ثالثاً) = البنية الأدبية- النوعية.
115-112	أ) البسمة.
117-115	ب) السلام.
119-117	ت) المرسل.
123-119	ث) المرسل إليه.
127-123	ج) الرسالة.
128-127	رابعاً) = البنية الدينية- السياسية.
132-128	خامساً) = البنية الاقتصادية.
134-132	سادساً) = البنية العلمية.
136-134	سابعاً) = البنية الأخلاقية.
137-136	ثامناً) = البنية النفسية.
137	تاسعاً) = البنية العقائدية.
139-138	عاشراً) = البنية الإعلامية.
141-139	حادي عشر) = البنية الإدارية.
144-141	ثاني عشر) = البنية التاريخية- الاجتماعية.
218-145	الفصل الثالث: عملية الشرح (التفسير).
156-146	المحور النظري.

218-157	المحور التطبيقي.
163-157	أولاً= السمة الجمعية.
180-164	ثانياً= من أبرز أعلام فئة المنتجبين وأتباعهم.
197-180	ثالثاً= الناكثون وحرب الجمل.
208-197	رابعاً= القاسطون وحرب صفين.
218-208	خامساً= التحكيم والخوارج.
221-219	الخاتمة.
236-222	المصادر والمراجع.
A-B	ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية.

المحور النظري:

انطلاقاً من قول غولدمان: "إذا أردت أن أشرح خاطرة لباسكال توجب علي الرجوع إلى جميع خواطره وفهمها. ولكن ينبغي أن أشرح نشأتها، وعندها أضطر إلى الرجوع إلى الحركة الجانسينية، وأستطيع أن أفهم الجانسينية بربطها بطبقة نبلاء الرداء وهكذا دواليك"⁽¹⁾، وتأسيساً على أنه "لا يمكن فهم أحد المؤلفات إلا بوضعه في سياقه الاجتماعي والتاريخي"⁽²⁾، فإننا سنقوم باستحضار السياق الذي نشأت فيه رسائل الإمام علي(ع).

ولما كان على الباحث الجاد - من وجهة نظر البنيوية التكوينية- "أن يقيم علاقة قوية بين النص وسياقه الشامل"⁽³⁾، بغية اكتشاف الوعي التاريخي ومتابعته، فإننا سنسعى إلى صب الاهتمام على ذلك السياق الذي نتصور أنه سيكون شاملاً من الزاوية التي نهتم بها، ولا سيما الصفة الفكرية له.

ومعلوم - من وجهة نظر البنيوية التكوينية- أن "الرؤية الجماعية للعالم التي تعيشها المجموعة بشكل طبيعي و(لا مباشر) تؤثر في الفرد(الكاتب المبدع)"⁽⁴⁾.

وعليه فإن متابعة السياق الشامل ستسهم - كما نرى- بشكل فاعل في اكتشاف تلك الرؤية الجماعية، وفي متابعة تأثيرها في أكثر من فرد من أفراد المجموعة سواء على مستوى المرحلة التاريخية الواحدة، أو المراحل التاريخية المتعاقبة، على أن نضع في الحسبان أن صبغة المراحل التي نهتم بها وبحدودها، هي صبغة دينية واضحة ولا يمكن أن تكون طبقة اجتماعية، من حيث إن الدين لا ينحصر في طبقة من طبقات المجتمع، وأن(رؤية العالم) تعني عند غولدمان "منظومة من التطلعات والمشاعر والأفكار التي تجمع بين أعضاء طائفة أو طبقة أو قطاع، وتضعهم في معارضة أو مواجهة أو تناقض مع الطوائف الأخرى"⁽⁵⁾.

وتشديداً على فعل(المواجهة) نفتبس ترجمة أخرى للنص نفسه مع التنبيه على أن بحثنا يفيد من لبّ الفكرة البنيوية التكوينية، ولا يسعى إلى التطبيق المدرسي للفكرة نفسها، جاء فيها: "إن الرؤية للعالم هي بالتحديد هذا المجموع من الطموحات، من المشاعر والأفكار التي تضم أعضاء مجموعة(وفي الغالب طبقة اجتماعية) وتواجهها بمجموعات أخرى"⁽⁶⁾.

وهذه الرؤية تتضح "في الروح المشتركة أو السمات العامة التي تطبع الأعمال الأدبية والفكرية ببصمتها المتميزة"⁽⁷⁾، ولذلك تعد(رؤية العالم)- بما تعتمد عليه من قيم- "صلب فكرة البنية التي تقاس بها الأعمال الأدبية عند جولدمان"⁽⁸⁾.

(1) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:45.

(2) تأصيل النص- المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان:22.

(3) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان:75.

(4) م:ن:38.

(5) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي:205، وينظر: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر:62-63.

(1) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي:56.

(2) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي:205.

(3) نظرية البنائية في النقد الأدبي:132.

مثل هذا التصور يؤكد أن مقولة (رؤية العالم) التي تحدث عنها غولدمان ما هي إلا "النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق النتاج"⁽¹⁾، وأنها "ليست واقعة فردية بل واقعة اجتماعية تنتمي إلى مجموعة أو إلى طبقة"⁽²⁾، وأن تلك الرؤية "نسق من التفكير يفرض نفسه، في بعض الشروط، على زمرة من الناس توجد في أوضاع اقتصادية واجتماعية متشابهة، أي على بعض الطبقات الاجتماعية. [و]قلة هم الأشخاص الذين يعون كلية هذا النسق الفكري إلا أن كل واحد يعيه بطريقة أو بأخرى وذلك في حدود كافية لتكوين رابطة من المشاعر والأفكار والأفعال تقرب هؤلاء الناس بعضهم إلى البعض، وتجعلهم يعارضون الطبقات الاجتماعية الأخرى"⁽³⁾. وعليه فإن "مبدعي النتاج الفني ليسوا هم الأفراد بل هي المجموعات الاجتماعية، الطبقات التي هم أجزاء منها"⁽⁴⁾. وهذا التعريف لـ (رؤية العالم) عند غولدمان قريب من تعريف (إيديولوجيا) عند محمد برادة، إذ قال: "نقصد بـ (إيديولوجيا) المعنى الواسع الذي يشمل مجموع الأفكار والمعتقدات، وطرائق التفكير المميزة لفئة ما، مثل أمة، أو طبقة، أو مهنة، أو حرفة، أو حزب سياسي... الخ"⁽⁵⁾، ولذلك نظر إلى هذه (الإيديولوجيا) على أنها تعبير عن قيم كونية⁽⁶⁾، وأنها إذا أصبحت (إيديولوجيا) مسيطرة، فإنها ستسيطر على الأدوات الثقافية، ومن ثم تظهر بنية شكل جمالي خاصة بها⁽⁷⁾.

وليس هذا المفهوم (لإيديولوجيا) ببعيد عن مفهوم فلسفي لها يرى أنها "تعبير عن علاقة البشر بعالمهم. أعني (وحدة) علاقتهم الواقعية، وعلاقتهم المتخيلة، بظروف معيشتهم الواقعية"⁽⁸⁾. وبناء على ذلك بدت (رؤية العالم) "حلقة وسيطة بين الطبقة الاجتماعية والأعمال الأدبية. فالطبقة تعبر من خلال رؤيتها للعالم، وهذه الرؤية تعبر عن نفسها عبر العمل الأدبي"⁽⁹⁾.

وصار من المعروف أن العلاقة الأساس القائمة بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي، لا ترتبط عند غولدمان "بمضمون هذين المجالين في الواقع الإنساني، وإنما ترتبط فقط بالبنى الذهنية، أي ما يمكن تسميته بالمقولات التي تنظم الوعي التجريبي الذي تتمتع به فئة اجتماعية معينة، والعالم الخيالي الذي يخلقه الكاتب"⁽¹⁰⁾، أي أن الارتباط بين البعدين الاجتماعي والشخصي – كما يرى غولدمان – "لا يمس إلا البنى الذهنية، أي المقولات التي تسيّر المجموعة والفرد في آن. فالبنى الذهنية ذات بعد

(4) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 48، وينظر: تطور المناهج الاجتماعية في النقد الأدبي، د. عبد الهادي الفرطوسي: 34.

(5) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 34.

(6) م.ن: 15.

(7) م.ن: 45.

(1) محمد مندور وتنظير النقد العربي: 170.

(2) ينظر: م.ن: 170.

(3) ينظر: في معرفة النص- دراسات في النقد الأدبي: 76، والمرأي المحدث- من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة: 194.

(4) مشكلات فلسفية (8) مشكلة البنية: 246.

(5) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 67.

(6) م.ن: 29، وينظر: المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 189-190.

اجتماعي، ولا تمت بصلة إلى تصور الفنان ونواياه الواعية وغير الواعية الإيديولوجية أو الفردية، وإنما ترتبط بما يراه ويحسه ويعايشه فيكون عندئذ جزءاً من كل⁽¹⁾. وهذا هو أهم ما في الأمر... أن يكون جزءاً من كل... مع التسليم "بأن الأدب لا يمكن أن ينفصل تماماً عن الإيديولوجية التي هي تعبير عن الوعي الجماعي"⁽²⁾. وقد توسع غولدمان في تحليل الفاعل الثقافي، فإذا به جماعي أساساً، أو كما يحب أن يكرر - "فردى تجاوز فرديته. أي أنه مائل في الجماعات البشرية والطبقات الاجتماعية التي تمارس دورها السياسي والثقافي في آن واحد"⁽³⁾. فهو يرى أن "الفاعل ليس هو الفرد؛ وإلا ترتب على ذلك قبول التفسيرات النفسية؛ بل إن مجموع الأعمال الإنسانية لطائفة اجتماعية ما تتميز ببيئة هي التي تحدد دورها أي عمل صادر عن هذه الطائفة، وفاعلها الحقيقي إنما هو الجماعة لا الفرد[...]" وبهذا الشكل لا بد من الأخذ بمبدأ الفاعل الجماعي"⁽⁴⁾.

وشاع في النقد أن "لهذا التصور أهمية كبرى في مجال الإبداع الثقافي؛ لأن الناس درجوا على اعتبار الإنتاج الثقافي أعمالاً فردية وربطوه بالضمائر الشخصية لمنتجيه، مع أن هذه الضمائر تتوقف في حقيقة الأمر على تجارب وممارسات الفاعل الجماعي حيث تندمج فيما بينها وتكون بنيتها المشتركة"⁽⁵⁾.

ولذلك ظهر تشديد على أن "تجربة الفرد ليست إلا وجهاً جزئياً في الإبداع؛ إذ إن المبدع الحقيقي هو (النحن)، هو الذات الجماعية التي تلائم رؤيتها للعالم بنية العمل الفني"⁽⁶⁾. يقول غولدمان في هذا الصدد: "إن الفرد، هذه الوحدة الفاعلة والمبينة (بفتح الياء) التي تسمح بمعرفة ذات دلالة، لفعل الناس، أو لطبيعة أو معنى العمل الذي ندرسه، ليس فرداً، وإنما هو حقيقة فوق فردية، إنها تتصل بفئة إنسانية"⁽⁷⁾.

وهذه العملية التي تدرج "الفرد في كلية سوسيولوجية لا تتطوي على تذويب لهذا الفرد، وإنما هي عملية هدفها أن تجد له موقفاً في قلب المجتمع لا على الهامش"⁽⁸⁾، ولذلك يقول غولدمان: "إنني لا أنكر على الفنان قدراته على الخلق، ولكني أقول ببساطة إن الفنان يخترع عمله الفني من خلال المعطيات الفنية التي يشارك في صياغتها الآخرون"⁽⁹⁾. ومثل هذا التوجه، دعا إلى القول إنه "ليس هناك عمل فكري هام يمكن أن يكون تعبيراً عن خبرة فردية خالصة"⁽¹⁰⁾.

(7) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 78.

(1) مقالات ضد البنيوية: 18.

(2) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 28.

(3) نظرية البنائية في النقد الأدبي: 189.

(4) م.ن: 189.

(5) العلوم الإنسانية والفلسفة: 11.

(6) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية: 335.

(1) مقالات ضد البنيوية: 41.

(2) م.ن: 37.

(3) التحليل الاجتماعي للأدب: 33. ويمكن أن نعرف دلالة مصطلح (المصطفين)، من خلال قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران/ 33-34، وقوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرُكُونَ﴾ النمل/ 59، وقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج/ 75، ويمكن أن نعرف دلالة

وعليه سنسعى إلى اكتشاف البنية الذهنية لدى الفئة التي كان الإمام علي(ع) جزءا منها، ونضع في الحسبان أنها ليست فئة اجتماعية، أو طبقة، أو مؤسسة، وإنما فئة دينية، يمكن أن نطلق عليها فئة(المنتجبين وأتباعهم).

والدين – كما هو معروف- مقياس فئوي، ليس مع من يؤمن به إيماننا كاملا كـ(المصطفين) و(المنتجبين) فقط، وإنما مع من هم أدنى درجة منهم كـ(أتباعهم)، ومع من هم أدنى منهم بدرجات كثيرة، فـ"تصنيف الطبقات اعتمادا على المصالح المادية وحدها لا يكفي لشرح الانحرافات السياسية والانتماءات الإيديولوجية، فهناك قبل كل شيء، عنصر الدين الذي يشمل ويوجه جميع الاتجاهات، ولو ظاهرا على الأقل"(1). والدين من وجهة نظر علماء الاجتماع معرفة علمية، والوحي كذلك عندهم معرفة علمية(2).

ومما يدفعنا أكثر نحو السعي بهذا الاتجاه، هو "أن تجربة الفرد وحده هي قصيرة ومحدودة جدا بحيث لا تستطيع أن تخلق مثل هذه البنية الذهنية؛ إذ لا تستطيع هذه البنية إلا أن تكون نتيجة النشاط المشترك الذي يقوم به عدد مهم من الأفراد وجدوا أنفسهم في حالة مماثلة"(3).

ومن دلالات هذا الأمر أن الأبنية العقلية- وهي أبنية المقولات الدالة- ليست ظواهر فردية، وإنما هي ظواهر اجتماعية، خاصة عند التعامل معها من منظور أكثر تجريدا، منظور يثبت أن الفرد في حد ذاته لا يستطيع أن يمتلك مثل هذه البنية العقلية بوصفها ظاهرة اجتماعية، بل هو مجرد وحدة أو عنصر من العناصر المشكلة لهذه الظاهرة(4).

ومعرفة الفرد تعود "إلى معرفة الفئة المجتمعية التي ينتمي هذا الفرد إليها. ويعني ذلك أن الفئة المجتمعية، في اعتبارها فئة معرفية، هي مولدة المعرفة وحاملتها وخازنتها ومكتسبتها. وعلى هذا الأساس، تتعدد الفئات المجتمعية في المجتمع الواحد"(5).

ومن هنا صار من غير الممكن "اختزال الفئة المجتمعية، وبالتالي الفئة المعرفية، إلى مجرد تجميع بسيط لأفراد يتشابهون في متغيرات معينة. فالمعرفة من هذا المنظار، تعني الحركة الذهنية العامة، فتقترب من كونها نظاما متكاملا من العادات الذهنية وتبتعد عن كونها رأيا يبداه الفرد أو معتقدا يؤمن به أو سلوكا يسلكه أو موقفا يتخذه. كما أن الآراء والمواقف والأفكار والمعتقدات تتغير ضمن المعرفة الواحدة، ولا يعني تغيرها، في الضرورة، استبدال معرفة بأخرى"(6).

(المنتجبين) من خلال قراءة ما جاء في: لسان العرب: مادة(ن ج ب): "(المنتجَب): المختار من كل شيء، وقد انتجب فلان فلانا إذا استخلصه، واصطفاه اختيارا على غيره".

(4) محمد مندور وتنظير النقد العربي: 175-176.

(5) ينظر: الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع- دراسة في فلسفة العلم(الابستمولوجيا)، عبدالله إبراهيم: 126.

(1) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 29.

(2) ينظر: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 45، وتطور المناهج الاجتماعية: 34-35.

(3) الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع- دراسة في فلسفة العلم(الابستمولوجيا): 125.

(4) م: 126.

ورأي غولدمان بهذا الأمر يتلخص "في أن الإنسان بنية، وهذه البنية حصيلة عناصر مادية ليست من صنعه ولكنها تأتي إليه وتمر عبره مؤدية إلى تكوين رؤيته للكون"⁽¹⁾، وهذا يؤكد أن "البنية الكلية تصوغ بنى الأفراد"⁽²⁾، وأنه "لا يوجد وعي يستطيع أن يعبر عن نفسه دون أن يكون ملتحما على نحو ما بالوعي الشامل"⁽³⁾.

وعليه فإننا سنسعى إلى اكتشاف الوحدة (الإيديولوجية) القائمة في عالم الإمام علي(ع)، من خلال معالجة الوضع الديني بارتباطاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك، الذي نشأت فيه (الرؤية المستقيمة)، ودراسة الفئة الدينية التي تبنت تلك الرؤية، وعلاقتها بالمجتمع الإنساني كله، وبحركة التاريخ الإنساني ولاسيما في الجزيرة العربية وما حولها.

وسنضع نصب أعيننا وصية غولدمان للنقد الأدبي ألا يغفل - وهو يتبنى منظورا واسعا- "دراسة السيرة الذاتية ونفسية الفنان"⁽⁴⁾، كي لا يغفل عن دراسة السيرة الذاتية للإمام علي(ع) ونفسيته بما لا يتقاطع مع طريق البحث البنيوي التكويني، مستنيرين بإضاءات من نتاج الإمام علي(ع) نفسه، أو من الدراسات التي اشتغلت في حقله، أو درست شخصيته بصورة متنوعة، وبإضاءات من سيرة أفراد الفئة التي يمثلها.

وسنحاول أن ننطلق من سيرة الإمام علي(ع) من حيث إن "الانطلاق من سيرة الكاتب أمر جيد؛ لأنه يسمح بفهم أفضل للأعمال الكبيرة حقا، من خلال التجربة التي كمنت وراء ظهورها"⁽⁵⁾، ومن حيث إن "سيرة الكاتب قد تكون لها أهمية كبيرة، ومن واجب مؤرخ الأدب أن يفحصها بعناية ليرى في كل حالة خاصة، ما يمكن أن تمده به من تعاليم وشروح.. لكن يتحتم عليه ألا ينسى أبدا، عندما يتعلق الأمر بتحليل أكثر عمقا، أن السيرة لا تعدو أن تكون عاملا جزئيا وثانويا، وأن الجوهر هو العلاقة بين العمل الأدبي، وبين الرؤيات للعالم التي تقابل بعض الطبقات الاجتماعية"⁽⁶⁾.

واستنارة بما عرفناه عن الإمام علي(ع) كما تجلى في نصوصه، فإننا لن نتشبت كثيرا في متابعة مفردات سيرته الذاتية خارج نصوصه، مع الإيمان- من غير تطرف- بـ"أنه كلما كان العمل تعبيراً صادراً عن مفكر أو عن كاتب عبقرى، [...] أمكن فهمه في ذاته بدون أن يلجأ المؤرخ إلى سيرة الكاتب أو إلى نواياه؛ ذلك أن الشخصية الأكثر قوة هي التي تتطابق بكيفية أفضل مع حياة الفكر، أي مع القوى الجوهرية للوعي الاجتماعي في مظاهره الفعالة والمبدعة. وعلى العكس من ذلك عندما يتعلق الأمر بفهم وتفسير نقط الاختلال والضعف في عمل أدبي أو فكري،

(5) مقالات ضد البنيوية:33.

(6) م.ن:34.

(1) مقالات ضد البنيوية:45.

(2) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي:48.

(3) م.ن:30.

(4) م.ن:16.

نكون في معظم الأحيان، مضطرين إلى اللجوء إلى فردية الكاتب وإلى الظروف الخارجية لحياته"⁽¹⁾.

نقول: من غير تطرف؛ لأننا لسنا في حقل التاريخ، وإنما في حقل البحث الأدبي المتسلح بالبنوية التكوينية، ونحتاج إلى وقائع مفصلة- جهد الإمكان- لما ورد مجملًا في النصوص الأدبية، أو لغيره؛ ومكان تلك الوقائع المفصلة هو السيرة والكتب الدينية والتاريخية والأدبية... ولأننا "في حالة دراسة إنتاج أديب معين نحتاج إلى سبر هوية (السياق) الرئيسي للكاتب لنعرف من ذلك كيف نفسر نصوصه، ونرتبها داخل سياقها العام وهو السياق الأدبي الموروث، وسياقها الخاص وهو مجموع أعمال الأديب الذي أنتج نصوصا تداخلت مع بعضها في علاقات متشابكة لا يمكن سبرها وتمييزها إلا بمعرفة (سياقها) وتمييز شفرتها"⁽²⁾.

وعلى أن ننتبه على أن إهمال مقولة (الفاعل)، الذي شاع في الدراسات البنوية الشكلية، يضيع علينا - كما يرى غولدمان- "فرصة فهم النص من وجهة نظر اجتماعية وتاريخية. إذ يجب أن يكون خلف كل جملة في النص فاعل لا يجوز نسيانه والإغفال عن دوره، إذا أردنا أن نفهم النص بشكل إنساني؛ لأن الإنسان هو المحرك الوحيد للتاريخ. ففي نظره هناك صلة وثيقة بين النص والفاعل والتاريخ"⁽³⁾. وعلى أن ننبه على أن الإنسان (الفاعل) الذي نتعامل معه في بحثنا هذا، مرتبط بالإرادة الإلهية وتوجيهاتها (المحركة) للمجتمع، وهو الإمام علي (ع)، وأن نصه هو الرسائل ذات الصبغة الدينية المهيمنة، وأن التاريخ الذي سنهتم بمتابعته هو تاريخ الأديان ولاسيما التاريخ الإسلامي.

هكذا يتضح لنا أن علينا أن نحاول الكشف في الفصل الأول عن البنية الذهنية المشكّلة للإمام علي (ع)، بينما نحاول الكشف في الفصل الثالث عن البنية الذهنية المتشكّلة في نتاج الإمام علي (ع)، وعن علاقتها بالبنيات الأخرى في المجتمع الإسلامي وقتذاك؛ لأن "الواقع الإنساني برمته لا يمكن إدراكه إلا من خلال بنى أو أبنية عقلية"⁽⁴⁾، بما يكشف عن مقدار تمثله للرؤية المستقيمة وتجسيده لها لغويا.

ومرد ذلك- كما نرى، وكما ثبتنا ذلك في البداية بترجمة أخرى- "أن العلاقة بين حياة المجتمع والخلق الأدبي لا تتصل بمضمون هذين القطاعين من الواقع الإنساني عموما، وإنما تتصل بالأبنية العقلية أساسا، وتتبلور من خلالها، وهو ما يسميه جولدمان بالمقولات أو المفاهيم التي تشكل الوعي الحياتي لمجموعة اجتماعية بعينها، بالعالم التخيلي الذي يخلقه الأديب"⁽⁵⁾.

وقد سار غولدمان في هذا الاتجاه؛ لأن العمل الأدبي- فيما ترجح عنده- "هو التعبير عن رؤية للعالم، عن نمط من الرؤية والإحساس بعالم ملموس من الكائنات

(1) البنوية التكوينية والنقد الأدبي: 19.

(2) الخطيئة والتكفير - من البنوية إلى التشريحية: 11.

(3) في البنوية التكوينية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 92.

(1) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 189.

(2) م. 189-190، وينظر: في البنوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 67، وتطور المناهج الاجتماعية في النقد الأدبي: 34.

والأشياء"(1). وعليه سنهتم بتلك البنية العقلية، من حيث إنها "هي أساس الحياة الإنسانية والاجتماعية بكل تجلياتها المادية والفكرية والإبداعية"(2).

بناء على ما تقدم، وعلى أننا لا نستطيع – كما يرى غولدمان- "أن نفهم البنية الدلالية بشكل معمق إلا إذا ربطناها ببنى أوسع كالبنية الذهنية ورؤى الطبقات الاجتماعية للعالم والبنية الاجتماعية الاقتصادية التي تفرزها حقبة تاريخية معينة"(3)، أثرنا تقديم هذه الصورة الموجزة عن البنية الذهنية المشكّلة لوعي فئة إسلامية مهمة؛ وهي فئة (المنتجبين وأتباعهم) التي بينت الوقائع المتنوعة أنها ترتبط- كما سيتوضح ذلك في الصفحات التالية- ارتباطاً قوياً بفئة (المصطفين) وبالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

والوضع التاريخي والديني لفئة (المنتجبين وأتباعهم) يدعونا إلى الاهتمام بالأثر الناتج عن نزول القرآن الكريم، من حيث إن الإسلام كان "تأسيساً لرؤيا جديدة ونظام جديد، فهو تحول بالقياس إلى ما قبله، غير أنه ثبات بالقياس إلى ما بعده. غير أن للثقافة العربية نشأة مزدوجة: جاهلية وإسلامية، وبما أن الإسلام نهاية أو خاتمة الرؤيا العربية (والإنسانية) للحياة والكون، فقد فسرت البداية في ضوء الدين الإسلامي، بحيث إن النهاية صارت هي نفسها البداية"(4).

ولا شك في أن القرآن الكريم يمثل "القوة المركزية الفاعلة والمؤثرة في الثقافة العربية الإسلامية؛ ذلك أنه المصدر الذي تنبثق عنه الرؤية الدينية للوجود، وهو الخطاب المتعالي بنسيجه الدلالي والأسلوبي، وتركيبه اللغوي المخصوص. ويليه الحديث النبوي الشريف الذي يكتسب وجوده وأهميته من حيث كونه مفصلاً لذلك المجمل. فالعلاقة بين القرآن الكريم والحديث علاقة حاشية بمتن، وهما يصدران عن رؤية واحدة، ويهدفان إلى نظام فكري واحد"(5).

ولوضع المتلقي في بؤرة الاشتغال، لا لغرض الاستباق، نقول: بدا لنا- كما سيتضح- أن تلك الرؤية الواحدة هي (الرؤية المستقيمة)، "وبما أن القرآن تضمن رؤية محددة للوجود، واستكشف ما مضى من الوقائع والأحداث وتنبأ بما سيأتي، فإن الحديث، بحكم علاقته بالقرآن، انطوى على الرؤية ذاتها، فإن مركزية (الوحي) ممثلة بالقرآن والحديث، استندت إلى قوة خاصة، جوهرها الرؤية الدينية للعالم منذ خلقه إلى فنائه، وضمن مسيرة العالم هذه رتبت الرؤية الدينية شؤون الخلق؛ الفكرية والاجتماعية والتاريخية... إلخ، ومن ذلك فإنها انبثاق أحلت الوحدة محل التشتت، وأقصت مظاهر الضياع التي سبقت لحظة انبثاق تلك الرؤية"(6).

ولنا على فكرة الانبثاق تحفظ من حيث إن الوحدة كانت موجودة ولكنها مهمشة، وإن التشتت- كما سيتضح في الصفحات اللاحقة- هو الذي كان مهيمناً.

(3) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 49.

(4) المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي: 190.

(5) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 83.

(1) الثابت والمتحول- بحث في الإتيان والإبداع عند العرب 1- الأصول، أدونيس: 35.

(2) التلقي والسياقات الثقافية- بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، د. عبدالله إبراهيم: 101-102.

(3) م.ن: 102.

وقبل أن نقوم بمتابعة (الرؤية المستقيمة)، نود أن نثبت تصورات ذات قيمة نقدية كبيرة، كشفها لنا التاريخ الأدبي؛ منها أن "الأدب موضوع له صلة وثيقة بالماضي"⁽¹⁾... ونحن نرى أن نصوص الإمام علي(ع) ولاسيما رسائله وثيقة الصلة بالماضي بصورة فاعلة، ولها علاقات متشابكة مع نصوص سابقة، ومهيأة لأن تدخل في علاقات مع نصوص آخر، مع الإيمان بأن النص الأدبي "عالم مهول من العلاقات المتشابكة، يلتقي فيه الزمن بكل أبعاده، حيث يتأسس في رحم الماضي وينبثق في الحاضر، ويؤهل نفسه كإمكانية مستقبلية للتدخل مع نصوص آتية"⁽²⁾، وبأن "العمل الأدبي حوار مع تاريخه"⁽³⁾.

وليس هذا الوجه للتاريخ هو الوجه الوحيد الذي يمكن التعامل معه، فهناك وجه آخر يتجلى في "أن الإنتاج الثقافي خير معبر عن نزعة الإنسان التاريخية، وبالتالي عن تطلعه إلى التقدم والتطور"⁽⁴⁾، ووجه ثالث يتجلى في كون التاريخ "طريقة خاصة لدراسة الحاضر بمساعدة وقائع الماضي"⁽⁵⁾؛ ولذا عدنا إلى وقائع الماضي نقتبس منها ما يساعد في دراسة نصوص الإمام علي(ع) بوصفها تجسيدا لحاضر عاشه الإمام علي(ع)، وتطلعا إلى تحقيق (الرؤية المستقيمة) بصورة أكثر عمقا وغنى في الواقع الإسلامي.

ومن تلك التصورات أيضا، أنه "لا يمكن فهم الأدب في حقبة تاريخية محددة بغير تحليل دقيق للظروف السياسية والاقتصادية السائدة في نفس الحقبة"⁽⁶⁾، من حيث "إن الحقيقة في هذا العالم لا تتأصل في الأشياء نفسها، بل في العلاقات التي نلاحظها بين الأشياء، أي أنها لا تتأصل في العناصر وإنما في البنى"⁽⁷⁾، ومن حيث "إن البنيوية تسعى إلى استكشاف العلاقة بين نظام الأدب وبين الثقافة التي هو جزء منها"⁽⁸⁾. ونصوص الإمام علي(ع) نفسها- كما نرى- تحليل دقيق للظروف السياسية والاقتصادية السائدة في الحقبة نفسها التي ظهرت فيها تلك النصوص ولاسيما الرسائل، ومع أنها بنية، فهي- كما نرى- تشكل عنصرا من عناصر بنية أكبر هي بنية ثقافة فئة (المنتجيين وأتباعهم) التي هي عنصر من بنية أكبر هي بنية ثقافة الفئة المسلمة التي هي عنصر في بنية أكبر هي بنية ثقافة الفئة المتدينة التي تقف داخل بنية المجتمع الإنساني موقفا بعيدا عن الفئة غير المتدينة.

ومن تلك التصورات أيضا "أن التاريخ الأدبي لا بد أن يكون تاريخا أدبيا اجتماعيا ما دام يبحث الأدب في مظاهره المختلفة، والأدب [...] ظاهرة

(1) مقالات ضد البنيوية: 56.

(2) الخطيئة والتكفير- من البنيوية إلى التشرحية: 14.

(3) مقدمة في النظرية الأدبية، تيري إغلتن، ت: إبراهيم جاسم العلي: 79.

(4) في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان: 29.

(5) البنيوية في الأدب، روبرت شولز، ت: حنا عيود: 96.

(6) التحليل الاجتماعي للأدب: 162.

(1) البنيوية وعلم الإشارة: 5.

(2) الخطيئة والتكفير- من البنيوية إلى التشرحية: 61.

اجتماعية" (1)... ومعرفتنا بنصوص الإمام علي (ع) تدلنا على أنها ظاهرة اجتماعية، وأن تاريخها الأدبي لا بد أن يكون - فعلا - تاريخا أدبيا اجتماعيا. وإذا كانت "العلاقة بين العمل الأدبي والجمهور تعد علاقة بالغة العمق؛ ذلك أن مفهوم وتصور الجمهور الذي يريد أن يخاطبه الأديب، يدخل بلا أدنى شك، ويؤثر في نشأة العمل الأدبي ذاته" (2)، فإن نصوص الإمام علي (ع) - كما نرى - انبنت على ذلك ولاسيما في الرسائل التي كانت إجابة لرسائل مرسله إليه من عناصر فاعلة في فئات أخر، وإنها كانت من جهة أخرى عاملا رئيسا من عوامل الوعي الاجتماعي لفئة (المنتجيين وأتباعهم).

نحن - هنا - إذا نحاول أن نضع نص الإمام علي (ع)، المتمثل في (رسائله)، في إطاره الزماني والمكاني، ونتعرف التاريخ الديني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للعصر الذي ظهر فيه، بغية تحليله تحليلا بنويا تكوينيا؛ لأن مثل هذا التحليل يعي بوجود النص "داخل أنساق ثلاثة: نسقه الخاص كبناء مستقل، [و] النسق الأدبي العام للنوع الذي ينتمي إليه، ثم الأنساق الأخرى غير الأدبية التي تؤثر في تشكيل المزاج الثقافي الذي ينتج النص في نهاية الأمر. [و] في ظل هذا الربط بين النسق الأدبي الفردي، والعام، والأنساق الأخرى غير الأدبية ينتفي جمود بنية النص التي تعكس في حيوية، التغيرات التي تطرأ على الأنساق الأخرى العامة. ويترتب على هذه الديناميكية تمتع النص بحيوية تمكنه من استيعاب هذه التغيرات، من ناحية، والتعبير عنها من ناحية أخرى" (3).

ومن هنا قيل "إن الأشكال الأدبية لا تتغير أو تتطور بطريقة عفوية [...]. بل نتيجة تحول في الغالب" (4).

(3) التحليل الاجتماعي للأدب: 162.

(4) م.ن: 122.

(1) المرايا المحدثه- من النبوية إلى التفكير: 237- 238.

(2) م.ن: 238.

المحور التطبيقي:

أولاً- اجتناء رجل: تحتاج هذه القضية إلى العودة إلى اللحظة الأولى لاجتناء أول رجل. وقد نبه الإمام علي(ع) على ذلك في عرضه الموجز للفكر الديني، إذ قال: "أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه"⁽¹⁾، ولما كان الأمر كذلك، استدعى أن يتمثل المخلوق البشري الأول(آدم)- الذي مرت طينته بمراحل معروفة- "إنسانا ذا أذهان يجليها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يخدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس"⁽²⁾. وهذا يدل على أن للتاريخ البشري ابتداء بخلق آدم(ع) صورة متميزة في ذهن الإمام علي(ع).

ولما كان الحديث عن الخلافة قد جرى بين الله سبحانه وتعالى وملائكته على وفق الحوار الذي حكاه لنا القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾⁽³⁾، فهذا يعني أن الخليفة الذي سيكون في الأرض، جاء اختياره واجتناءه من واجب الوجود، وليس اختيارا واجتناء من مخلوق بشري أو غير بشري.

وقد عبر الإمام علي(ع) عن خلق آدم(ع) واصطفائه بأقوال كثيرة، منها: "خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، واصطفاه على العالمين، فحسده الشيطان فكان من الغاوين"⁽⁴⁾. وإذا كان من طبع الطين- وقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم(ع) منه- الدنوّ، فإن طبع الروح الرفعة والارتقاء والسموّ⁽⁵⁾.

ونظر الإمام علي(ع) إلى هذا الموقف، وعرضه كاشفا عن البنية الذهنية المرادة، وعن البنية الذهنية لإبليس، بقوله: "الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرما على غيره، واصطفاهما لجلاله"⁽⁶⁾، ثم قال: "وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك

(1) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(ت656هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: 72/1.

(2) م.ن: 96/1.

(3) البقرة/30-33.

(4) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي: 151/4.

(1) ينظر: الإنسان والإسلام، د. علي شريعتي، ت: د. عباس الترحمان: 18.

(2) شرح نهج البلاغة: 127/13.

ملأته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اعترضته الحمية، فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبرية، وادّرع لباس التعزّز، وخلع قناع التذلل⁽¹⁾.

ولذلك نبه (ع) من يستمعون إليه- بعد أن حذر من الشيطان- قائلاً: "فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد، وأغرق إليكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب، فـ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قذفا بغيب بعيد، ورجما بظن غير مصيب صدقه به أبناء الحمية وإخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية"⁽²⁾.

وبناء على حوار الله سبحانه وتعالى مع ملائكته: "استأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له، والخنوع لتكرمه، فقال سبحانه: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اعترضته الحمية، وغلبت عليه الشقوة، وتعزّز بخلقة النار، واستوهن خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة، واستتماما للبليّة، وإنجازا للعدة، فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾"⁽³⁾.

وشدد الإمام (ع) على موقف إبليس، فوضحه بقوله: "أما إبليس فتعصب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال أنا ناري، وأنت طيني"⁽⁴⁾.

وفي هذا الكلام إشارة إلى ما مر ذكره من القرآن الكريم، وإلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَبْيَهُهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾"⁽⁵⁾.

وفيه إشارة أيضا إلى قوله تعالى، الذي مر ذكر بعضه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ

(3) م.ن: 127/13، والنص القرآني في: ص/من 71-74.

(4) شرح نهج البلاغة: 136/13-137، والنص القرآني في: الحجر/39.

(1) شرح نهج البلاغة: 97/1، والنص القرآني الأول من: البقرة/34، ومن سور آخر، والنص القرآني الثاني من: الحجر/37-38.

(2) شرح نهج البلاغة: 166/13.

(3) الأعراف/11-17.

إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ⁽¹⁾.

وهذا العرض في القرآن الكريم لموقف إبليس من آدم (ع) جاء بهذه الصور المتنوعة تنبيهها على وجوب رفض الشيطان وآرائه، وعلى أنه موجود بأشكال مختلفة إلى يوم الوقت المعلوم، وأن على المخلوقات اجتنابه ورفض طريقه. ونلاحظ هنا أن الشيطان صب اهتمامه على وجوب قعوده في الصراط المستقيم، وأن الله سبحانه أكد عدم قدرة الشيطان على الإيقاع بالمخلصين. فالغواية – إذا – تقابل الاستقامة.

ثم يصف الإمام علي (ع) المرحلة التالية في الاجتناء، بقوله: "ثم أسكن آدم داراً أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره إبليس وعداوته فاغتره عدوه نفاسةً عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار فباع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجدل وجلاً وبالاغترار ندماً"⁽²⁾، لينتقل بعد ذلك لوصف الخطوة التاريخية المهمة جداً في تاريخ الجنس البشري عموماً وفي اجتناء آدم (ع) خصوصاً، وذلك في قوله: "ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعد المرد إلى جنته وأهبطه إلى دار البليّة وتناسل الذريّة"⁽³⁾.

ونجد موجزاً لتاريخ الإنسان المتمثل في آدم (ع)، كما يراه الإمام علي (ع) نفسه، في قوله: "فلما مهّد أرضه، وأنفذ أمره، اختار آدم- عليه السلام- خيرة من خلقه، وجعله أول جبلته، وأسكنه جنته، وأرغد فيها أكله، وأوعز إليه فيما نهاه عنه، وأعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمعصيته، والمخاطرة بمنزلته، فأقدم على ما نهاه عنه موافاةً لسابق علمه، فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله، وليقيم الحجة على عباده"⁽⁴⁾. ثم تحدث عن حال البشر بعد قبض آدم (ع) وعن اجتناء الله سبحانه وتعالى لعدد من الرجال، فقال: "ولم يُخلهم بعد أن قبضه، مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، ومتحملي ودائع رسالاته قرناً فقرناً حتى تمت بنينا محمد (صلى الله عليه وآله) حجته، وبلغ المقطع عذره ونذره"⁽⁵⁾.

ومثلما أبرز القرآن الكريم موقف إبليس من اجتناء آدم (ع)، أبرز قضية تعجب الكافرين بالنبوة خلال المسيرة البشرية واجتناء من يجتبيهم الله سبحانه وتعالى، من نزول الرسالة الإلهية على بشر (رجل)، إبرازاً واضحاً؛ ومن ذلك:

(4) الحجر/28-42.
(1) شرح نهج البلاغة: 102/1.
(2) م.ن: 102/1.
(3) م.ن: 3/7.
(1) شرح نهج البلاغة: 3/7.

1. قوله تعالى مثبتا السمة (البشرية) في آدم وإعلام الملائكة بذلك: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (1)، وقوله تعالى كاشفا عن الأصل الذي تابعه الكافرون في ردهم على الأنبياء والتشبهت بـ (البشرية)، وهو إبليس في رده على الخالق سبحانه وتعالى، حاكيا قوله: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (2).
2. قوله تعالى بشأن الكافرين المعاصرين لنوح (ع): ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (3)، وقوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ (4)، وقوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (5)، فهم قد رفضوا أمر الله تعالى بحجة أن المرسل بشر، وليس ملكا، وفي دواخلهم نزعة التكبر. ومثل ذلك قاله من جاء بعدهم، كما نرى في:
3. قوله تعالى بشأن الكافرين المعاصرين لنبي جاء بعد نوح (ع): ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِن أُطْعِمْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (6)، و: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (7). ويستشعر - هنا - اختيارهم المضاد لأمر الله واختياره. ويتجلى الاختيار المضاد أكثر في توصيف أنفسهم المذكور في:
4. قوله تعالى بشأن الكافرين المعاصرين ليهود (ع): ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (8). وتظهر الحال نفسها للكافرين في زمن النبي صالح (ع)، كما في:
5. قوله تعالى حاكيا الحوار بين الكافرين والنبي صالح (ع): ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (9)، وقوله: ﴿كَذَبَتْ تَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّمَّنَّا وَاجِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَوْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرٌّ﴾ (10). وفي ذلك كله يؤكد الأنبياء (ع) أن ذلك الاجتباء لبشر إنما هو مما يمن الله به على من يشاء، كما ورد في:

(2) ص/71.

(3) الحجر/33.

(4) الأعراف/63.

(5) هود/27.

(6) المؤمنون/24-25.

(1) المؤمنون/33-34.

(2) المؤمنون/38.

(3) الأعراف/69.

(4) الشعراء/154-155.

(5) القمر/23-25.

6. قوله تعالى بشأن قوم نوح وعاد وثمود في ردهم على الأنبياء (ع): ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾. ومع ذلك يستمر الرفض في الأزمان اللاحقة، للحجة نفسها، وكأنهم في زمن واحد، ويسمع بعضهم بعضاً، ومن ذلك:
7. قوله تعالى حاكياً كلام الكافرين المعاصرين لشعيب (ع): ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾⁽²⁾. ولم يكن الرفض موجهاً حينما يكون هناك نبي واحد، وإنما يبقى الرفض نفسه للحجة نفسها وإن كان هناك أكثر من نبي، كما في:
8. قوله تعالى حاكياً كلام كافري (القرية) للرسول: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾⁽³⁾. وتبقى الحال نفسها رفضاً وتكبراً في زمن موسى وهارون (ع)، وذلك ما يظهره:
9. قوله تعالى بشأن الكافرين المعاصرين لموسى وهارون (ع): ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾⁽⁴⁾. وهكذا فالحال واحدة، ومنبع الكافرين واحد، كما أن منبع الأنبياء واحد، ويمكن أن يجلي ذلك:
10. قوله تعالى الذي يكشف موقف الكافرين المعاصرين للأنبياء السابقين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾⁽⁵⁾. ولا عجب حين تبقى الحال في زمن النبي محمد (ص) على ما هي عليه، وتتجمع الحجج الواهية والاتهامات الباطلة، كما أظهر ذلك القرآن الكريم في مواضع كثيرة من أجل غايات متعددة؛ منها فضح الذهنية الشيطانية التي تمثلها الكافرون وصدروا عنها في أقوالهم وأفعالهم، ومن ذلك:
11. قوله تعالى بشأن الكافرين المعاصرين للنبي محمد (ص): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾⁽⁶⁾، وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾⁽⁷⁾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ

(6) إبراهيم/من 10 - 11.

(1) الشعراء/186.

(2) يس/15.

(3) المؤمنون/47.

(4) التغابن/6.

(1) الأنعام/91.

(2) يونس/2.

إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ»⁽¹⁾، وقوله: «تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا»⁽²⁾، وقوله حكاية عنهم، وتعليما للنبي(ص): «وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيَّتِكَ حَتَّى نُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا»⁽³⁾، ثم تعليمة للنبي(ص): «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»⁽⁴⁾، وقوله حكاية عنهم: «وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ»⁽⁵⁾، وقوله: «وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا»⁽⁶⁾، وقوله: «وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ»⁽⁷⁾، وقوله: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ»⁽⁸⁾، وقوله تعالى كاشفا موقف الكافر المعاصر للنبي(محمد)(ص): «فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ»⁽⁹⁾.

وهذا العرض لتشكّل السياق الديني التاريخي، ولكشف الخيط الرابط الممتد عبر العصور بين الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، يعني أن الرؤية المستقيمة رؤية امتدادية من أول مصطفى وأتباعه إلى آخر مصطفى وأتباعه، وأن مصدرها واحد هو الله سبحانه وتعالى، ويعني أن الرؤية المعوجة رؤية ممتدة من إبليس بوصفه مصدرها الأول إلى آخر متمثل لها، وأن أخذ الميثاق لم يكن مقتصرًا على الملائكة، بل أخذ من الأنبياء كذلك؛ وفي ذلك هداية إلى الاستقامة وإلى طريقها، وقد بين ذلك الإمام(ع) مشددا على أهمية معرفة الله سبحانه وتعالى، وعلى أثر الشياطين في الإبعاد عنها، بقوله الذي يوجز فيه تاريخ الأنبياء(ع) والغاية من اختيارهم: "واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجعلوا حقّه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق

(3) النحل/103.

(4) الإسراء/47.

(5) الإسراء/93-94.

(6) الكهف/110.

(7) الأنبياء/من 3.

(8) الفرقان/7-8.

(9) سبأ/43.

(1) فصلت/6.

(2) المدثر/24-25.

فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة"⁽¹⁾.

وقد تم ذلك- كما هو واضح- بطريقة الاصطفاء والاجتباء التي أثبتها القرآن الكريم في مواضع عدة، منها: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

ويوضح الإمام علي(ع) كيفية اختيارهم، فيقول: "ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم: من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله [...] على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الأباء، وخلفت الأبناء"⁽³⁾.

ومن الأمور الواضحة جدا في كشف البنية الذهنية الواحدة عند الأنبياء(ع) وانطلاقهم من رؤية كونية واحدة، ما جاء مثلا في سورتي الأعراف وهود. ففي بداية سورة الأعراف نجد قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾⁽⁴⁾، ثم نجد أقوالا محكية عن عدد من الأنبياء(ع) تعبر عن هذه الفكرة، بالفاظ واحدة عند الأنبياء كلهم؛ فعن نوح(ع): ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽⁵⁾، وعن هود(ع): ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽⁶⁾، وعن صالح(ع): ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽⁷⁾، وعن شعيب(ع): ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽⁸⁾. وهل يحصل ذلك التشابه بين تعبيرات بشر سواء أكانوا متباعدين زمانيا أم لا، إلا بالامتياح من مصدر واحد والصدور عن بنية ذهنية واحدة؟!

ونجد حكاية لحوارات بين عدد من الأنبياء(ع) وأقوامهم، تكشف عن الاختلاف الكبير بين البنية الذهنية للأنبياء(ع) المتشابهين في طريقة عرض الدعوة إلى اتخاذ الرؤية المستقيمة ومصدرها الإلهي طريقا، والبنية الذهنية لأقوامهم المتشابهين في ردّهم عليهم وفي طريقته واتهاماته، فمما دار بين نوح(ع) وقومه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن

(3) شرح نهج البلاغة: 113/1.

(1) الأنعام/83-88.

(2) شرح نهج البلاغة: 113-116.

(3) الأعراف/من 3.

(4) الأعراف/من 59.

(5) الأعراف/من 65.

(6) الأعراف/من 74.

(7) الأعراف/من 85.

قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ⁽¹⁾، ومما دار بين هود(ع) وقومه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا
لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ⁽²⁾﴾.

ومن بين الأمور التي يؤكد فيها أولئك الأنبياء(ع) أنهم لا يتقولون، وإنما هم
مرسلون من الله عز وجل، ومتحدثون باسم السلطان الإلهي لا باسمائهم هم، إعلانهم
عن أنهم مبلّغون رسالات ربهم، وأنهم ناصحون لقومهم؛ فنوح(ع) يقول: ﴿أُبَلِّغُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ⁽³⁾﴾، وهود(ع) يقول: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ⁽⁴⁾﴾، وصالح(ع) يقول: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا
تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ⁽⁵⁾﴾، وشعيب(ع) يقول: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ
لَكُمْ⁽⁶⁾﴾.

ومن بين الأمور الأخر التي يؤكد فيها أولئك الأنبياء(ع) أنهم مرسلون، والتي
تكشف عن التشابه الدال على الصدور عن بنية ذهنية واحدة، قول نوح(ع)
: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ⁽⁷⁾﴾، وقول هود(ع)
: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ⁽⁸⁾﴾.

وإذا ما تم الانتقال إلى سورة هود، فسيتبين في بدايتها ما يثبت بشكل قاطع ما تم
التوصل إليه من خلال سورة الأعراف، إذ نجد قوله تعالى حكاية: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ⁽⁹⁾﴾، ثم نجد بعد ذلك
أقوالاً محكية مشابهة إلى درجة كبيرة، عن عدد من الأنبياء(ع) تعبر عن هذه الفكرة.
فعن نوح(ع): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
اللَّهَ⁽¹⁰⁾﴾، وعن هود(ع): ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ⁽¹¹⁾﴾، وقال: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ⁽¹²⁾﴾، وعن صالح(ع): ﴿وَإِلَىٰ
ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَغْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ⁽¹³⁾﴾، وعن شعيب(ع): ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

(1) الأعراف/60-61.

(2) الأعراف/66-67.

(3) الأعراف/من 62.

(4) الأعراف/68.

(5) الأعراف/من 79.

(6) الأعراف/من 93.

(7) الأعراف/من 63.

(8) الأعراف/من 69.

(1) هود/2- من 3.

(2) هود/25- من 26.

(3) هود/من 50.

(4) هود/من 52.

(5) هود/من 61.

شُعْبِيًّا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ⁽¹⁾، وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾⁽²⁾.

ومنها ما عبر - بتعبيرات متشابهة إلى حد كبير - عن كونهم على بينة من ربهم؛ فنوح(ع): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾⁽³⁾، وصالح(ع): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾⁽⁴⁾، وعن شعيب(ع): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾⁽⁵⁾.

ومنها ما عبر عن عدم سؤالهم أجرا ماديا جزاء ما يدعون إليه؛ فنوح(ع) قال: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾⁽⁶⁾، وهود(ع) قال: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾⁽⁷⁾.

وفي ذلك كله دلائل على أن الأنبياء(ع) كلهم تمثلوا الرؤية المستقيمة والبنية الذهنية التي رسمها الخالق سبحانه وتعالى، وها هم أنفسهم يشددون على أهمية الاستقامة، أو ها هم يوصفون بأنهم على طريق الاستقامة. فهود(ع) - كما يحكي ذلك القرآن الكريم في السورة المسماة باسمه - يقول موضحا البنية الذهنية الواحدة التي يتحرك على وفقها الفكر الديني المستمد من الخالق سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽⁸⁾.

وحكى القرآن الكريم عن شعيب(ع) أنه خاطب أصحاب الأيكة، فأمرهم بالاستقامة، فقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾⁽⁹⁾.

وأمر الله سبحانه، موسى وهارون(ع) بوجوب الاستقامة، إذ جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁰⁾، ثم وصفهما(ع) بالاستقامة، فقال: ﴿وَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽¹¹⁾.

وحكى القرآن الكريم ما قاله عيسى(ع) لبني إسرائيل وشدد فيه على العلاقة بين عبادة الله سبحانه والاستقامة: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾⁽¹²⁾،

(6) هود/من 84.

(7) هود/من 90.

(8) هود/من 28.

(9) هود/من 63.

(10) هود/من 88.

(11) هود/من 29.

(12) هود/من 51.

(1) هود/من 56.

(2) الشعراء/181-182.

(3) يونس/88-89.

(4) الصافات/117-118.

(5) آل عمران/51، وتتنظر: الزخرف/64.

ثم ربط بين عيسى(ع) والرسول محمد(ص) بوصف وحكاية، إذ جاء فيه: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (1).

مما مر يتبين أن هناك ربطاً وثيقاً بين طريق الاستقامة واختيار الأنبياء والمؤمنين لها بهداية الله سبحانه، وقد تجلّى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (2).

ومن هذه الآية ومن آيات أخر توصل الدكتور محمد بهشتي إلى القول: "يوجد في دعوات جميع الأنبياء مبادئ مشتركة واحدة. فالقرآن يعلن أن الاختلافات الموجودة في عقائد الأديان السماوية ليست ناشئة عن مؤسسي تلك الديانات أي الأنبياء، بل هي من عمل مجموعة ممن أعلنوا عن أنفسهم حماة ومبلغين لعقائد الأنبياء من بعدهم، إما لتحقيق مصالح شخصية أو لجهلهم أو لوقوعهم تحت تأثير العقائد الأخرى حيث قاموا بإجراء تغييرات في العقائد التي جاء بها الأنبياء أو فسروها تفسيرات زائفة، وقد لعب الجهل الشامل للجماهير دوراً مهماً في تلك التغييرات والتفسيرات" (3).

ومن بين الأدلة على ذلك- كما نرى- تلك البنية اللغوية المستمدة من مصدر واحد، التي حكاها القرآن الكريم عن الأنبياء(ع) في مخاطبة المرسلين إليهم، والمستمرة على صيغة واحدة استمراراً يؤكد امتداد الرؤية الواحدة وتجليها لغة بصورة لغوية ما. ومن ذلك ما نجده مثلاً في سورة الشعراء:

- 1) ورد عن هود(ع): ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (4).
- 2) ورد عن صالح(ع): ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (5).
- 3) ورد عن لوط(ع): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (6).

(6) الزخرف/61.

(1) البقرة/213.

(2) تحليل علمي للإيديولوجية الإسلامية، د.محمد بهشتي، تر: نبيل المسعودي: 70. والآيات الأخر هي في: آل عمران/19، ومريم/37، والزخرف/45.

(3) الشعراء/123-127.

(1) الشعراء/141-145.

(2) الشعراء/160-164.

(4) ورد عن شعيب(ع): ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (1).

وبالتوقف عند النبي إبراهيم الخليل(ع) ومكانته بوصفه أحد أجداد النبي محمد(ص)، نجد أن الخالق سبحانه يربط بينهما في البنية الذهنية المستمدة منه سبحانه، وفي رؤيتها المستقيمة، وفي اجتباؤه لهما، إذ يصف النبي إبراهيم(ع) بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لَأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (2). وهذا الربط في الاستقامة والماهية بين ملة إبراهيم(ع) الحنيفة والإسلام، يتجلى أيضا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (3). ومن المعروف "أن الملة الكبرى هي ملة إبراهيم الخليل(ع)، وهي الحنيفة التي تقابل الصبوة تقابل التضاد" (4)، وهذا يعني أن هناك تقابلا تضاديا بين الميل إلى الجهل، والاستقامة الدينية.

ولغايات متعددة؛ منها ما يهتم البحث بكشفه هنا من حيث الصدور عن بنية ذهنية واحدة واستمرارية الرؤية المستقيمة، والاجتباء الإلهي لأفراد معينين، نجد أن القرآن الكريم قد أوضح مكانة إبراهيم الخليل(ع) والحنيفية في مواضع متعددة، فقد جاء فيه:

1. ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (5).
2. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (6).
3. ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (7).
4. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (8).
5. ﴿فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (9).

(3) الشعراء/176-180.

(4) النحل/120-123.

(5) البقرة/135.

(6) الممل والنحل، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني(ت548هـ)، تح: أمير علي مهنا وآخر: 51/1.

(1) البقرة/135.

(2) آل عمران/67-68.

(3) آل عمران/95.

(4) النساء/125.

(5) الأنعام/78-79.

6. ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾.

7. ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾.

8. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾.

ثم بين القرآن الكريم وجوب الاتصاف بالحنيفية، بقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾⁽⁴⁾، وبقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾⁽⁵⁾، ولم يتوقف الأمر باختيار طريق الاستقامة وبوصفها ووصف أصحابها وأعدائهم، عند النبي إبراهيم الخليل (ع)، بعد أن أمر الأنبياء (ع) السابقون له بذلك ابتداء بآدم (ع)، بل أمر بذلك من جاء بعده، ومنهم موسى وعيسى (ع). وخير دليل على ذلك ما جاء في كتابيهما التوراة والإنجيل؛ وهذه الأهمية لهذا الدليل، وقول الإمام علي (ع): "لو ثبتت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل القرآن بقرآنهم"⁽⁶⁾، بما يعني كون الكتب السماوية السابقة جزءا من البنية الذهنية للإمام (ع) جعلها البحث يفرد له نقطة خاصة به، ويتابع كثيرا من التفصيلات.

ثانيا- الاستقامة في التوراة والإنجيل: إذا ما بحثنا في العهد القديم فسنجد إشارات واضحة وكثيرة جدا، إلى الاستقامة وأهميتها، من مثل:

أ- ((34.[...] لأن اللاويين كانوا أكثر استقامة قلب من الكهنة في القدس))⁽⁷⁾، وبترجمة أخرى تجعل الاستقامة تطهيرا: ((34.[...] لأن اللاويين كانوا أكثر اهتماما بتطهير أنفسهم من الكهنة))⁽⁸⁾.

ب- ((6. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملك))⁽⁹⁾، وبترجمة أخرى تربط الاستقامة بالعدل: ((6. عرشك يا الله إلى دهر الدهور، وصولجان ملك عادل ومستقيم))⁽¹⁰⁾.

ت- ((6. اسمعوا فإني أتكلم بأمر شريفة وافتتاح شفتي استقامة))⁽¹¹⁾، وبترجمة أخرى تجعل الأمور الشريفة استقامة، والاستقامة إخلاصا: ((3. كلماتي تصدر من قلب مستقيم، وشفاتي تتحدثان بإخلاص بما أعلم))⁽¹⁾.

(6) الأنعام/161.

(7) يونس/105.

(8) الروم/30.

(1) الحج/من30- من31.

(2) البينة/5.

(3) شرح نهج البلاغة: 12/197.

(4) العهد القديم والجديد، مجمع الكنائس الشرقية: 724/1 (الإصحاح التاسع والعشرون).

(5) التوراة والإنجيل، موقع 804:arabicbible.

(6) العهد القديم والجديد: 864/1 (المزمور الخامس والأربعون).

(7) التوراة والإنجيل: 966.

(1) العهد القديم والجديد: 944/1 (الإصحاح الثامن).

- ث- ((3. استقامة المستقيمين تهديهم واعوجاج الغادرين يخربهم))⁽²⁾، وبترجمة أخرى تجعل الاستقامة برا، الهداية نجاة: ((6. بر المستقيم ينجي، والغادرون يؤخذون بفجورهم))⁽³⁾.
- ج- ((6. فدعا أخيش داود وقال له حي هو الرب إنك أنت مستقيم))⁽⁴⁾، وبترجمة أخرى تجعل الوصف بالاستقامة قسما: ((6. فاستدعى أخيش داود وقال له: أقسم لك بالرب الحي إنك مستقيم))⁽⁵⁾.
- ح- ((17. وقد عملت يا إلهي أنك أنت تمتحن القلوب وتسر بالاستقامة. أنا باستقامة قلبي انتدبت بكل هذه))⁽⁶⁾، وبترجمة أخرى تؤكد سرور الإله بالاستقامة، وعلاقة القلب بالاستقامة: ((17. وأنا أعلم يا إلهي أنك تفحص القلوب وتسر بالاستقامة، وأنا قدمت إليك كل هذه بقلب مستقيم))⁽⁷⁾.
- خ- ((15. ليخبروا بأن الرب مستقيم. صخرتي هو ولا ظلم فيه))⁽⁸⁾، وبترجمة أخرى تحول الإخبار بالاستقامة إلى شهادة بها: ((15. ليشهدوا أن الرب مستقيم. إنه صخرتي وليس فيه سوء))⁽⁹⁾.
- د- ((37. لاحظ الكامل وانظر المستقيم فإن العقب لإنسان السلامة))⁽¹⁰⁾، وبترجمة أخرى تؤكد نوعية النهاية الطيبة للإنسان المستقيم: ((37. لاحظ الكامل وانظر المستقيم، فإن نهاية ذلك الإنسان تكون سلاما))⁽¹¹⁾.
- ذ- ((29. الشرير يوقح وجهه. أما المستقيم فيثبت طرقة))⁽¹²⁾، وبترجمة أخرى تجعل تثبيت الطرق تقويما: ((29. الرجل الشرير يغلظ وجهه، أما المستقيم فيعمل على تقويم طرقة))⁽¹³⁾.
- ر- ((10. أهل الدماء يبغضون الكامل. أما المستقيمون فيسألون عن نفسه))⁽¹⁴⁾، وبترجمة أخرى مختلفة بين إيجابية المستقيمين، وسلبية الأشرار: ((10. المتعطشون إلى الدماء يكرهون الكامل، والأشرار يلتمسون هلاك المستقيم))⁽¹⁵⁾، وغير ذلك كثير في العهد القديم.

(2) التوراة والإنجيل: 920.
(3) العهد القديم والجديد: 947/1 (الإصحاح الحادي عشر).
(4) التوراة والإنجيل: 1060.
(5) العهد القديم والجديد: 477/1 (الإصحاح التاسع والعشرون).
(6) التوراة والإنجيل: 525.
(7) العهد القديم والجديد: 678/1 (الإصحاح التاسع والعشرون).
(8) التوراة والإنجيل: 752.
(9) العهد القديم والجديد: 899/1 (المزمور الثاني والتسعون).
(10) التوراة والإنجيل: 1004.
(1) العهد القديم والجديد: 858/1 (المزمور السابع والثلاثون).
(2) التوراة والإنجيل: 960.
(3) العهد القديم والجديد: 959/1 (الإصحاح الحادي والعشرون).
(4) التوراة والإنجيل: 1075.
(5) العهد القديم والجديد: 968/1 (الإصحاح التاسع والعشرون).
(6) التوراة والإنجيل: 1085.

ومما جاء في الكتاب المقدس: ((21. فلا حظ لك في هذا الأمر ولا نصيب، لأن قلبك غير مستقيم عند الله))⁽¹⁾، و: ((15. واجتهد أن تكون في حضرة الله ذا فضيلة مجربة وعاملا ليس فيه ما يخجل منه ومفصلا كلمة الحق على وجه مستقيم))⁽²⁾. ثم يستمر الأمر بالاستقامة بعد ذلك ويظهر جليا مع النبي محمد(ص) خاتم الأنبياء(ع)، بوصفه بشخصه وبالكتاب السماوي(القرآن الكريم) المرسل به، من العناصر الفاعلة في صوغ البنية الذهنية للإمام علي(ع) ورسم معالم الرؤية المستقيمة له. ومن هنا خصصنا للنبي محمد(ص) ومنه لجدّه عبد المطلب، ولعمه أبي طالب، ولأمه أمنة نقطة خاصة.

ثالثا- النبي محمد(ص): بين القرآن الكريم أن النبي محمد(ص) سليل الإيمان والاستقامة نسبا ودينا، وذلك في التصريح الإلهي: ﴿وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾⁽³⁾، وقد روى الثعلبي في التفسير: ﴿وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾: "أن محمدا لم يلبه إلا نبي أو وصي نبي أو مؤمن"⁽⁴⁾، وقال أبو عمر الزاهد في كتاب(الياقوت): "قال النبي(ص) لعلي(ع): ((لم أزل أنا وأنت نركض في الأصلاب الطاهرة، إلى عبد الله وأبي طالب لم تدنسنا الجاهلية بأرجاسها وسفاحها))"⁽⁵⁾.

وروى الشيخ المفيد أن رسول الله(ص) قال: ((لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا))⁽⁶⁾. وفي هذا الكلام إشارة واضحة إلى طهارة جدّه عبد المطلب وعمه أبي طالب، وإلى استقامتهما، وقد روي عن الأصبغ بن نباته أنه قال: "سمعت أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم(عليه السلام) متمسكين به"⁽⁷⁾. ولذلك "روي أن عبد المطلب كان حجة وأبا طالب كان وصيه"⁽⁸⁾. وقال الأميني: "لم يكن دين عبد المطلب(سلام الله عليه) إلا دين التوحيد والإيمان بالله ورسله وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنية"⁽⁹⁾، وأكد أنه مما "يعرب عن تقدمه في الإيمان الخالص والتوحيد الصحيح انتماء رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليه ومباهاته به يوم حنين بقوله: ((أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب))"⁽¹⁰⁾.

(7) الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية: 395.

(8) م.ن: 671.

(1) الشعراء/ 219.

(2) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي(ت877هـ)، صححه وحققه وعلق عليه: محمد الباقر البهبودي: 341/1.

(3) م.ن: 341/1.

(4) أوائل المقالات، الشيخ المفيد(ت413هـ)، تج: إبراهيم الأنصاري: 46.

(5) كمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت381هـ): 172، وتتنظر: 174- 175، وينظر: مواهب الوهاب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب(ع)، جعفر بن محمد النقدي(ت1369هـ)، تج: محمد هادي الأميني: 86.

(6) الاعتقادات، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد(ت413هـ)، تج: عصام عبد السيد وآخرين: 110.

(7) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني(ت1392هـ): 353/7.

(1) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: 353/7.

ويسند ذلك قوله (ص): ((إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم))⁽¹⁾. وما قول أبرهة الحبشي لعبد المطلب حين توجه إلى مكة لهدم الكعبة: "أتكلمني في مائتي بعير، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه فلم تكلمني فيه؟!"⁽²⁾، وقوله لأبرهة: "إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه منك"⁽³⁾، ثم قوله بعد أن أخذ بحلقة باب الكعبة ودعا الله تعالى [من مجزوء الكامل]:

وانصر على آل الصليح وعابديه اليوم آلك⁽⁴⁾

إلا أدلة على إيمانه الخالص بالله عز وجل، وبقدرته على حماية بيته الحرام، وعلى معرفة القاصي والداني بذلك الإيمان. ولم يأخذ "هذا الموقف إلا بدافع إيمانه الوثيق القوي بالله وبقدرته"⁽⁵⁾.

ومن أدلة إيمانه وتمثله لبنية إيمانية ذات رؤية مستقيمة، أنه ورد عنه "أشياء؛ منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وأكل المتردية، وما أكله السبع، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت [أحد] عريانا"⁽⁶⁾.

وما روي عن النبي (ص) في حق جده عبد المطلب يكشف عن أن جده تمثل بنية ذهنية ذات تميز عن البنية الذهنية السائدة في وقته، إذ إنه (ص) قال للإمام علي (ع): ((يا علي إن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام؛ حرم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾، ووجد كنزا فأخرج منه الخمس وتصدق به فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾، ولما حفر زمزم سقاها الحاج فأنزل الله: ﴿أَجْعَلْنَاهُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وسن في القتل مائة من الإبل فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواط فأجرى الله ذلك في الإسلام. يا علي إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول أنا على دين أبي إبراهيم (ع))⁽⁷⁾.

وكانت تلك البنية الذهنية المتميزة، من أسباب شهرته بين العرب وغيرهم، وتبعاً لذلك كانت له عشرة أسماء كاشفة عن تلك المنزلة "تعرفه بها العرب وملوك القياصرة وملوك العجم وملوك الحبشة، فمن أسمائه عامر، وشيبة الحمد، وسيد

(2) الإتحاف بحب الأشراف، عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي، تج: سامي الغريزي: 53.

(3) مناهل الضرب في أنساب العرب، جعفر الأعرجي النجفي (ت1332هـ)، تج: مهدي الرجائي: 31.

(4) م: 31، وينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ)، تج: أمير مهنا: 135/2.

(5) ينظر: مناهل الضرب في أنساب العرب: 32.

(6) خلفاء الرسول (ص)، خالد محمد خالد: 365.

(7) مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب (ع): 49.

(1) مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب (ع): 49، والنصوص القرآنية في: النساء/ من 22، والأنفال/ من 41، والتوبة/ من 19 على التوالي.

البطحاء، وساقى الحبيج، وساقى المغيث، وغيث الورى في العام الجذب، وأبو السادة العشرة، وعبد المطلب، وحافر زمزم، وليس ذلك لمن تقدمه⁽¹⁾.

وبناء على ذلك الاصطفاء جاءت ولادة النبي محمد(ص) متميزة، فقد "روي عن أمه أنها قالت: رأيت لما وضعته نورا بدا مني ساطعا حتى أفرغني، ولم أر شيئا مما يراه النساء"⁽²⁾.

وقد وردت رواية، في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾⁽³⁾ رواها الجمهور عن ابن عباس عن النبي(ص) قال فيها: ((انتهت الدعوة إليّ، وإلى علي، لم يسجد أحدا قط لصنم، فاتخذني نبيا، واتخذ عليا وصيا))⁽⁴⁾.

وبقي رسول الله(ص) "مع أمه آمنة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقربه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام. وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه يؤسس ملكا"⁽⁵⁾.

وجاء هذا المعنى برواية أكثر تفصيلا، هي: "كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) مع جده عبد المطلب وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا فكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأنا ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع"⁽⁶⁾.

وجاء أيضا في رواية تشتمل على معلومات أكثر، هي: "كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إلا هو إجلالا له، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب، فكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يخرج وهو غلام، فيمشي حتى يجلس على الفراش، فيعظم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخروه، فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأنا عظيما إنني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم، إنني أرى غرته غرة تسود الناس، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله، ويقول: ما رأيت قبله أطيّب منه ولا أظهر قط، ولا جسدا ألين منه ولا أطيّب منه، ثم يلتفت إلى أبي طالب؛ وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم واحدة، فيقول: يا أبا طالب إن لهذا الغلام لشأنا عظيما فاحفظه

(2) الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(ت381هـ) 453/2.

(3) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي(ت284هـ) 9/2.

(1) البقرة/124.

(2) نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلي، تعليق: عين الله الحسن الأرموي: 180.

(3) السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير(ت774هـ)، تج: مصطفى عبد الواحد: 240/1.

(4) السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى المعروف بابن سيد الناس(ت734هـ): 55/1.

واستمسك به فإنه فرد وحيد، وكن له كالأم، لا تصل إليه بشيء يكرهه"⁽¹⁾. وفي رواية أخرى تشديد على صفة الأخ الشقيق، بقوله: "فإني قد تركت بني كلهم وأوصيك به لأنك من أم أبيه"⁽²⁾.

وتأكدت وصاية أبي طالب للنبي(ص) حين حضرت الوفاة عبد المطلب، إذ "أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وحياطته"⁽³⁾. وقد روي عن فاطمة بنت أسد ما يدل على اختيار النبي(ص) نفسه لعمه أبي طالب ليكون كفيله، وذلك في قولها: "لما ظهرت أمارة وفاة عبد المطلب قال لأولاده: من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا، فقل له يختار لنفسه، فقال عبد المطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم ثم زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له"⁽⁴⁾.

وبعد وفاة عبد المطلب كفل رسول الله "أبو طالب عمه، فكان خير كافل. وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه. قال علي بن أبي طالب: أبي ساد فقيراً، وما ساد فقير قبله"⁽⁵⁾.

وهنا ينبغي أن نعطي صورة عن الوضع السائد في أثناء بعثة النبي(ص) لنبين مدى اختلاف الرؤية السائدة في ذلك الوقت عن الرؤية المستقيمة التي أسهم الإسلام في نشرها، ولذلك خصصناها بنقطة خاصة.

رابعاً- السياق العربي العام وبعثة النبي(ص): اهتم الإمام علي(ع) اهتماماً كثيراً بالكشف عن الأوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية وغير ذلك، التي كانت سائدة ومهيمنة قبل بعثة النبي(ص) ووقت البعثة، ومن ذلك الكشف ولاسيما في الجانب الديني قوله: "بعث الله سبحانه محمداً رسول الله(صلى الله عليه وآله) لإنجاز عدته وإتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريماً ميلاده وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة وأهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة"⁽⁶⁾. ومن المهم هنا أن نتنبه على النظرة الشمولية في قوله: (وأهل الأرض)، وعلى التقسيم الثلاثي للمنحرفين عن الطريق المستقيم، المتجلي في قوله: (بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره).

ومنه قوله الذي بين فيه آثار ترك طاعة الرحمن، والاتجاه إلى إطاعة الشيطان: "أرسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والأمر الصادع إزاحة للشبهات واحتجاجاً بالبينات وتحذيراً بالآيات

(1) كمال الدين وتام النعمة: 169، وتتنظر: 170-171، وينظر: مواهب الوهاب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب(ع): 53.

(2) كمال الدين وتام النعمة: 170.

(3) السيرة النبوية، ابن كثير: 240/1.

(4) الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي(ت560هـ)، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخراسان: 342/1.

(5) تاريخ يعقوبي: 14/2.

(1) شرح نهج البلاغة: 116/1.

وتخويفا بالمثلثات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سوارى اليقين واختلف النجر وتشئت الأمر وضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الإيمان فانهارت دعائمه وتنگرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه أطاعوا الشيطان فسلخوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت أعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها وقامت على سناكبها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشرّ جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بأرض عالمها ملجَم وجاهلها مكرم⁽¹⁾.

وإذا كان القول السابق عاما في أوله وخاصا في آخره، فإن قوله الآتي يبين اهتمامه الكبير بوصف حال العرب أنفسهم آنذاك: "إن الله بعث محمدا (صلى الله عليه وآله) نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار منيخون بين حجارة خشن وحيّات صمّ تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة"⁽²⁾. وقوله: (خير دار) في القول السابق لا يتقاطع مع قوله: (شرّ دار) في هذا القول، من حيث إن الأول منطلق من ناحية دينية إلهية، وإن الثاني منطلق من نواح جغرافية (منيخون بين حجارة خشن وحيّات صمّ) واقتصادية (تشربون الكدر وتأكلون الجشب) واجتماعية (وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم) فضلا عن الناحية الدينية البشرية (الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة).

وأوضح الإمام علي (ع) الحكمة من بعثة النبي (ص): "إن الله بعث محمدا (صلى الله عليه وآله) وليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بؤأهم محلّتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم"⁽³⁾. وتمثيل قوله (استقامت قناتهم) لاستقامة أحوالهم، ودلالته على القوة والغلبة، واضحا⁽⁴⁾، فضلا عن أن المراد من: (يقرأ كتابا) - كما يبدو - هو الكتاب السماوي.

وكشف (ع) عن كثير من الجوانب جملة واحدة في قوله: "أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم واعتزام من الفتن وانتشار من الأمور وتلظّ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها واغوار من مائها قد درست منار الهدى وظهرت أعلام الردى فهي متجهمة لأهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف"⁽⁵⁾.

وشدد الإمام علي (ع) على صفة الاستقامة في وصف الرسول (ص) في أقوال كثيرة، منها قوله فيما نحن بصدد توصيفه: "سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه

(2) م.ن: 135/1-136. و(النجر): الأصل والحسب. ينظر: لسان العرب: مادة (ن ج ر).

(1) شرح نهج البلاغة: 19/2.

(2) م.ن: 185/2، وتتنظر: 114/7.

(3) ينظر: نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام: 66 (في الهامش).

(4) شرح نهج البلاغة: 387/6.

الفصل وحكمه العدل أرسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة من الأمم⁽¹⁾. و(القصد) في اللغة هو(الاستقامة)⁽²⁾.

وفي(الهفوة) دلالة على "زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين"⁽³⁾.

ومنها قوله: "بعثه والناس ضلال في حيرة وحاطبون في فتنة قد استهوتهم الأهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفقتهم الجاهلية الجهلاء حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل فبالغ(صلى الله عليه وآله) في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة"⁽⁴⁾.

ولما ورد ذكر الفتنة في القول السابق فلا بد من التنبيه من جديد – وإن بطريقة أخرى- على تقسيم آخر لأنواع أتباع الشيطان، ورد عند الإمام علي(ع) في قوله: "أرسله على حين فترة من الرسل وتنازع من الألسن فقضى به الرسل وختم به الوحي فجاهد في الله المدبرين عنه والعادلين به"⁽⁵⁾. فهناك فئة المدبرين عنه، وهناك فئة العادلين به.

ونجد تفصيلاً لمثل هذه القضية، دالا على تمثيل الإمام علي(ع) للرؤية المستقيمة، في قوله: "فأشهد أن من شبّهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقاف مفاصلهم المحتجة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك، وكأنه لم يسمع تبرؤ التابعين عن المتبوعين إذ يقولون: ﴿تَاللّٰهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾! كذب العادلون بك، إذ شبهوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم، وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائع عقولهم. وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعدل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك"⁽⁶⁾.

ومما ربط بين أجزاء ما تقدم، فكشف عن الغاية من البعثة وعن وجوب المعرفة لله سبحانه وتعالى، قوله(ع): "فبعث الله محمدا(صلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه وليقرّوا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه"⁽⁷⁾.

وإذا كان هذا القول يشتمل على تحديد لنوع من المعبودات الباطلة وهو الأوثان، وعلى وصف ديني للسمة المهيمنة على الناس، وعلى تقسيم فئوي ثلاثي، هو: الفئة الجاهلة، والفئة الجاحدة، والفئة المنكرة، فإنه يحدد صفات نفسية وعقلية اتسمت بها

(5) م.ن: 62/7.

(6) ينظر: لسان العرب: مادة(ق ص د)، ونهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام: 158(في الهامش).

(1) نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام: 158(في الهامش).

(2) شرح نهج البلاغة: 66/7.

(3) م.ن: 274/8.

(4) م.ن: 413/6. والنص القرآني في: الشعراء/97-98.

(1) شرح نهج البلاغة: 103/9.

طباع أولئك الناس، في قوله: "أضاعت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة الجافية والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحكيم يحيون على فترة ويموتون على كفره"⁽¹⁾، وفي قوله: "أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانتقاض من المبرم"⁽²⁾. وفي هذا دلالة على نوم الغفلة في ظلمات الجهالة، وانتقاض الأحكام الإلهية التي أبرمت على السنة الأنبياء⁽³⁾.

وبين أفعال الرسول(ص) بأمر الله وبتوقيقه، في قوله: "أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبيّن به الأحكام المفصولة"⁽⁴⁾، في وقت ابتعثه الله سبحانه فيه: "والناس يضربون في غمرة ويموجون في حيرة قد قادتهم أزمنة الحين واستغلقت على أفئدتهم أقفال الرين"⁽⁵⁾. وفي(أقفال الرين) دلالة على حجاب الضلال، وفي(الغمرة) دلالة على شدة الفتن وبلاياها⁽⁶⁾.

وكان التشديد على صفة الاستقامة عند الرسول(ص) وعلى أمره(ص) باتخاذها سبيلا، أمرا واضحا المعالم والدلالة في أقوال الإمام علي(ع)؛ ومن ذلك قوله: "أرسله وأعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى إلى الرشد وأمر بالقصد(صلى الله عليه وآله)"⁽⁷⁾. وهذا الأمر - كما يؤكد(ع) - ليس سهلا ولا سيما أن الله سبحانه وتعالى: "بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح"⁽⁸⁾.

ولما كان القرآن هو العنصر الآخر الفاعل في صوغ البنية الذهنية للإمام علي(ع)، أفردنا له نقطة خاصة، بوصفه مصدر تشريع لتلك البنية ولرؤيتها المستقيمة، وبحديث يتكامل مع ما أوردناه منه في الحديث عن الاستقامة وعن البنية الذهنية عند الأنبياء السابقين(ع)، من حيث تشديده على مواطن آخر في الآيات القرآنية الواردة هناك، أو ذكره لآيات لم تذكر، ومن الطبيعي أن ذلك الذكر الكثير بتجلياته المتنوعة في القرآن - كما سنرى - له غاياته التي منها تثبت أهمية الاستقامة وأهمية تمثلها قولا وفعلًا، ومن حيث إن القرآن يمثل وأحاديث النبي محمد(ص) وسيرته الشريفة، السياق الخاص القريب من الإمام علي(ع) زمانا ومكانا.

خامسا- الاستقامة في القرآن الكريم: إذا ما نظرنا بتفحص إلى الآيات القرآنية التي اشتغلت على الاستقامة فسنعدها متنوعة الاتجاهات متحدة الهدف؛ فمنها ما فيه تصريح بأن عبادة البشر لله سبحانه - وهي طريقه - استقامة، قال تعالى:

(2) م.ن: 137/9.

(3) م.ن: 217/9.

(4) ينظر: نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام: 256(في الهامش).

(5) شرح نهج البلاغة: 237/9.

(6) م.ن: 115/13.

(7) ينظر: نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام: 328(في الهامش).

(1) شرح نهج البلاغة: 170/10.

(2) م.ن: 176/10.

❖ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (1).

❖ ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (2).

❖ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَن اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (3).

❖ ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (4).

ومنها ما فيه أمر للنبي(ص) ولأتباعه الصالحين بالاستقامة، قال تعالى:

● ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (5). وهذا يعني إن "طريق الاستقامة هذه تسير بعكس طريق الطغيان" (6).

● ﴿فَإِذْ لَكَ فِادَعٌ وَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُم لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (7).

ومنها ما فيه وصف للنبي(ص) بأنه على استقامة، قال تعالى:

○ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (8).
○ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (9).

○ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (10).

○ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (11).

(3) آل عمران/100-101.

(4) الأنعام/126.

(1) يس/60-62.

(2) الملك/22.

(3) هود/112-113.

(4) الاستقامة في مائة حديث نبوي(كتاب في شبكة المعلومات)، د. محمد زكي محمد خضر:1.

(5) الشورى/15.

(6) الزخرف/43.

(7) الحج/67.

(8) يس/3-4.

(1) الشورى/52-53.

ومنها ما فيه أمر بالتصريح بهداية الله له (ص) إلى الاستقامة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (1).

ومنها ما فيه وصف للرسول (ص) بأنه يدعو إلى الاستقامة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (2).

ومنها ما فيه وصف للرسول الكريم (ص) بأنه يأمر بالاستقامة، قال تعالى:

■ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (3).

■ قال تعالى في صد قوم النبي (ص) عن عيسى لما ضرب مثلاً: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (4).

■ وأمره الله تعالى أن يخاطب الناس يدعوهم للاستقامة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (5).

ومنها ما فيه وصف بأن ما جاء به النبي (ص) يهدي إلى الاستقامة، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (6). ومن مثل ذلك توصل بعضهم إلى القول: أعلن نبي الإسلام (ص) أن العقيدة في الشريعتين اليهودية والمسيحية "قد حرفت وبدلت وأخرجت عن جوهرها الصحيح الأصل، وأنه قد بعث ليعيد هذه العقيدة إلى جوهرها الأصل. ولقد قال نفس ما قاله الأنبياء السابقون وأراد تحقيق ما أرادوا تحقيقه" (7).

ومنها ما فيه تصريح من النبي (ص) بأنه على استقامة، قال تعالى حكاية عن النبي (ص) بعد ذكر القرآن: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (8).

ومنها تصريح بكون الهداية إلى الاستقامة - سواء أكانت للرسول (ص) أم لغيره - ثواباً إلهياً، قال تعالى:

1) في حادثة مبايعة الشجرة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (1).

(2) الأنعام/161.

(3) المؤمنون/73.

(4) مريم/35-37.

(5) الزخرف/61.

(6) فصلت/6-7. وينظر: الاستقامة في مائة حديث نبوي: 1.

(1) المائدة/15-16.

(2) تحليل علمي للإيديولوجية الإسلامية: 72، والآيات الأخر هي في: البقرة/41، 89، 91، 97، 101، وآل عمران/3، 50، 81، والنساء/47، والمائدة/19، 49.

(3) الأنعام/153.

- (2) ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (2).
- (3) ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِيْبًا * وَإِذْ لَا تَنِيَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (3).
- (4) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (4).
- (5) ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (5).

ومنها ما يدل على ثواب الاستقامة عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (6)، "فالمسلمون قد مضوا بشطر هذه الآية حيث قالوا ربنا الله فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً (ص) رسول الله.. أما الشطر الثاني فمعظمهم بعيد عنه... قد وعدهم الله، ووعد الله حق.. إذا ما استقاموا أن تنزل عليهم الملائكة وهي تنادي أن لا تخافوا.. ولا تحزنوا.. وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.. فالحزن بعيد عن استقام.. والخوف بعيد عنه.. وله البشرى.. وله الرزق الحسن" (7)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (8).

- ومنها ما فيه تصريح بأن اختيارها والوصول إليها مشيئة إلهية، قال تعالى:
- أ- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (9).
- ب- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (10).
- ت- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (11).
- ث- ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (1).

(4) الفتح/1-2.

(5) الفتح/20.

(6) النساء/66-68.

(7) النساء/175.

(1) الحج/54.

(2) فصلت/30-32.

(3) الاستقامة في مائة حديث نبوي:1.

(4) الأحقاف/13-14.

(5) البقرة/142.

(6) الأنعام/39.

(7) التكويد/25-29.

- ج- ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (2).
ومنها ما يدل على أهمية الاستقامة في أمور الحياة ومعاملاتها، قال تعالى:
1. قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (3).
2. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (4).
3. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (5).

بل إن أول دعاء المؤمنين في القرآن هو الدعاء بالهداية إلى الاستقامة، قال تعالى تعليماً: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (6).

وجاء في القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَأَلِّمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْفَيْنَاهُمْ مَاءَ غَدَقًا * لَنَقْفِتْنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (7). وما الطريقة التي تريد الآية الاستقامة عليها سوى الطريقة التي سار عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو أول من سلك طريقة الاستقامة قدوة لهذه الأمة مستجيباً لأمر الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ﴾ وليس ذلك وحده.. بل ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ (8).
ولتبين أثر تلك الآيات القرآنية في جعل الاستقامة عنصراً في صوغ البنية الذهنية للمسلمين ورؤيتها، أثرنا أفراد عدد منهم بنقطة خاصة لكشف ذلك.

سادساً- الاستقامة في فكر عدد من المسلمين: ورد في الأحاديث الشريفة للنبي (ص) ما يؤكد أن الاستقامة هي لب الإسلام، ومن ذلك ما روي عن أبي عمرو- وقيل أبي عمرة- سفيان بن عبد الله أنه ((قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، وفي حديث أبي أسامة: غيرك. قال: قل: آمنت بالله، فاستقم)) (9)، ومن ذلك قوله (ص) في حديث ثوبان: ((استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)) (10)، وما روي عن أنس بن مالك أنه قال: ((قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا يستقيم إيمان عبد حتى

(1) يونس/25.

(2) النور/46.

(3) التوبة/7.

(4) النحل/76.

(5) الإسراء/35.

(6) الفاتحة/6-7.

(7) الجن/16-17.

(8) الاستقامة في مائة حديث نبوي: 1، والنص القرآني من: هود/112.

(1) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ): 47/1.

(2) مسند أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، أحمد بن حنبل (ت241هـ): 377/5.

يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه⁽¹⁾.

وقد بدأ عدد من الصحابة يوصون بها من يسألهم ، ومنهم ابن عباس؛ فـ((عن عثمان بن حاضر الأزدي قال دخلت على ابن عباس فقلت أوصني. فقال نعم عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تتبدع))⁽²⁾.

وجاء في الشعر أيضا ما يسير بهذا الاتجاه؛ فهذا حسان بن ثابت يقول في حق الرسول(ص)[من بحر الطويل]⁽³⁾:

عزيزٌ عليه أن يحدوا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
وظهرت الاستقامة بصورة جلية عند الإمام علي(ع)، إذ قال في إحدى خطبه مشددا على أهمية الاستقامة: "العمل العمل ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع الورع"⁽⁴⁾، ثم قال مقدما نصائح للناس: "ألا وإن القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورد وإني متكلم بعدة الله وحجته قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبدعوا فيها ولا تخالفوا عنها فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة"⁽⁵⁾، وانتقل بعد ذلك إلى أثر اللسان في الاستقامة: "ثم إياكم وتهذيب الأخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليخزن الرجل لسانه فإن هذا اللسان جموح بصاحبه والله ما أرى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه وإن لسان المؤمن من وراء قلبه وإن قلب المنافق من وراء لسانه لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه فإن كان خيرا أبداه وإن كان شرا واره وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ما ذا له وما ذا عليه ولقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)) فمن استطاع منكم أن يلقي الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم سليم اللسان من أعراضهم فليفعل"⁽⁶⁾.
وقال في خطبة أخرى: "وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى"⁽⁷⁾.

وورد عنه أنه جعل السلامة مع الاستقامة، إذ قال: "السلامة مع الاستقامة"⁽⁸⁾.
ولكون الاستقامة ظهرت هذا الظهور عنده(ع)، ولكونه الشخصية المبحوث في نتائجها، أثرنا أن نفرّد للإمام علي(ع) نقطة خاصة نتابع فيها حياته.

(3) م.ن: 198/3.

(4) سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت255هـ): 53/1.

(5) ديوان حسان بن ثابت، شرح وضبط نصوصه وقدم له: د. عمر فاروق الطباع: 56.

(6) شرح نهج البلاغة: 24/10.

(1) شرح نهج البلاغة: 24/10 - 25، والنص القرآني في: فصلت/30.

(2) م.ن: 28/10.

(3) م.ن: 91/2.

(4) الدعوات، قطب الدين الراوندي(573هـ)، تج: مدرسة الإمام المهدي(عج): 113.

سابعا- الإمام علي(ع): لو تابعنا حياة الإمام علي(ع) لوجدنا معلومات مهمة جدا؛ فقد ولد(ع) سنة ثلاثين من عام الفيل، بمكة في بيت الله العتيق بعدما انشق جداره لأمه(فاطمة بنت أسد) حينما أحست بوجع الولادة، ولم يولد هناك(ببطن الكعبة) أحد قبله ولا بعده، وهي كرامة خصه الله بها إجلالا لمحلّه، وإعلاء لمرتبتّه، وإظهارا لتكريمته⁽¹⁾. وقد قال السيد الحميري في ذلك[من بحر الكامل]⁽²⁾:

ولدت في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد

ولم يتدنس(ع) بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان وغيرها، فلم يسجد لصنم قط، ولم يشرك بالله طرفة عين⁽³⁾.

ولما كان عمره(ع) ستة أعوام، عصفت بقريش أزمة اقتصادية من قحط نالهم، فأشار الرسول(ص) قبل بعثته على عمه العباس بالانطلاق معه إلى أبي طالب الذي كان كثير العيال، ليكفوا أباهم مؤنتهم، ليخففوا عنه ثقل عياله، فقبل أبو طالب على أن يتركاه له عقيلا، فأخذ الرسول(ص) عليا وضمه إليه⁽⁴⁾، وأخذ العباس طالبا، وأخذ حمزة جعفرا⁽⁵⁾، "فقال رسول الله(ص): اخترت من اختار الله لي عليكم عليا"⁽⁶⁾. فكان مما أنعم الله به على علي(ع) في هذه الكفالة "أنه كان في حجر رسول الله(ص) قبل الإسلام"⁽⁷⁾. وقد شكلت هذه الأزمة الاقتصادية وتلك التربية للإمام(ع) في حجر الرسول(ص) مفتاحا إيديولوجيا وعلامة كبيرة ستنبني عليهما البنية الإيديولوجية للإمام(ع). "وكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء، وعلي بن

(1) ينظر: أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني(ت329هـ)، ضبطه وصححه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين: 524/1، ومروج الذهب ومعادن الجوهر: 366/2، وكنز الفوائد، أبو الفتح محمد بن علي الكراكي(ت449هـ): 255/1، والمناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي(ت568هـ)، تح: مالك المحمودي: 12، وعمدة عيون صحاح الأخبار، ابن بطريق شمس الدين ابن الحسن الأسدي(ت600هـ)، تح: مالك المحمودي وآخر: 67/1، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي المعروف بابن عنبه(ت828هـ)، تح: محمد حسن آل الطالقاني: 55، ومناهل الضرب في أنساب العرب: 84.

(2) ديوان السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة المعروف بالسيد الحميري، شرحه وضبطه وقدم له: ضياء حسين الأعلمي: 70.

(3) ينظر: الأمالي، الشيخ المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري(ت413هـ)، تح: الحسين استناد ولي علي أكبر غفاري: 236، ومعرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحق(ت430هـ)، تح: محمد حسن إسماعيل وآخر: 99/1، وأمالي الشيخ الطوسي، أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي، تقديم: محمد صادق بحر العلوم: 265، وإعلام الوري بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت548هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: 360، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، تح: علي محمد معوض وآخر: 92/4، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج جمال الدين بن يوسف بن عبد الرحمن المدني، تح: عمرو سيد شوكت: 321/7، والكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم المعروف بابن الأثير: 57/2.

(4) ينظر: مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني(ت356هـ)، شرح وتحقيق: أحمد صقر: 41، وكنز الفوائد: 255/1-256، والبداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت774هـ)، تح: علي شيري: 25/3.

(1) ينظر: مقاتل الطالبين: 41.

(2) م.ن: 41.

(3) معرفة الصحابة: 99/1، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت852هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخر: 464/4.

أبي طالب من الرجال" (1)، وعمره آنذاك-على ما يروى-عشر سنين (2)، وقيل تسع سنوات (3).

وقد ورد في الأحاديث النبوية ما يكشف عن سابقته في الإسلام، ومن ذلك قوله (ص): ((علي أول من آمن بي، وأول من يضافني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، والفروق بين الحق والباطل، وإنه يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة)) (4)، وقوله: ((وهو أول من آمن بي وآخر الناس عهدا بي)) (5)، وما يكشف عن منزلة خديجة بنت خويلد، ومن ذلك قوله (ص): ((أفضل نساء أهل الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)) (6).

وقد ذكر (ع) إيمانه بنفسه، إذ قال: "والله لأنا أول من صدّقه، فلا أكون أول من كذب عليه" (7)، وقال في مناسبة أخرى عن الله تعالى: "أنا أول من آمن به" (8)، يعني بعد النبي (ص)، وقال عن النبي (ص): "أنا أول من صدّقه" (9). وقد روي أن النبي (ص) استنّب "يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء" (10).

ويعرض (ع) في مناسبة أخرى تفصيلات كثيرة تبين جوانب من تشكل بنيته الذهنية؛ منها: "ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة ولقد سمعت رثة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) فقلت يا رسول الله ما هذه الرثة فقال هذا الشيطان قد أيس من عبادته إنك تسمع ما أسمع وتري ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير وإنك لعلّ خير" (11)، بعد أن أشار (ع) إلى أبعاد التربية التي حظي بها من لدن أستاذه ومربيه النبي (ص)، ومداهها وعمق أثرها: "وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في

(4) تاريخ البعقوبي: 23/2. وينظر: كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تح: د. علي محمد عمر: 20/3، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 92/4، وأمالى الشيخ الطوسي: 265، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: 133/1، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: 320/7-321، والإصابة في تمييز الصحابة: 464/4.

(5) ينظر: معرفة الصحابة: 99/1، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: 321/7.

(6) ينظر: كتاب الطبقات الكبير: 19/3.

(7) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت413هـ): 31-32.

(8) م.ن: 37.

(9) الخصال: 206/1، وينظر: نادر الأصول في أحاديث الرسول، أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، تح: د. عبد الرحمن عميرة: 182.

(1) شرح نهج البلاغة: 284/2.

(2) م.ن: 127/6.

(3) م.ن: 127/6.

(4) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت597هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخر: 67/5.

(5) شرح نهج البلاغة: 197/13.

فعل⁽¹⁾، وبعد أن كشف عن أمر خاص جدا ومهم، بقوله: "ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري"⁽²⁾.

وكانت أمه (فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف) - وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي⁽³⁾ - من بين الذين أسلموا قبل الهجرة، بل قيل إنها كانت حادية عشرة في السابقة إلى الإسلام⁽⁴⁾، "وكانت صالحة، وكان رسول الله (ص) يزورها ويقبل في بيتها"⁽⁵⁾.

وليس هناك في الحقيقة أي تنازع بين رأي الأكثرية ورأي الباقيين، المعروضين في قول المسعودي: "وقد تنوزع في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وإسلامه، فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئا فيستأنف الإسلام، بل كان تابعا للنبي (ص) في جميع أفعاله مقتديا به، وبلغ وهو على ذلك، وأن الله عصمه وسدده ووقفه لتبعيته لنبيه عليه السلام؛ لأنهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات، بل مختارين قادرين، فاختارا طاعة الرب، وموافقة أمره، واجتناب منهياته، ومنهم من رأى أنه أول من آمن، وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، وكان بدؤه بعلي"⁽⁶⁾، من حيث إن ما حصل قبل نزول القرآن كان على الفطرة التي فطرهما عليها رب العالمين، وحافظا على نقاوتها واتجاهها الصحيح أشد المحافظة بتسدسد إلهي، وما حصل بعد نزوله كان- كما ورد في نص المسعودي نفسه- موضع تكليف يوجب الاستجابة والطاعة. روي عن النبي (ص) أنه قال: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه)⁽⁷⁾، وبرواية أخرى: ((كل إنسان تلده أمه على الفطرة، أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم))⁽⁸⁾.

وسئل أبو عبد الله الصادق (ع) عن قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁽⁹⁾، فقال: التوحيد⁽¹⁰⁾. وجاء في رواية عنه (ع): "هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد"⁽¹¹⁾.

وحين آخى النبي (ص) بين المسلمين فيما بينهم في مكة قبل الهجرة على الحق والمواساة، جعل عليا (ع) أخاه هو (ص) دون غيره، وقال له: ((أنت أخي في الدنيا

(6) م.ن: 13/197.

(7) م.ن: 13/197.

(1) تاريخ بغداد أو مدينة السلام: 133/1، وينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 316/7.

(2) ينظر: مقاتل الطالبين: 28، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 213/3.

(3) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 213/3، وينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 316/7.

(4) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 291/2-292، والنص القرآني في: الشعراء: 214.

(5) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 28/9.

(6) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول: 97/1.

(1) الروم/من 30.

(2) التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381هـ): 328.

(3) ينظر: م.ن: 329.

والآخرة⁽¹⁾. ولا شك في أن لتلك المؤاخاة ولغيرها الأثر البارز في صوغ البنية
الذهنية للإمام (ع) وفي تمثل الرؤية المستقيمة.
وأظهر الإمام علي (ع) إحساسه العميق بتلك الأخوة على المستويات كلها، حينما
بات على فراش النبي (ص) فاديا إياه بنفسه، لما أجمع المشركون أمرهم على قتل
النبي (ص)⁽²⁾.
وفي الروايات ما يشير صراحة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾⁽³⁾ نزل في الإمام علي (ع) ومبيته تلك الليلة
على فراش النبي (ص)⁽⁴⁾.
ولم يكن موقف رد الأمانات والودائع التي كان عند النبي (ص) الذي كلفه به،
بأقل دلالة على إحساسهما معا بتلك الأخوة، وعلى الفدائية والبذل والتضحية من أجل
الدين والمرسل به⁽⁵⁾.
ولما نزل النبي (ص) المدينة، وأخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة
والحق، جعل عليا أخاه أيضا، وقال له: ((أنت أخي في الدنيا والآخرة))⁽⁶⁾.
وهذه الأخوة لم تكن لأحد غير علي (ع)⁽⁷⁾ ولا سيما أن المبدأ العام للمؤاخاة كان
بين مهاجر وأنصاري، ومؤاخاتهما كانت بين مهاجر ومهاجر، مما يجعل مؤاخاتهما
مؤاخاة خاصة ذات أبعاد متنوعة.
ومن معالم بنيته (ع) دينيا قوله: "ما شككت في الحق مذ أريته"⁽⁸⁾، وقوله: "ولقد
علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) أنني لم أرد على الله ولا
على رسوله ساعة قط"⁽⁹⁾.
ومما يكشف عن قوته الإيمانية ما روي عن أن النبي (ص) حينما ارتدت كتيبتان
إسلاميتان أمام حصن خيبر، "ألقى على الصفوف الحافلة بأصحابه وبجيشه نظرة
متفائلة"⁽¹⁰⁾، وقال: ((لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله

(4) ينظر: سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ)، حققه
وصححه: عبد الوهاب عبد اللطيف: 979، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 88/4، وتهذيب الكمال في أسماء
الرجال: 322/7، والسيرة النبوية المسمى عيون الأثر: 264/1، والبداية والنهاية: 226/3.

(5) ينظر: كنز الفوائد: 55/2، وأمالى الشيخ الطوسي: 258، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 47/3، والكمال
في التاريخ: 103/2، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 92/4.

(6) البقرة: 207.

(7) ينظر: أمالي الشيخ الطوسي: 258.

(8) ينظر: الكامل في التاريخ: 103/2، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 92/4، وخلفاء الرسول (ص): 397.

(1) ينظر: كتاب الطبقات الكبير: 20/3-21، ومروج الذهب ومعادن الجوهر: 446/2، والإرشاد في معرفة
حجج الله على العباد: 37، والفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت413هـ)، تح: علي شيري: 659، وإعلام
الورى بأعلام الهدى: 363، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 74/3، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 88/4،
104، والسيرة النبوية المسمى عيون الأثر: 264/1-265، والإصابة في تمييز الصحابة: 464/4.

(2) ينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: 37.

(3) شرح نهج البلاغة: 207/1.

(4) م: 179/10.

(5) خلفاء الرسول (ص): 401.

ورسوله يفتح الله على يديه))، ثم أعطاها لعلّي(ع) ففتح الله على يده حصن خيبر بعد أن اقتلع بابه⁽¹⁾.

وقال عمر بن الخطاب- وهو صاحب الكتيبة الثانية- "ما تمنيت الإمارة قط إلا ذلك اليوم، رجاء أن أكون من يحبه الله ورسوله"⁽²⁾. وكان عمر بن الخطاب قد أخذ اللواء "ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر؛ فأنكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله(ص) يجنبه أصحابه، ويجبنهم فقال رسول الله(ص): ((لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله))، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا عليا، [...] وأعطاه اللواء، و [...] فتح الله له ولهم"⁽³⁾، وبعبارة أخرى: "فلما قال رسول الله(ص) مقالته هذه تطاولت لها قريش"⁽⁴⁾، وبعبارة ثالثة: "فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، كلهم يرجو أن يعطاها"⁽⁵⁾.

ومن المواقف التي أسهمت في تثبيت منزلة الإمام علي(ع) من النبي(ص)، غزوة تبوك؛ فقد خلفه(ص) "على أهله وأمره بالإقامة فيهم، [...] فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب، وقالوا: ما خلفه إلا استثقلا له، وتخففا منه، فلما قال ذلك المنافقون، أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله(ص) وهو بالجرف، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني، وتخففت مني، فقال(ص): كذبوا ولكني إنما خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي! فرجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله(ص) على سفره"⁽⁶⁾.

وهذه المنزلة - منزلة هارون من موسى- تكفل القرآن الكريم "تفسيرها، وإيضاح أبعادها، ولم يدع للناس فرصة تأويلها. فقد حكى القرآن الكريم عن موسى(ع) دعاءه: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾، وقال تعالى حكاية عن موسى(ع): ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي

(6) ينظر: صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: 659، وتاريخ يعقوبي: 36/2-37، والتقات، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت354هـ): 12-13، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 62/1، وإعلام الوري بأعلام الهدى: 364، والمناقب: 74، والسيرة النبوية المسمى عيون الأثر: 135/2، ومعرفة الصحابة: 102/1، وخلفاء الرسول(ص): 401.

(7) خلفاء الرسول(ص): 401.

(1) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مراجعة: نواف الجراح: 441/2-442.

(2) الكامل في التاريخ: 219/2.

(3) مسند أحمد: 333/5، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: 466/4.

(4) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: 473/2-474، وينظر: كتاب الطبقات الكبير: 22/3، والتاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري(ت256هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا: 117-118، ومروج الذهب ومعادن الجواهر: 446/2، وأمالى الشيخ الطوسي: 258، وتهذيب تاريخ دمشق الكبير، أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر(ت571هـ): 108/1-109، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 286/5، وسير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا: 458/2، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: 322/7، والإصابة في تمييز الصحابة: 464/4.

قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿﴾ فتلك هي منزلة هارون (ع) من موسى (ع)، وهي بعينها منزلة علي من محمد (ص) إلا النبوة⁽¹⁾.
ولذلك فمن معالم بنيته (ع) عسكريا ودينيا ما نجده في قوله: "لقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب وإني لعلّى يقين من ربي وفي غير شبهة من ديني"⁽²⁾، وفي قوله: "أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر"⁽³⁾، وفي قوله يصف نفسه (ع) والمؤمنين: "ولقد كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) نقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماننا وتسليما ومضيّا على اللقم وصبرا على مضض الألم وجداً في جهاد العدو [...] ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما رأنا الله صدقا صبرا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر"⁽⁴⁾، وقوله كاشفا عن حالته الخاصة مع النبي (ص): "ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام نجدة أكرمني الله بها"⁽⁵⁾.

ومن ذلك الإكرام الإلهي أن الرسول (ص) اتبع أمرا إلهيا بسد أبواب المسجد غير باب علي (ع)⁽⁶⁾. وروي عن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن الرقيم الكناني أنه "قال خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها فقال أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي (رضي الله عنه)"⁽⁷⁾، وروي عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر أنه قال: ((لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم زوجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ابنته وولدت له وسدّ الأبواب إلا بابيه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر))⁽⁸⁾.

وروي عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم أنه ((قال كان لنفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبواب شارعة في المسجد. قال فقال يوما: سدّوا هذه الأبواب إلا باب علي. قال فتكلّم في ذلك الناس. قال فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنني أمرت بسدّ هذه الأبواب إلا باب علي وقال فيه قائلكم وإني والله ما سدّدت شيئا ولا فتحتة ولكني أمرت بشيء فاتّبعته))⁽⁹⁾.

(1) منهج في الانتماء المذهبي، صائب عبد الحميد: 74-75، والنصوص القرآنية في: طه/29-32، والفرقان/35، والأعراف/142 على التوالي.

(2) شرح نهج البلاغة: 303/1.

(3) م.ن: 13/197.

(4) م.ن: 2/240.

(5) م.ن: 10/179.

(6) ينظر: التاريخ الكبير: 408/1، وأمالى الشيخ الطوسي: 610، والمناقب: 74،

(1) مسند أحمد: 1/175.

(2) م.ن: 2/26.

(3) م.ن: 4/369.

ومما يكشف عن القدرة التوصيلية للإمام علي(ع) ومنزلته عند أهل اليمن، ما ورد عن أن النبي(ص) بعثه "إلى اليمن وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأرسل عليا وأمره أن يعقل خالدا ومن شاء من أصحابه، ففعل، وقرأ علي كتاب رسول الله(ص) على أهل اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد"،⁽¹⁾.

وحين نزلت سورة براءة، وأرسل النبي(ص) أبا بكر بها إلى أهل مكة، أرسل خلفه علي بن أبي طالب ليقوم بالمهمة، ولما سأل أبو بكر عن السبب، قال: ((لا يؤدي عني إلا أنا أو علي))⁽²⁾، وروي: "أو رجل مني"⁽³⁾، وبرواية أخرى: "بعث رسول الله(صلى الله عليه وآله) أبا بكر ببراءة فلما أتى ذا الحليفة أتبعه عليا (ع) فأخذها منه قال أبو بكر: يا علي ما لي أنزل في شيء؟ قال: لا ولكن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي، قال فرجع إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟ قال: لا، ولكن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي"⁽⁴⁾. ومما يقترب من دلالة هذا الأمر، قوله(ص): ((علي مني وأنا من علي))⁽⁵⁾.

وكشف(ع) عن ملازمته النبي(ص) إلى آخر لحظة: "ولقد قبض رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وإن رأسه لعلى صدري ولقد سألت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي ولقد وليت غسله(صلى الله عليه وسلم) والملائكة أعواني فضجت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا أحق به مني حيا وميتا"⁽⁶⁾.

ومما يتصل بأهل بيته(ع)، ما "روي عنه(عليه السلام) أنه قال: كان الحسن في حياة رسول الله(ص) يدعوني أبا الحسين، وكان الحسين يدعوني أبا الحسن، ويدعوان رسول الله(ص) أباهما، فلما توفي رسول الله(ص) دعواني بأبيهما"⁽⁷⁾، وما روي من أن النبي(ص) دخل على فاطمة وعندها الحسن والحسين(ع)، "فقال النبي(ص) أرسلوا إلى علي، فجاء فأكلوا، ثم اجتر بساطا كانوا عليه فجللهم به ثم قال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا))"، فسمعت أم سلمة، فقالت: يا رسول الله، وأنا منهم، فقال: ((إنك على خير))"⁽⁸⁾.

(4) الكامل في التاريخ: 300/2، وينظر: تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: 483/2، وفيه: "فأقام [خالد] عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء [...] وأمره أن يعقل خالدا".

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار: 84/10، وينظر: عمدة عيون صحاح الأخبار: 247/1.

(6) مسند أحمد: 3/1، وينظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه(ت381هـ): 190/1.

(1) علل الشرائع: 189/1، وينظر: السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت303هـ)، تح: د. عبد الغفار سليمان البنداري وآخر: 128/5-129، وأمالى الشيخ الطوسي: 548،

(2) أمالي الشيخ الطوسي: 277، وينظر: عمدة عيون صحاح الأخبار: 247/1.

(3) شرح نهج البلاغة: 179/10، وينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: 37.

(4) مقاتل الطالبيين: 39.

(5) أسد الغابة في معرفة الصحابة: 45/4.

ومن ذلك ما روي عن النبي(ص)، إذ قال: ((فاطمة سيدة نساء العالمين))⁽¹⁾.
ومنه قوله(ص): ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))⁽²⁾.
ويرتبط بذلك ما رواه العباس إذ قال: "كنت جالسا عند رسول الله(ص) إذ دخل عليه علي(ع) فسلم فرد النبي(ص) السلام وقام إليه وعانقه وقبل ما بين عينيه، فقال له العباس: يا رسول الله أتعبه؟ فقال: ((يا عم والله، الله أشد حبا له مني، والله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا))"⁽³⁾، وما روي عنه(ص) إذ قال: ((كذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا)) يعني عليا(عليه السلام)⁽⁴⁾، وإذ قال: ((أحب إخواني إلي، علي بن أبي طالب))⁽⁵⁾، وما روي عن الإمام نفسه، إذ قال: "عهد إلي رسول الله(ص): إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"⁽⁶⁾، وإذ قال: "إن النبي أخذ بيد الحسن والحسين وقال: ((من أحبني وأحب هذين وعلياً وفاطمة كان معي في درجتي يوم القيامة))"⁽⁷⁾، وما روي عن عائشة، إذ قالت: "كنت عند النبي(ص) فأقبل علي بن أبي طالب(ع) فقال: ((هذا سيد العرب)). فقلت: يا رسول الله أأنت سيد العرب؟ قال: ((أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب)). قلت: وما السيد؟ قال: ((من افترض طاعته كما افترضت طاعتي))"⁽⁸⁾.
وقصة الطائر الذي أهدى إلى النبي(ص) تبين أنه كان دعا الله سبحانه وتعالى بأن يأتيه بأحب خلقه إليه ليأكل معه، فجاء علي(ع)⁽⁹⁾. قال أنس واصفا ذلك الموقف: "فقرع الباب، فقلت إن رسول الله(ص) مشغول، وكنت أحب أن يكون رجلا من الأنصار، ثم إن عليا فعل مثل ذلك، ثم أتى الثالثة فقال رسول الله(ص): ((يا أنس أدخله فقد عنيته))"⁽¹⁰⁾.
وصرح النبي(ص) بالمكانة العلمية للإمام علي(ع)، ومن ذلك قوله لفاطمة(عليها السلام) عنه: ((وعنده علم الأولين والآخرين))⁽¹¹⁾، وقوله: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليقتبس من علي))⁽¹²⁾.

(6) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تح: لجنة: 115/3، وينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: 37.

(1) البرهان في تفسير القرآن: 115/3.

(2) الإتحاف بحب الأشراف: 91.

(3) روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي: 52، وينظر: بشارة المصطفى(ص) لشيعه المرتضى(ع)، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري(ت525)، تح: جواد القيومي الأصفهاني: 194.

(4) ينظر: عمدة عيون صحاح الأخبار: 368/2، وتتنظر: 369.

(5) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: 40.

(6) الإتحاف بحب الأشراف: 78، وينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: 104/4، وروضة الواعظين: 174-175.

(7) نهج الحق وكشف الصدق: 102، وينظر: البرهان في تفسير القرآن: 114/3.

(8) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: 446/2، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 105/4، وسير أعلام النبلاء: 460/2.

(1) أسد الغابة في معرفة الصحابة: 105/4.

(2) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: 37.

(3) م: 33.

وجاء عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إنه علي(ع)⁽¹⁾.
وصرح عمر بن الخطاب بتلك المكانة، بقوله: "علي أفضانا"⁽²⁾، وبقوله: "أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن"⁽³⁾.

وقد كان المسلمون يستشعرون مكانة الإمام علي(ع)، ومن ذلك ما روي عن الشعبي من أنه "قال: رأى أبو بكر علياً فقال: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة من رسول الله(ص) وأقربه قرابة وأفضله دالة وأعظمه غناء عن نبيه فليتنظر إلى هذا"⁽⁴⁾، وما روي عن سلمان، إذ قال: "إن أول هذه الأمة وروداً على رسول الله(ص) أولها إسلاماً علي بن أبي طالب"⁽⁵⁾، وما روي عن أبي إسحق، إذ قال: "قيل لقثم بن العباس: كيف ورث علي رسول الله(ص) دونكم؟ قال: إنه كان أولنا به لحوقاً، وأشدنا به لزوقاً"⁽⁶⁾، وما روي عن أبي ذر، إذ قال: سمعت رسول الله(ص) وهو يقول: خلقت أنا وعلي من نور واحد نسب الله يمناً العرش قبل أن خلق آدم بألفي عام فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد هم بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف بإبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب، فقسماً بنصفين فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً في صلب أبي طالب، وجعل في النبوة والبركة، وجعل في علي الفصاحة والفروسية، وشق لنا اسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، والله الأعلى وهذا علي"⁽⁷⁾.

ومما يتصل بأمر النور أن العرب كانت تعد علم الأنساب والتواريخ والأديان نوعاً من العلوم شريفاً لما فيه من معرفة بأنساب أجداد النبي(ص)، ومن اطلاع "على ذلك النور الوارد من صلب إبراهيم إلى إسماعيل(عليهما السلام)، وتواصله في ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور في أسارير عبد المطلب[...]" ووبركة ذلك النور ألهم عبد المطلب النذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده، وبه افتخر النبي(ص) حين قال: ((أنا ابن الذبيحين)) أراد بالذبيح الأول إسماعيل(ع)، وهو أول من انحدر إليه النور فاخترق، وبالذبيح الثاني عبد الله بن عبد المطلب، وهو آخر من انحدر إليه النور فظهر كل الظهور"⁽⁸⁾.

(4) ينظر: نهج الحق وكشف الصدق: 205، والنص القرآني: النحل/من 76.

(5) سير أعلام النبلاء: 462/2.

(6) م.ن: 462/2.

(7) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي(ت975هـ)، تج: بكري حياني وآخر: 115/13.

(8) أمالي الشيخ الطوسي: 252.

(9) معرفة الصحابة: 138.

(1) معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق(ت381هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان: 53، وينظر: عمدة عيون صحاح الأخبار: 399/2.

(2) الملل والنحل: 586/2-587، وينظر: الخصال: 56.

وسمع رسول الله(ص) يقول كاشفا عن أمر مستقبلي: ((إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)) فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: ((لا))، قال عمر: أنا هو؟ قال: ((لا، ولكنه خاصف النعل، وكان أعطى عليا بنعله يخصفها))⁽¹⁾. وروي أنه خاطبه مباشرة فقال له: ((تقاتل يا علي على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله))⁽²⁾.

وسمع رسول الله(ص) يقول كاشفا عن أمر مستقبلي مرتبط بأمر التأويل: ((تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين))⁽³⁾.

وانطلاقاً من هذه الأحاديث وغيرها سمع أحمد بن حنبل وهو يقول: "ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله(ص) من الفضائل ما ورد لعلي"⁽⁴⁾.

وكان الرسول(ص) ينوه بمكانة عدد من المسلمين مثلما نوه بمكانة الإمام علي(ع)، فقد قال رسول(صلى الله عليه وآله): ((خير الناس حمزة وجعفر وعلي)) عليهم السلام⁽⁵⁾، و"قال: ((ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر))"⁽⁶⁾، و"قال: ((إن الله أمرني بحب أربعة قالوا: ومن هم يا رسول الله، قال: علي بن أبي طالب، ثم سكت، ثم قال: إن الله أمرني بحب أربعة قالوا: ومن هم يا رسول الله، قال: علي بن أبي طالب، والمقداد بن أسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي))"⁽⁷⁾.

بناء على ما تقدم وعلى قوله(ع): "اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة"⁽⁸⁾، وقوله: "نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي"⁽⁹⁾، فإننا نصل- كما وصل غيرنا- إلى قضية مهمة؛ وهي: أن "الاستقامة" تعبير عن الوسطية الإسلامية⁽¹⁰⁾. ولذلك سنفرد لها نقطة خاصة.

ثامناً- الاستقامة والوسطية: ترتبط الاستقامة- بوصفها مفهوماً "في الاستخدام القرآني- بمفاهيم العدل والإيمان والأمانة والشهادة"⁽¹¹⁾. والاستقامة تشمل على ما ذكره الدكتور محمد زكي محمد خضر في كتابه (الاستقامة في مائة حديث نبوي)⁽¹²⁾:

- (3) سير أعلام النبلاء: 464/2.
- (4) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيخ المفيد(ت413هـ)، تح: علي مير شريف: 80.
- (1) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 80.
- (2) سير أعلام النبلاء: 462/2.
- (3) مقاتل الطالبيين: 34.
- (4) سير أعلام النبلاء: 376/2، وينظر: أمالي الشيخ الطوسي: 52.
- (5) الاختصاص، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد(ت413هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري: 9.
- (6) شرح نهج البلاغة: 273/1.
- (7) م.ن: 273/18.
- (8) الاستقامة(مقال في شبكة المعلومات)، هبة رؤوف عزت.
- (9) م.ن.
- (1) الاستقامة في مائة حديث نبوي: 2-3.

أ- استقامة الأعمال الباطنة كالنية والإخلاص والتزام التقوى ومحبة الله ورسوله (ص) والتوبة إلى الله عز وجل واليقين به والرضا بما قدر والصبر على البلاء والتوكل على الله والقناعة والزهد والخوف والرجاء.

ب- ما يتخذ المؤمن من منهاج ودليل عمل يستند إلى المعرفة بالله تعالى. فعلى المؤمن أن يعد القرآن مصدره الأول ثم سنة رسوله (ص)، ثم بعد ذلك يأتي الاجتهاد ولزوم الجماعة وعدم إطاعة مخلوق في معصية الله تعالى وأن لا يكون إمعة ويجتنب البدع وسبل المشركين والمنافقين. وعلى المؤمن أن ييسر ولا يعسر وأن يتقن عمله ويستغل أوقاته، وغير ذلك.

ج- العبادات؛ وتأتي في مقدمتها الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، وليست العبادات تلك فحسب، فالطهارة عبادة وتلاوة القرآن عبادة وطلب العلم عبادة، وكذلك الذكر والدعاء والصلاة على رسول الله (ص) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والتفكر في خلق الله والشكر على نعمائه.. كل هذه من العبادات.

د- اجتناب المعاصي والكبائر التي حرم الله تعالى كعقوق الوالدين وقطع الأرحام وأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله والخمر والميسر والزنا وقول الزور والسحر وقذف المحصنات والتخنث ولبس الذهب والحريير للرجال وتشبه النساء بالرجال وتركهن الحجاب والخيانة والكذب والظلم والغش واللعن والاحتكار.

هـ- الأخلاق، وإنما بعث رسول الله (ص) ليتم مكارم الأخلاق من صدق وحسن خلق وحياء وحفظ اللسان وتواضع وغض للبصر وسخاء ورحمة لعباد الله وترك الجدل وما لا يعني.

و- الاستقامة في المعاملة وأساسها أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وحب الصالحين وبذل النصح والعدل بالحكم والإحسان إلى الجار وذوي الأرحام والرفق في كل شيء وخاصة للمرء مع أهل بيته وطاعة المرأة لزوجها ورعايتها لولدها وأداء الأمانات والإيفاء بالوعد.

ز- تزكية النفوس، فقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها. فاجتناب التكبر والرياء ومحاسبة النفس وترك الحسد وسوء الظن وذكر الموت، كل تلك من جوانب الاستقامة.

وقد "بين العلماء رحمهم الله أن الاستقامة هي الاعتدال. وضدها الاعوجاج والميل هذا من حيث اللغة. يقال خط: مستقيم يعني خط لا عوج فيه ولا ميل. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. الصراط المستقيم هو الطريق المعتدل الذي ليس فيه اعوجاج ولا ميل بخلاف الطرق الضالة فإن فيها اعوجاجاً وفيها ميلاً وفيها مخاطر. أما الصراط المستقيم، صراط الله سبحانه وتعالى فهو طريق معتدل لا اعوجاج فيه ولا ميل ولا خطر على من سلكه"⁽¹⁾.

(1) الاستقامة في حياة المسلم (محاضرة في شبكة المعلومات)، صالح الفوزان: 1. والنصان القرآنيان من: الأنعام/153، والفاحة/6 على التوالي.

والعودة إلى (لسان العرب) تؤكد ما مر قبل قليل؛ فـ"الاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي في التوجه إليه دون الآلهة. وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، معنى قوله استقاموا عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه (صلى الله عليه وآله). وقال الأسود بن مالك: ثم استقاموا لم يشركوا به شيئاً، وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله، [...] وفي الحديث: ((قل أمنت بالله ثم استقم))، فسر على وجهين: قيل هو الاستقامة على الطاعة، وقيل هو ترك الشرك. أبو زيد: أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، قال: والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه⁽¹⁾.

وقيل: إن الاستقامة هي "الاستمرار على سنن واحد ونقيضها الاعوجاج وطريق مستقيم لا اعوجاج فيه"⁽²⁾.

وعلى هذا "فالاستقامة معناها الاعتدال على إطاعة الله سبحانه وتعالى، الاعتدال على شرعة الله، الاعتدال على كلمة التوحيد. هذه هي الاستقامة شرعاً كما تدل على ذلك عبارات السلف. كلها تجتمع على أن الاستقامة شرعاً هي لزوم طاعة الله سبحانه وتعالى من غير ميل ومن غير التقاف إلى غيرها"⁽³⁾.

و"هي تعني لزوم ما شرعه الله سبحانه وتعالى في التوحيد وإخلاص العبادة لله وفي الآداب والأخلاق والتعامل مع الناس وفي كل ما يفعله الإنسان في هذه الحياة يكون مستقيماً على المنهج الصحيح الذي رسمه الله سبحانه وتعالى وبينه رسوله (صلى الله عليه وسلم) لأن هذا المنهج هو منهج الذين أنعم الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ﴾. فالذين أنعم الله عليهم هم أهل الاستقامة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً"⁽⁴⁾.

وهي "تعني التوسط بين الإفراط والتفريط، بين التساهل وعدم المبالاة، وبين الغلو والتشدد. هذا هو طريق الاستقامة لأن دين الله بين الغالي والجافي. الغالي هو الذي يزيد ويتشدد. والجافي هو المتساهل الذي لا يهتم بدينه بل هو مفرط، وكذلك الغالي والمتشدد الذي يزيد في العبادة ويزيد في التمسك يظن أنه بذلك يطيع الله ورسوله، وهو بالعكس لأن من خرج عن الجادة ومال عنها سواء بتساهل أو بتشدد خرج عن شرع الله سبحانه وتعالى. فالاستقامة هي الاعتدال من غير جفاء وتساهل ومن غير زيادة وتشدد وإفراط في العبادة هذا هو طريق الاستقامة"⁽⁵⁾.

فالاستقامة هي "السير على الطريق المعتدل وهو ما شرعه الله تعالى وشرعه رسوله (صلى الله عليه وسلم) والتزام ذلك من غير إفراط ولا تفريط"⁽⁶⁾. و"الحاصل

(2) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: مادة (ق و م)، والنصان القرآنيان من: فصلت/6، و30، والحديث النبوي في: صحيح مسلم: 47/1.

(1) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: مؤسسة النشر الإسلامي: 51.

(2) الاستقامة في حياة المسلم: 1.

(3) م.ن: 2، والنص القرآني من: الفاتحة/6-7.

(4) الاستقامة في حياة المسلم: 1.

(1) الاستقامة في حياة المسلم: 4.

أن الاستقامة مقامها في الدين عظيم ومن غير تشدد ومن غير تساهل وتفريط وجفاء وعدم مبالاة"⁽¹⁾.

بهذه الصفحات السابقة نكون قد رسمنا صورة عن حركة الرؤية المستقيمة في التاريخ الاجتماعي للبشر عموماً، وفي التاريخ الاجتماعي العربي الإسلامي الذي تجلت فيه، خصوصاً، مما يؤكد أن للتاريخ بأبعاده؛ الماضي والحاضر والمستقبل، مساحة بيئة في الدراسة البنوية التكوينية، وأن البحث في ظواهر اجتماعية يستدعي متابعة صيرورة البنية الشمولية الدالة وتشكلها، على مدى زمني واسع، من أجل أن نفهم تلك الظواهر بوساطة البنية الذهنية المتشكلة.

(2) م.ن:7.

المحور النظري:

ينبني هذا الفصل على الحديث عن مرحلة عملية (الفهم) أو (التأويل)⁽¹⁾؛ وهي المرحلة الأولى من مرحلتي الخطوات الإجرائية للمنهج التكويني، لنتحدث في الفصل الذي يليه عن المرحلة الثانية؛ وهي مرحلة عملية (الشرح) أو (التفسير)⁽²⁾. وعملية الفهم تشتغل على بنية النص موضوع الدراسة⁽³⁾، من حيث تحليلها للبنية الداخلية للنص أو لا استنادا إلى الفكر البنيوي التكويني عند غولدمان⁽⁴⁾، بما يمكن أن يطلق عليه (الدراسة الظواهرية للنص)⁽⁵⁾، بغية استخلاص البنية الدالة منه⁽⁶⁾. وعليه يمكن القول إنها تشتغل في (الأدبي) لتهيئة الفكر للمرحلة الثانية (التفسير) التي تشتغل في (المجتمعي)⁽⁷⁾.

وهذا التوجه يؤكد تأصل الفهم (أو التأويل) في النص صراحة⁽⁸⁾، ويؤكد أيضا أن الفهم (أو التأويل) - ومثله الشرح (أو التفسير) - يحمل عند غولدمان معنى يختلف عن المعنى المتداول في القاموس، من حيث إنه يعني به "وصف العلاقات المكونة الأساسية لبنية دلالية. وبالطبع فإن العلاقات العاطفية القائمة بين الباحث والشيء المدروس تستطيع أن تحبذ هذا الوصف أو تتحمس منه (تعاطف، نفور، تعرف)، وكذلك أيضا بالنسبة للحدوس العابرة، شأنه في ذلك شأن كل الأنساق الذهنية، [...] ويعني غولدمان بذلك، التقييد الكامل بالنص دون الخروج عليه أو تجاوزه"⁽⁹⁾.

ولذلك وجدنا من يقول: إن "الفهم محايت النص"⁽¹⁰⁾، وإن التحليل يجب أن يكون "في هذه المرحلة تحليلا محايتا يقتصر على النص وحده ولا شيء غير النص"⁽¹¹⁾.

وعلى هذا، يجب - من منظور غولدمان - أن يكتشف الباحث "المقومات الأساسية التي تعطي العمل الفني وحدته، أي بنيته الدلالية. وتقوم هذه الوحدة على دراسة مختلف العناصر التي تؤلف هذا العمل، بحيث تكون دراسة زاوية من زواياه أو منحى من مناحيه، منقوصة لأنها لا تعطي فكرة شمولية عنه"⁽¹²⁾، ويجب أن ينظر إلى (فهم النص) على أنه "مشكلة تتصل بالتلاحم الداخلي للنص. وهي مشكلة لن تحل إلا بافراض أن النص، كل النص وليس أي شيء سواه، هو ما يجب أن يؤخذ أخذا حرفيا، وأن على الناقد أن يبحث في داخله عن بنية دالة شاملة"⁽¹³⁾، ولذلك يقتضي

(1) ينظر: في البنيوية التركيبية: 84.

(2) ينظر: م.ن: 84.

(3) ينظر: تأصيل النص: 11.

(4) ينظر: م.ن: 9، 15، والبنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 48.

(5) ينظر: تأصيل النص: 15.

(6) ينظر: العلوم الإنسانية والفلسفة: 18.

(7) ينظر: م.ن: 18.

(8) ينظر: في البنيوية التركيبية: 117.

(9) م.ن: 84.

(1) العلوم الإنسانية والفلسفة: 151.

(2) م.ن: 18.

(3) في البنيوية التركيبية: 45-46.

(4) المذاهب النقدية الحديثة: 191.

"فهم مقولة النتائج كحالة خاصة متميزة للسلوك الإنساني أن يعبر عن بنية دالة تنتمي لا إلى الفرد بل إلى المجموعة أو إلى الطبقة التي يمثلها هذا السلوك"⁽¹⁾.

ويتأكد مما مر، أن مفهوم البنية الدلالية الذي أدخله غولدمان يفترض "لا فقط وحدة الأجزاء ضمن كلية، والعلاقة الداخلية بين العناصر، بل يفترض في نفس الوقت الانتقال من رؤية سكونية إلى رؤية دينامية، أي وحدة النشأة مع الوظيفة بحيث نكون أمام عملية تشكل للبنى متكاملة مع عملية تفككها. إن مفهوم البنية الدلالية يشكل الأداة الرئيسة للبحث في أغلب الوقائع الماضية والحاضرة"⁽²⁾.

وهذا المصطلح (البنية الدلالية)، كثيراً ما يستعمله غولدمان ليدل على مفهومي الشكل والشمولية⁽³⁾، بل إنه يرى أن مصطلحات (الشكل، والبنية، والنظرة الشمولية)، يمكن دمجها في تسمية واحدة، وهي (البنية الدلالية)⁽⁴⁾، وأن مفهومي الشكل والنظرة الشمولية يدلان على مضمون واحد وإن اختلفت التسمية⁽⁵⁾.

و (البنية) في البنيوية التكوينية لا يمكن فهمها بحد ذاتها خارج حدود الزمان والمكان، وإنما تفهم من خلال تطورها وتحركها وتفاعلها وتناظرها داخل وضع محدد زمانياً ومكانياً⁽⁶⁾، ولذلك تصر البنيوية التكوينية على أن البنية هي الجانب الجماعي من فكر الإنسان وعاداته، الذي لا يمكن دراسته بمنأى عن التاريخ⁽⁷⁾، وعلى أن أي عمل أدبي يجب أن ينظر إليه على أنه بنية لها موقعها من السياق التاريخي⁽⁸⁾.

وعند حديث غولدمان عن البنية (أو البنى) الدلالية، فإنه يفكر في البنية التي تتيح لنا أن نفهم شمولية الظاهرة الاجتماعية التي يعبر عنها الكاتب، لا لكونه فرداً، وإنما لكونه ينطق باسم الجماعة، ومن ثم فإن المعنى المقصود هو ربط هذه البنية بالوعي الاجتماعي⁽⁹⁾.

من هنا يتأكد أن البنية الدلالية تعني المعنى الداخلي لهذه البنية، الذي يقوم على وعي جماعي معين. ولا تكون هذه البنية الدلالية حاضرة في فكر أفراد المجموعة البشرية جميعهم، لكنها تتحقق بشكل استثنائي عن طريق الفكر العلمي أو الفلسفي، أو عن طريق العمل الاجتماعي أو العمل الفني الذي يقوم به أفراد متميزون⁽¹⁰⁾.

ومتابعة المصطلحات تبين أن غولدمان رأى أن الفرق بين (الشكل) و (النظرة الشمولية) ناجم عن أن (الشكل) مقولة غير تاريخية ومثالية، بينما النظرة (الشمولية) مقولة تاريخية ومادية، فـ (الشكل) يحاول أن يبرز سياق النص الشامل انطلاقاً من

(5) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 51.

(6) م.ن: 46.

(7) ينظر: في البنيوية التركيبية: 75.

(1) ينظر: في البنيوية التركيبية: 19.

(2) ينظر: م.ن: 19- 20.

(3) ينظر: م.ن: 76.

(4) ينظر: مقالات ضد البنيوية: 25.

(5) ينظر: م.ن: 25.

(6) ينظر: في البنيوية التركيبية: 45.

(7) ينظر: م.ن: 80.

الفرع والجزء، بينما تسعى (النظرة الشمولية) إلى ربط الجزء بالكل بحيث يذوب ويندمج فيه⁽¹⁾.

والنظر في بنية النص من جانب شكلي يكشف أنها شمولية؛ لأنها مشكلة من بنى داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص، ثم إلى النصوص الأخرى⁽²⁾.

وما تقدم يؤكد أن مقولة (الشمولية) هي من أهم المقولات التي اشتغل عليها غولدمان⁽³⁾، ولا سيما أنها "ترتكز على التجربة الاجتماعية والتاريخية التي تبلورت في الممارسة والصراع الطبقي"⁽⁴⁾.

ولما كانت "التحولات التاريخية لا تخضع تماما لمنطق رياضي صارم يعتمد المعادلات مقياسا في التفكير [...] فإن الشمولية- حسب غولدمان- هي تقريبية، ذلك أن النص الأدبي يترك دائما المجال لاكتشافات ومعان جديدة"⁽⁵⁾.

ومن ثم فإن معنى الجزء منوط بالمجمل المتماسك للعمل كله⁽⁶⁾. وهذا الرأي يدفعنا إلى إيراد تعريف للتماسك يرى بأنه هو "الرابط ذو الدلالة، الموجود بين الأجزاء والكل"⁽⁷⁾، لندرك قيمة تشديد غولدمان على جمالية التماسك حينما أوضح أن العمل الفني أو الأدبي يكون ناجحا من الناحية الجمالية عندما يدل على معنى متماسك يعبر عنه بشكل مناسب، ويكون المعنى متماسكا عندما يتطابق فيه الفردي مع الجماعي⁽⁸⁾، ولندرك قيمة الرأي النقدي الذي يرى "أن الطبقات الاجتماعية تشكل بنية تحتية لرؤيات العالم، وتسعى إلى التعبير عنها في مختلف مجالات الحياة والفكر"⁽⁹⁾.

المحور التطبيقي:

اهتم الإمام علي(ع) بالكشف عن أهمية الاستقامة، ووجوب انبناء بنى المجتمع الإسلامي عليها، وعن موقفه ورؤيته الكونية من موقف عدد من أفراد هذا المجتمع من الاستقامة في البنى كلها أو بعضها. ومن تلك البنى:

أولاً = البنية الرؤيوية: وردت كلمة (استقام) وكلمة (استقامة) في عهد الإمام علي (ع) لمالك الأشتر إذ جاء فيه: "ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سننها والوزر عليك بما نقضت منها، وأكثر مدارس العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به

(1) ينظر: في البنيوية التركيبية: 20- 21.

(2) ينظر: الخطيئة والتكفير: 90.

(3) ينظر: في البنيوية التركيبية: 43.

(4) م: ن: 44.

(5) م: ن: 44.

(6) ينظر: م: ن: 81.

(7) اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر: 61.

(8) ينظر: في البنيوية التركيبية: 42.

(9) العلوم الإنسانية والفلسفة: 135.

الناس قبلك" (1)، وجاء فيه أيضا: "وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأمور، وقلة استئثار دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم" (2).

ومن هنا بيّن أن **الاعوجاج** صفة من يتخلى عن **الاستقامة**، وذلك في كتاب له (ع) إلى أمرائه على الجيش: "وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة، وألا تتكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن **اعوج** منكم، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من أمرائكم وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم" (3).

ووردت كلمة **(القصد)** وهو **الاعتدال** في رسائل الإمام (ع) للدلالة على معنى **الاستقامة** التي ابتعد عنها معاوية، وذلك في كتاب له (ع) إليه جوابا: "وإنك لذهاب في التيه رّواغ عن **القصد**" (4)، وللدلالة على إبعاد معاوية أفراد فئته عنها، وذلك في كتاب آخر له (ع) إليه أيضا: "وأرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولوا على أدبارهم، وعولوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر، فإنهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك، إذ حملتهم على الصعب، وعدلت بهم عن **القصد**، فاتق الله يا معاوية في نفسك، وجاذب الشيطان قيادك؛ فإن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك" (5).

ووردت أيضا في وصية له (ع) لابنه الحسن (ع) مبينا نتيجتها على من تركها: "من ترك **القصد** جار" (6). وهذا الجزم متأ من إيمانه بالطريق المستقيم الذي أمر الله باتخاذ سبيلا، ولذلك قال (ع) لابنه (ع): "فإني أوصيك بتقوى الله أي بني، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به" (7).

والميل إلى الباطل ضد للاستقامة، وقد ورد في رسائل الإمام (ع) ما ينهى عن الميل إلى الباطل، وعن متابعة من اتخذوه سبيلا، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية جوابا: "فدع عنك من مالت به الرمية؛ فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا" (8). وورد فيها وصف لحالة ميل كثير من الناس مع الدنيا، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى أبي موسى الأشعري جوابا في أمر الحكمين: "فإن الناس قد تغير

(1) شرح نهج البلاغة: 47/17.

(2) م.ن: 51/17.

(3) م.ن: 16/17.

(1) شرح نهج البلاغة: 181/15.

(2) م.ن: 62/16.

(3) م.ن: 113/16.

(4) م.ن: 62/16.

(5) م.ن: 182/15.

كثير منهم عن كثير من حظهم، فمالوا مع الدنيا، ونطقوا بالهوى، وإنني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً اجتمع به أقوام أعجبته أنفسهم، وأنا أدأوي منهم قرحاً أخاف أن يكون علقياً⁽¹⁾.

ومن هنا جاء أمره (ع) لمالك بن الأشتر في عهده له بأن يختار للقضاء من لا يقع فريسة لذلك الميل، بقوله: "ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعينتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر تعاقد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علقته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك؛ ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً"⁽²⁾.

ومن نكب عن أعلام الاستقامة والقصد فقد جار؛ لأنه ترك الطريق المستقيم، ويتبين ذلك في قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية: "فاتق الله فيما لديك، وانظر في حقه عليك، وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالتك؛ فإن للطاعة أعلاماً واضحة، وسبلاً نيرة، ومحجة نهجة، وغاية مطلوبة يردّها الأكياس، ويخالفها الأنكاس؛ من نكب عنها جار عن الحق، وخبط في النيه، وغير الله نعمته، وأحل به نقمته"⁽³⁾، ومن هذا المبدأ نفسه جاء وصف الإمام (ع) للحال التي رفضها أهل مصر، في كتاب له (ع) وجهه إليهم لما ولى عليهم الأشتر: "من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه، وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه"⁽⁴⁾.

ونبه (ع) مالك الأشتر إلى ما مر في الأرض من عدل وجور، في عهده إليه، إذ قال: "ثم اعلم يا مالك أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنتظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم"⁽⁵⁾، ثم قال مبيناً آثار الجور وأسبابه: "ولا تدخل في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور؛ فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله"⁽⁶⁾، ثم قال مبيناً صوراً يظهر بها الجور: "ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة؛ فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة"⁽⁷⁾.

(1) شرح نهج البلاغة: 74/18.

(2) م.ن: 58/17-59.

(3) م.ن: 6/16.

(4) م.ن: 156/16.

(1) شرح نهج البلاغة: 30/17-31.

(2) م.ن: 36/17.

(3) م.ن: 68/17.

وهذه الرؤية المقابلة بين **العدل والجور**، رسمها (ع) للأسود بن قطبة صاحب جند حلوان في كتاب له (ع) إليه، إذ قال فيه: "أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من **العدل**، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء؛ فإنه ليس في **الجور** عوض من **العدل**، فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه"⁽¹⁾.

وهذه الرؤية تعرف **العدل وأهله وتعرف الجور وأهله** لا من خلال العدد، وإنما من خلال سلوك طريق الله سبحانه وتعالى، أو الابتعاد عنه، وعلى وفق هذه الرؤية قال الإمام (ع) في كتاب له (ع) إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية: "أما بعد فقد بلغني أن رجلا ممن قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيا، ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل، فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون إليها، وقد عرفوا **العدل** ورأوه وسمعوه ووعوه وعلوموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعدا لهم وسحقا، إنهم والله لم ينفروا من **جور**، ولم يلحقوا **بعدل**، وإنا لنطمع في هذا الأمر أن يذلل الله لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه إن شاء الله"⁽²⁾.

وهذه الرؤية تحدد مقياسا مهما لمعرفة **العدل والجور**؛ وذلك المقياس يتجلى في قول الإمام (ع) في وصية له لابنه الحسن (ع): "يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك؛ فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك، واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب، فاسع في كدحك، ولا تكن خازنا لغيرك، وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك"⁽³⁾.

ثانياً) = البنية الدينية- الأدبية: لما كان القرآن الكريم مركز الدعوة الإسلامية، فقد تمثله الإمام علي (ع) وأظهر هذا التمثيل في تجليات حياته كلها، ومن بينها رسائله المكتوبة والشفوية، ومن ذلك ما جاء في وصية له (ع) لابنيه الحسن (ع) والحسين (ع) لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، وهما جزء من البنية التي يمثلها هو نفسه (ع): "والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم"⁽⁴⁾، وما جاء في كتاب له (ع) إلى الحارث الهمداني، وهو جزء أيضا من البنية التي يمثلها الإمام (ع) نفسه: "وتمسك بحبل القرآن، واستنصحه، وأحل حلاله، وحرم حرامه"⁽⁵⁾.

وبين (ع) الموقف من المحاجبة بالقرآن الكريم مع من جعلوا أنفسهم في ضمن دائرة أخرى، في وصية له (ع) لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج،

(4) م.ن: 145/17.

(1) شرح نهج البلاغة: 52/18.

(2) م.ن: 84/16.

(3) م.ن: 5/17.

(4) م.ن: 41/18.

إذ قال له: "لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون... ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصا"⁽¹⁾.

وفي المقابل أوضح (ع) موقعه وموقع أعدائه من القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في كتاب له (ع) إلى معاوية، كاشفا عن موقعيهما المتباينين من التمسك بالقرآن، ومن الدائرة التي تضم القرآن: "وقد دعوتنا إلى حكم القرآن، ولست من أهله، ولسنا إياك أجبنا، ولكننا أجبنا القرآن في حكمه"⁽²⁾، وما جاء في كتاب آخر له (ع) إلى معاوية أيضا، كاشفا عن الموقف الفكري المختلف لمعاوية من القرآن ومن الموقف الفكري الذي بني عليه هو (ع): "وقد ابتلاني الله بك، وابتلاك بي؛ فجعل أحدنا حجة على الآخر، فعدوت على الدنيا بتأويل القرآن؛ فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني، وعصيته أنت وأهل الشام بي"⁽³⁾.

واتخذت الإفادة من القرآن الكريم صورا متنوعة؛ فمنها ما هو على سبيل الاقتباس، ومنها ما هو على سبيل التناص، ومنها ما أفاد من الروح الدينية، ومنها ما أفاد من الروح القيمية والمضمونية، ومنها ما أفاد من الطريقة التركيبية والأسلوبية. وسنهتم- في هذا الفصل، وإن بصورة متفرقة- بإظهار الجانبين الاقتباسي والتناصي، من حيث إن الجوانب الأخر امتزجت بمفاصل البحث كله.

وكان لرسول الله (ص) المنزلة العظيمة في رسائل الإمام علي (ع) إذ هو الممثل الأقصى وعيا لبنية المنتجبين وأتباعهم، وهو القدوة الحسنة في الاستقامة، حتى في أخص الخصوصيات الصغيرة.

وأقصى درجة لتأكيد هذا الأمر جاءت في تثبيته ذلك في رسائله (ع) لأعدائه، ولاسيما في كتاب له (ع) إلى معاوية، إذ قال فيه: "وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا احمر البأس وأحجم الناس قدام أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حر السيف والأسنة"⁽⁴⁾.

وقد كشف الإمام (ع) عن استقامته هو نفسه، في كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها، إذ قال فيه: "أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا (صلى الله عليه وآله) نذيرا للعالمين، ومهيما على المرسلين، فلما مضى (عليه السلام) تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده (صلى الله عليه وآله) عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتفشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهه"⁽⁵⁾. وكشف عنها أيضا في كتاب له (ع) إلى أبي

(5) م.ن: 71/18.

(1) شرح نهج البلاغة: 12/17.

(2) م.ن: 135/17.

(3) م.ن: 47/14.

(1) شرح نهج البلاغة: 151/17.

موسى الأشعري جوابا في أمر الحكمين: "وليس رجل فاعلم أحرص على جماعة أمة محمد (صلى الله عليه وآله) وألفتها مني أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب" (1). وعلى ذلك كله قال في وصية له (ع) لابنه الحسن (ع) كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين: "واعلم يا بني أن أحدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول (صلى الله عليه وآله)، فأرض به رائدا، وإلى النجاة قائدا" (2)، وقال له: "واعلم أن أمامك عقبة كؤودا المخف فيها أحسن حالا من المثقل، والمبطئ عليها أقبح حالا من المسرع، وأن مهبطك بها لا محالة إما على جنة أو على نار، فارتد نفسك قبل نزولك، ووطئ المنزل قبل حلولك؛ فليس بعد الموت مستعتب، ولا إلى الدنيا منصرف" (3).

وكان الطريق السليم المستقيم المتمثل من القرآن الكريم والسنة الشريفة، الذي رسمه (ع) لمحمد بن أبي بكر في رسائله، يتجلى في عهده له حين قلده مصر، إذ قال فيه: "فإنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى، وولي النبي وعدو النبي، ولقد قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) إني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا؛ أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون" (4).

ويتجلى هذا الطريق أيضا في عهده (ع) للأشتر النخعي الذي رسمه له، لما ولاه على مصر وأعمالها، إذ قال فيه: "واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾؛ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة" (5).

ولما وصل (ع) في عهده للأشتر إلى أمور العباد، ولاسيما الصلاة، جلى عن ذلك الطريق، وعن تمثله لقول النبي الكريم (ص)، بقوله له: "وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا؛ فإن في الناس من به العلة، وله الحاجة، وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيمًا" (6).

ولأهمية هذا الفعل للمسلمين كلهم، قال في كتاب له (ع) إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة: "وصلوا بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتانين" (7). وأكد مصادر الاستقامة التي يمكن الاستقاء منها وتمثلها، أيضا في عهده للأشتر، إذ قال: "والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو

(2) م.ن: 74/18.

(3) م.ن: 76/16.

(4) م.ن: 85/16.

(1) شرح نهج البلاغة: 163/15.

(2) م.ن: 30/17. والنص القرآني في: النساء/من 59.

(3) شرح نهج البلاغة: 89/17.

(4) م.ن: 22/17.

سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا (صلى الله عليه وآله)، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها" (1).

ولم يفترق الإمام علي (ع) عن الاستقامة وعن الدعوة إليها، ممثلة بالالتزام بطريق الله الذي رسمه للأنبياء (ع)، إلى آخر لحظة له (ع)، ففي وصية له للحسن والحسين (ع) لما ضربه ابن ملجم، قال: "وصيتي لكم ألا تشركوا بالله شيئاً، ومحمد (صلى الله عليه وآله) فلا تضيعوا سنته؛ أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم" (2)، وقال أيضاً: "أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم؛ فأني سمعت جدك (صلى الله عليه وآله) يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام" (3).

ولا يسمح (ع) بتجاوز الطريق المستقيم الذي رسمه الله سبحانه وتعالى والرسول الكريم (ص)، وإن كان من أجل أخذ الثأر له (ع)، فهو يقول: "يا بني عبد المطلب لا أفيئكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل؛ فأني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور" (4).

وكان الشعر مصدراً من المصادر التي يوظفها الإمام (ع)، وأسهم الشعر المضمن في الرسالة في إكمال المعنى أو في تكثيفه وتجسيد الفكرة التي يرغب الإمام في توصيلها (5).

وقد يصرح باسم الشاعر كما في كتابه إلى معاوية: "أما بعد، فأني عارض عليك ما عرض مخارق على بني فالج، حيث قال [من البحر الطويل]:

يا راكبا إما عرضت قبلنا بني فالج حيث استقر قرارها
هلموا إلينا لا تكونوا كأنكم بلاقع أرض طار عنها غبارها
سليم بن منصور أناس أعزة وأرضهم أرض كثير وبارها" (6)

وقد ينص على اسم الشاعر تلميحاً قبل ذكر شعره، كما في كتاب له (ع) إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل، إذ قال فيه: "وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال؛ فإن رأيي قتال المحليين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، ولا تحسبن ابن أبيك، ولو أسلمه الناس، متضرعاً متخشعاً، ولا مقراً للضيم واهناً، ولا سلس الزمام للقائد، ولا وطيء الظهر للراكب المتقعد، ولكنه كما قال أخو بني سليم [من البحر الطويل]:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى بي كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب" (1).

(5) م.ن: 114/17.

(1) شرح نهج البلاغة: 143/15.

(2) م.ن: 5/17.

(3) م.ن: 6/17.

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، غانم جواد رضا: 168.

(5) الأخبار الطوال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تح: عبد المنعم عامر: 184-185.

وأخو سليم هنا هو العباس بن مرداس السلمي⁽²⁾. ومن ذلك ما جاء في كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً: "وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك، فإن كان فيه عجل فاسترفه، فإنني إن أزرَكَ فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني إليك للنقمة منك، وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد [من البحر البسيط]:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجلمود
وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد"⁽³⁾.

وقد يضمن الشعر من غير ذكر لاسم الشاعر، أو من غير تلميح لاسمه، ومن ذلك قوله ذو الصبغة الإدارية الوعظية التوجيهية⁽⁴⁾ في كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها، إذ جاء فيه: "وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي أمانة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل [من البحر الطويل]:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها، تكثرش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة"⁽⁵⁾.

وكانت للأساليب الفنية منزلة واضحة في رسائله (ع) من حيث إنها توظف لتكون بؤرة الدلالة المرادة، ففي كتاب له (ع) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، شدد على الموقعين الديني والقومي لأهل الكوفة، واصفا إياهم بأنهم - على وفق رؤيته (ع) - في منزلة رفيعة مميزة، واستعمل لتجسيد ذلك، ولتجليته، أسلوب الاستعارة، فقال: "من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب"⁽⁶⁾.

ومن التوظيفات الاستعارية ذات الدلالة هنا في تحديد المستقيمين والمفتونين، قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية: "فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها؛ فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها، وأغشت الأبصار ظلمتها"⁽⁷⁾.

(1) شرح نهج البلاغة: 148/16.

(2) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 167. وعن شعر العباس، ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: 270/2.

(3) شرح نهج البلاغة: 250/17.

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 126.

(1) شرح نهج البلاغة: 208/16، و286-287 (النص مفصول بالشرح بعد: (جوانب المزلق)).

(2) شرح نهج البلاغة: 6/14.

(3) م.ن: 22/18.

وفي كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، استعارة مكنية⁽¹⁾ مبنية على تشبيه الدنيا بحيوان ذي مخالب ترك حبله على غاربه، لتكون موطن الكشف عن استقامة الإمام (ع)، فهو يقول: "إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسلت من مخالبك، وأفلت من حبالك، واجتنبت الذهاب في مداحضك"⁽²⁾.

ويكون المجاز الاستعاري في قوله في كتاب له (ع) إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر⁽³⁾: "أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله، لا ينال أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار؛ وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له، وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة، ولا نابي الضريبة، فإن أمركم أن تتفروا فانفروا"⁽⁴⁾، أداة بيانية لكشف استقامة مالك الأشتر وقوة دينه "فقد استعار (ع) السيف للمشبه المحذوف، ثم صرح باللفظ المستعار مدلا به على قوة المشبه (مالك الأشتر) وفي ذلك قدر وافر من الجمال والخيال اللطيف"⁽⁵⁾.

ويوضح (ع) بوساطة التصوير البياني المتمثل هنا بالمجاز المرسل والمجاز الاستعاري⁽⁶⁾، الأمور المحيطة بأحد عماله؛ وهو قثم بن العباس- وهو عامله على مكة- في كتاب له إليه، ويدعوه إلى التمسك بطريق الاستقامة، قائلا: "أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني أنه وجه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب، الصم الأسماع، الكمه الأبصار الذين يلبسون الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، ويحتلبون الدنيا درها بالدين"⁽⁷⁾. ففي (يحتلبون الدنيا) مجاز استعاري، وفي (يحتلبون... در [الدنيا]) مجاز مرسل يكشف عن ابتعاد أولئك الناس عن الاستقامة ودائرتها، وعن سعيهم لتضليل الآخرين وإدخالهم في دائرة الفتنة.

ويوظف المجاز المرسل بوصفه تعبيراً بيانياً ذا ظلال بديعة⁽⁸⁾ ليشتمل على نقطة الابتعاد عن الاستقامة في كتاب له (ع) إلى بعض عماله، بقوله: "أما بعد فقد بلغني أنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك؛ بلغني أنك جردت الأرض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إلي حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس"⁽⁹⁾. فتجريد الأرض، وأخذ ما تحت القدمين، وأكل ما تحت اليد، مجازات مرسله أسهمت في كشف ابتعاد ذلك العامل عن صفة الاستقامة في تلك التصرفات.

ونجد في قوله في كتاب له (ع) إلى سلمان الفارسي قبل أيام خلافته: "أما بعد فإنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها، قاتل سمها، فأعرض عما يعجبك فيها لقله ما

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 194.

(5) شرح نهج البلاغة: 292/16.

(1) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 193.

(2) شرح نهج البلاغة: 156/16.

(3) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 193-194.

(4) ينظر: م: 194-195.

(5) شرح نهج البلاغة: 138/16.

(6) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 194.

(1) شرح نهج البلاغة: 164/16.

يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها، وتصرف حالاتها، وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها؛ فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور، أشخصته عنه إلى محذور، أو إلى إيناس أزالتة عنه إلى إحاش⁽¹⁾، أنه وظف التشبيه أولاً (مثل الدنيا مثل الحية) لكشف صفة الدنيا المبعدة عن الاستقامة، ثم أردفه بتجنيس ناقص (مسها، سمها)⁽²⁾، ثم بتتويجات من التضادات التي وصلت إلى حد المقابلة، مثل: (الآنس، الحذر) و(إيناس، إحاش) و(سرور، محذور)، ليجسد تلك الصفة للدنيا.

ويظهر اهتمامه بالتوازي الإيقاعي، والتعادل الدلالي من أجل الغاية نفسها، في قوله في كتاب له (ع) إلى أهل الكوفة، بعد فتح البصرة: "سمعتكم وأطعتم ودعيتكم فأجبتكم"⁽³⁾ موضحاً اشتغال دائرة الاستقامة عليهم، وفي قوله ذي الصبغة السجعية، في كتاب له (ع) إلى معاوية: "فهجر لا غطا، وضل خابطاً"⁽⁴⁾، موضحاً ابتعاده عن الاستقامة ودائرتها.

وتتبين البراعة في عرض الفكرة والدقة في تنظيمها في كتاب له (ع) إلى معاوية⁽⁵⁾ وإلى من قبله من قریش، إذ يقول أولاً كاشفاً عن التباين في الموقف من الاستقامة: "أما بعد فإن لله عباداً آمنوا بالتنزيل، وعرفوا التأويل، وفقهوا في الدين، وبين الله فضلهم في القرآن الحكيم، وأنتم في ذلك الزمان أعداء لرسول الله صلى الله عليه، تكذبون بالكتاب، مجمعون على حرب المسلمين، من ثقفتهم منهم حبستموه أو عذبتموه أو قتلتموه، حتى أراد الله إعزاز دينه وإظهار رسوله، ودخلت العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، وكنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم"⁽⁶⁾، ليبني عليه بعد ذلك الحكم الخاص بالاستقامة المتعلقة بإمرة المسلمين، إذ يقول: "فلا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام، أن ينازعهم الأمر الذي هم أهل وأولى به، فيحوب بظلم. ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره، ولا أن يعدو طوره، ولا أن يشقي نفسه بالتماس ما ليس له"⁽⁷⁾، ليحدد بعد ذلك مواصفات آخر لمستحق هذه الإمرة، بقوله: "ثم إن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً وحديثاً، أقربها من رسول الله صلى الله عليه، وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين، وأولها إسلاماً وأفضلها جهاداً وأشدّها بما تحمله الرعية من أمورها اضطلاعاً"⁽⁸⁾، ويضع بعد ذلك كل فئة من الفئتين اللتين حددهما في البداية بالوصف في مكانها المناسب، مكتفاً المراد من الفئة الأخرى بذكر آية قرآنية، بقوله: "فاتقوا الله

(2) م.ن: 34/18.

(3) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 196،

(4) شرح نهج البلاغة: 26/14.

(5) م.ن: 41/14.

(6) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 183-184.

(1) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت212هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون: 150.

(2) م.ن: 150.

(3) م.ن: 150.

الذي إليه ترجعون، ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. واعلموا أن خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون⁽¹⁾.

وبغية التمثيل للشمولية في نص واحد، بعد أن تعاملنا مع الرسائل كلها على أنها نص واحد- فيما سبق وفيما سيتلو- يمكن توجيه النظر إلى كتاب واحد فقط من كتب الإمام علي(ع)، وليكن الكتاب الذي قال الشريف الرضي عنه: إنه "من محاسن الكتب"⁽²⁾ الذي كتبه(ع) إلى معاوية جوابا عن أحد كتبه، لنكشف في أثناء ذلك أيضا عن الترابط العضوي والتماسك الذي يشد أجزاء النص والنصوص المتناصّة معه سواء أكانت من القرآن الكريم، أو من السنة النبوية الشريفة، أو من الأمثال، أو من الشعر، ولنشير إلى استعماله أسلوب تثبيت كلام موجز لأفكار الكتاب المرسل إليه. فالإمام(ع) بعد أن يكشف في كتاب آخر له(ع) إلى معاوية جوابا أن أهل البنية الإسلامية في بداية الإسلام، أدرى بتفاصيلها، مخرجا معاوية من تلك البنية، وذلك في قوله: "أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدا(صلى الله عليه وآله) لدينه وتأييده إياه لمن أيده من أصحابه فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا إذ طفت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا ونعمته علينا في نبينا"⁽³⁾، يوظف مثلين قديمين في وقت واحد فيهما توبيخ وتعريض، ليكونا تجسيدا للدلالة المرادة في الرد على الفكرة الأولى التي طرحها معاوية، فيقول: "فكنت في ذلك(كنافل التمر إلى هجر) أو(داعي مسدده إلى النضال)"⁽⁴⁾.

ثم ينتقل إلى عرض الفكرة الثانية، وإلى الرد عليها، فيقول: "وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله وإن نقص لم يلحقك ثلمه وما أنت والفاضل والمفضل، والسائس والمسوس، وما للطلاق وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم"⁽⁵⁾، ليوظف مثلا آخر بوصفه الرد المناسب على فكرة معاوية، فيقول: "هيهات(لقد حن قدح ليس منها) وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها"⁽⁶⁾.

ثم يفصل في الرد على فكرة معاوية فيقول: "ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرجك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر وإنك لذهاب في التيه رواج عن القصد"⁽⁷⁾، ليصل بعد ذلك إلى توظيف أقوال وأفعال من السنة النبوية الشريفة كشفا عن مستوى الاستقامة الذي يشتمل على أفراد من أقرباء النبي(ص)، فيقول: "ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: (سيد الشهداء) و(خصه رسول الله(صلى الله عليه وآله) بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه)، ألا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله

(4) م.ن:150، والنص القرآني في: البقرة/42.

(5) شرح نهج البلاغة:181/15.

(1) شرح نهج البلاغة:181/15.

(2) م.ن:181/15، وينظر عن المثل الأول: مجمع الأمثال، الميداني:152/2.

(3) شرح نهج البلاغة:181/15.

(4) م.ن:181/15.

(5) م.ن:181/15.

ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: (الطيار في الجنة وذو الجناحين). ولولا ما نهى الله عنه من تركية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها أذان السامعين" (1).

ثم يفصل في هذا التميز في الاستقامة بقوله على سبيل المقارنة موظفا معلومات كثيرة من القرآن والسنة بوصفها أدلة وقائية لتوضيح تلك المنزلة: "فدع عنك من مالت به الرمية فإننا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك وأنى يكون ذلك ومنا (النبي) ومنكم (المكذب) ومنا (أسد الله) ومنكم (أسد الأحلاف) ومنا (سيدا شباب أهل الجنة) ومنكم (صبية النار) ومنا (خير نساء العالمين) ومنكم (حمالة الحطب) في كثير مما لنا وعليكم" (2).

ويتجه بعد هذه النقطة إلى الحكم الإلهي الذي اشتمل عليه القرآن الكريم ليأتيه بأدلة منه، في قضية إمرة المسلمين، فيقول: "فإسلامنا قد سمع وجاهلينا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة" (3).

ثم يبين الاختلاف في النسب والإيديولوجيا بينه (ع) وبين معاوية في أشد المواقف حساسية، بقوله: "ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله (صلى الله عليه وآله) فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم" (4).

وينتقل بعد ذلك إلى عرض فكرة أخرى من أفكار معاوية، فيقول: "وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت" (5) ليرد عليها موظفا شطر بيت من الشعر، بوصفه الممثل المجسد لفكرة الإمام (ع) في الرد، فيقول: "فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها)" (6).

وقوله (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وصدره: (وعيرها الواشون أني أحبها) (7).

وأسهم توظيف الشعر في توجيه الإطناب في المعاني نحو مركز الدلالة مما يحتاج إليه التفصيل بشأن الرد على كل قضية ذكرها معاوية في كتابه الذي جاء هذا الكتاب ردا عليه (8).

(1) شرح نهج البلاغة: 182-181/15.

(2) م.ن: 182/15.

(3) م.ن: 182/15. والنصان القرآنيان في: الأنفال/75، وآل عمران/68 على التوالي.

(4) شرح نهج البلاغة: 182/15.

(1) شرح نهج البلاغة: 182/15.

(2) م.ن: 182/15 - 183.

(3) ينظر: لسان العرب: مادة (ن ظ ر)، والرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 168 (في الهامش)، وينظر عن الشعر: ديوان الهذليين، السكري: 168.

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 184 - 185.

وقد جاء توظيف الشعر عموماً في رسائل الإمام علي (ع) لدواع منها إتمام سياق المعنى العام، ولا سيما ما يتصل بالفكرة الرئيسة التي يهدف إلى توصيلها⁽¹⁾. وليس مهماً أن يؤتى بالشعر المضمن على صورته التامة، إذ يمكن الاكتفاء منه بشطر ما دام المراد مكثف فيه⁽²⁾.

ويتسلسل بعرض أفكار معاوية وفي الرد عليها، إذ ينتقل بعد ذلك إلى فكرة أخرى مبينا استقامته وقت خلافة الخلفاء الثلاثة، ليقول: "وقلت إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تقضح فافتضحت"⁽³⁾، ليصل إلى كشف غاية في الأهمية فيما يخص الفرق الكبير بين ما يستحق المدح أو الذم في بنية التفكير الإسلامي، وما يستحق المدح أو الذم في بنية التفكير الجاهلي، فيقول: "وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه وهذه حجتى إلى غيرك قصدها ولكنى أطلقت لك منها بقدر ما سنج من ذكرها"⁽⁴⁾.

ثم يوضح أهمية النسب في قضية المطالبة بالثأر في الرؤية الدينية، بقوله المنبني على فكرة أخرى من أفكار معاوية: "ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه"⁽⁵⁾، ليبين له الموقف الحقيقي من خلال أدلة من الواقع التاريخي الحاصل، ومن خلال توظيف آية من القرآن الكريم بطريقة كاشفة عن أن القرآن أعطى صورة تاريخية لمثل موقف معاوية، بقوله: "فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله أم من بذل له نصرته فاستقده واستكفه أم من استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه كلا والله ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾"⁽⁶⁾.

ويتجه إلى فكرة أخرى تخص موقفه من عثمان بن عفان، فيقول: "وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً"⁽⁷⁾، ليرد على اتهام معاوية له، بقوله الذي وظف فيه مثلاً وشطراً من بيت شعر، وآية قرآنية بطريقة بدت معها ملتحمة بتركيب النص: "فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايي له ف(رب ملوم لا ذنب له) (وقد يستفيد الظنة المنتصح) وما أردت ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾"⁽⁸⁾. وقوله: (وقد يستفيد الظنة المنتصح) عجز بيت، وصدره: (وكم سقت في آثاركم من نصيحة)⁽⁹⁾.

ثم انتقل إلى فكرة أخرى من أفكار معاوية، كاشفاً عن المنزلة الخاصة لبني عبد المطلب المنتمين إلى بنية فئة المنتجبين وأتباعهم، ولا سيما دينياً وعسكرياً،

(5) ينظر: م.ن: 167.

(6) ينظر: م.ن: 168.

(7) شرح نهج البلاغة: 183/15.

(1) شرح نهج البلاغة: 183/15.

(2) م.ن: 183/15.

(3) م.ن: 183/15، والنص القرآني في: الأحزاب/18.

(4) شرح نهج البلاغة: 183/15.

(5) م.ن: 183/15، والنص القرآني في: هود/88.

(6) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 168 (في الهامش)، وعن المثل جمهرة الأمثال، العسكري: 21/1، و495، وعن الشعر: جمهرة الأمثال: 161/2.

مازجا إياها بمنزلة من هم جزء من البنية التي يمثلها وإن كانوا من غير بني هاشم، قائلاً: "وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف"⁽¹⁾، ليرد عليه رداً مستقي من الواقع الاجتماعي وموظفاً فيه شطر بيت يكشف ما سيترتب على موقف معاوية من رد فعل: "فلقد أضحكت بعد استعبار متى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكليين وبالسيف مخوفين (فلبث قليلاً يلحق الهيجا حمل) فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد"⁽²⁾. وقوله: (فلبث قليلاً يلحق الهيجا حمل) صدر بيت، عجزه: (ما أحسن الموت إذا حان الأجل)⁽³⁾.

ويتجلى رد الفعل المذكور قبل قليل، بقوله الذي ختمه بآية قرآنية: "وأنا مرقل نحوك في جفيل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرايل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾"⁽⁴⁾.

وفي شطر البيت وفي الآية القرآنية تعريض بالمرسل إليه شديد الوقع، قوي اللهجة، جامع لفحوى الرسالة⁽⁵⁾، إذ في توظيفه هذه الآية القرآنية ما فيه من دلالة على الاستقامة وعلى الابتعاد عنها، من حيث إنها كانت في حق قوم لوط، إذ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾⁽⁶⁾.

ثالثاً) = البنية الأدبية - النوعية: تتشكل بنية أية رسالة بوصفها نوعاً أدبياً، من ثلاثة عناصر رئيسية؛ هي: المرسل والمرسل إليه والرسالة. ولكل عنصر مواصفات، وتجليات.

وقبل أن نتحدث عن هذه العناصر، نتحدث عن عنصرين كثيراً ما توافرا في الرسالة التي أنتجتها الإيديولوجية الإسلامية؛ وهما البسملة، والسلام. والحقيقة أننا لا نستطيع أن نحدد بصورة كافية طريقة الإمام علي (ع) فيما يخص توصيف البسملة والسلام، بسبب عدم وصول صور بدايات رسائله ونهاياتها إلينا كما هي، لما قام به الرواة من حذف لما كانوا يتوقعون أنه من باب تحصيل الحاصل. ومع ذلك بقيت لنا صور محدودة يمكن من خلالها توصيف هذين العنصرين، على وفق الشكل الآتي:

أ) البسملة: لم يرد ذكر البسملة في النصوص المقتطعة من رسائل الإمام علي (ع) التي وردت في (نهج البلاغة)، إلا مرة واحدة في كتاب له (ع) كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، إذ جاء على

(1) شرح نهج البلاغة: 183/15.

(2) م.ن: 183/15 - 184.

(3) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 168 (في الهامش)، وعن الشعر: مجمع الأمثال: 329/2.

(4) شرح نهج البلاغة: 184/15، والنص القرآني في: هود/83.

(5) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 151.

(6) هود/82 - 83.

الصيغة الآتية: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر" (1).

وهذا الأمر مما يثير الانتباه، ولذلك تمت العودة إلى مصادر آخر لتبين ذلك، فوجدنا في كتاب له (ع) إلى أهل الكوفة: "بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة. سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (2).

وحين بعث الإمام علي (ع) على مصر، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر، "صعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين، فقرأ على أهل مصر: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله عز وجل بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله" (3).

وحين أنفذ أمير المؤمنين (ع)، مالك الأشتر إلى مصر "كتب معه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى النفر الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر، فلا منكر يتناهى عنه، ولا معروف يستراح إليه، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد... فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله" (4).

وإذا كانت هاته الرسائل موجهة إلى المسلمين في الكوفة ومصر، فإن هناك من الرسائل ما وجهه (ع) إلى شخص واحد من المسلمين، وابتدأه بالبسملة أيضاً، من ذلك كتابه إلى عبد الله بن عامر: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر. أما بعد فإن خير الناس عند الله عز وجل أقومهم لله بالطاعة فيما له وعليه، وأقولهم بالحق ولو كان مرا" (5).

ومن ذلك أيضاً كتابه إلى عبد الله بن عباس: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس. أما بعد فانظر ما اجتمع عندك من غلات المسلمين وفيئهم، فاقسمه من قبلك حتى تغنيهم، وابعث إلينا بما فضل نقسمه فيمن قبلنا" (6)، وكتابه الآخر إليه: "وهو على البصرة: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن العباس: سلام عليك ورحمة الله

(1) شرح نهج البلاغة: 30/17.

(2) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 213.

(3) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: 550/3، وتتنظر: 549.

(1) مختصر أخبار شعراء الشيعة وأخبار السيد الحميري، أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني الخراساني (ت385هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد هادي الأميني: 54، وينظر: الغارات، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي (ت283هـ)، تج: جلال الدين المحدث: 266/1. وقد ورد الكتاب في نهج البلاغة من دون ذكر البسملة. ينظر: شرح نهج البلاغة: 156/16.

(2) وقعة صفين: 106.

(3) م: 106. وقد ورد كتاب قريب ببنيته اللغوية من بنية هذا الكتاب موجه إلى قثم بن العباس في نهج البلاغة. ينظر: شرح نهج البلاغة: 30/18.

وبركاته، أما بعد فإن مصر قد افتتحت وقد استشهد محمد بن أبي بكر فعند الله عز وجل نحتسبه" (1).

ومن ذلك كتابه إلى **أبي موسى الأشعري**؛ فقد "دعا هاشم بن عتبة المرقال وكتب معه كتابا إلى أبي موسى الأشعري وكان بالكوفة من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه وكان مضمون الكتاب: **بسم الله الرحمن الرحيم**: من علي أمير المؤمنين إلى **عبد الله بن قيس**: أما بعد فإني أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال لتشخص معه من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم فأشخص الناس إلي معه حين يقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه فإني لم أقرك في المصر الذي أنت فيه إلا أن تكون من أعواني وأنصاري على هذا الأمر" (2).

ومن ذلك كتابه (ع) "عند مهلك الأشر إلى **محمد بن أبي بكر**، وذلك حين بلغه موجدة محمد بن أبي بكر لقدم الأشر عليه: **بسم الله الرحمن الرحيم**، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى **محمد بن أبي بكر** سلام عليك أما بعد. فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشر إلى عملك، ولم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد" (3).

ووردت رسالتان؛ إحداهما إلى **أمرائه على الجيوش**، والأخرى إلى **عماله على الخراج**، في (نهج البلاغة) من دون ذكر البسملة (4)، ولكنهما وردتا في مصدر آخر مصدرتين بالبسملة، إذ جاء في الأولى: "**بسم الله الرحمن الرحيم** من عبد الله علي أمير المؤمنين. أما بعد فإن حق الوالي ألا يغيره على رعيته أمر ناله ولا أمر خص به، وأن يزيده ما قسم الله له دنوا من عبادته وعطفا عليهم" (5)، وجاء في الثانية: "**بسم الله الرحمن الرحيم** من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى **أمراء الخراج**. أما بعد فإنه من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ولم يحرزها" (6).

ووردت أيضا رسائل منه (ع) إلى **رأس أعدائه**، ومع ذلك فقد ابتدأها بالبسملة. ففي جوابه (ع) على كتاب **لمعاوية**، كتب: "**بسم الله الرحمن الرحيم** من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى **معاوية بن أبي سفيان**. أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحي" (7)، وجاء في أحد كتبه (ع) إلى **معاوية**: "**بسم الله الرحمن الرحيم** من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى **معاوية بن أبي سفيان**. سلام على من اتبع الهدى، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإنك قد رأيت من الدنيا وتصرفها بأهلها

(4) الغارات: 298/1-299. وقد ورد الكتاب في نهج البلاغة من دون ذكر البسملة. ينظر: شرح نهج البلاغة: 145/16.

(1) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 130.

(2) الغارات: 268/1. وقد ورد الكتاب في نهج البلاغة من دون ذكر البسملة. ينظر: شرح نهج البلاغة: 142/16.

(3) ينظر: شرح نهج البلاغة: 16/17، و 19/17 على التوالي.

(4) وقعة صفين: 107.

(5) م.ن: 108.

(1) وقعة صفين: 88.

وإلى ما مضى منها، وخير ما بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى" (1).

ويمكن أن نستشف من هذه الشواهد على أنه (ع) كان يكتب البسملة سواء وجه الكتاب إلى من هم في ضمن فنته، أو إلى من هم متذبذبون، أو إلى من هم في فئة أخرى وصل الخلاف معها إلى حد التضاد، وسواء وجه الكتاب إلى شخص واحد، أو وجهه إلى أكثر من شخص، وسواء وجه الكتاب إلى شخص مسمى، أو إلى مجموعة لم يسم أفرادها.

ب) السلام: ختم الإمام علي (ع) رسائله بصيغ متنوعة، منها ما ختم بالسلام، ومنها ما ختم بغير ذلك. وكانت الصيغة الأكثر انتشاراً مما ختم بالسلام، هي: (والسلام). وقد استعملها (ع) مع من يحملون سمات معينة، ومنهم:

= **العامل:** أشعث بن قيس عامل أذربيجان (2)، وعبدالله بن عباس عامله على البصرة (3)، ومحمد بن أبي بكر (4)، وبعض عماله وقد بعثه على الصدقة (5)، ومالك الأشتر لما ولاه على مصر (6)، وعبدالله بن قيس (وكان بالكوفة من قبل عثمان) (7) وغيرهم.

= **خليفة العامل:** زياد بن أبيه خليفة عبدالله بن عباس على البصرة (8).

= **أمير الجيش:** أمراء جيشه (9).

= **أهل بلد:** أهل مصر (10).

= **الابن:** الحسن بن علي (ع) (11).

= **أحد المسلمين:** عبدالله بن عامر (12).

= **رسوله إلى الأعداء:** جرير بن عبدالله (13).

= **العدو:** معاوية (14) في كتب كثر، وعمر بن العاص (15).

واستعمل (ع) تعبير (والسلام لأهله) مع:

(2) م: 108-109.

(3) ينظر: شرح نهج البلاغة: 33/14، ولكنها جاءت مختومة بـ (ولعلي ألا أكون شر ولا لك إن استقمت ولا قوة إلا بالله) في: نهج السعادة: 86/4، ووقعة صفين: 20.

(4) ينظر: شرح نهج البلاغة: 125/15، والغارات: 299/1، ووقعة صفين: 106.

(5) ينظر: الغارات: 225-224/1.

(6) ينظر: شرح نهج البلاغة: 158/15.

(7) ينظر: م: 30/17.

(8) ينظر: الجمل والنصرة: 130.

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 138/15.

(2) ينظر: م: 32/14، ووقعة صفين: 107، 108.

(3) ينظر: مختصر أخبار شعراء الشيعة: 54، والغارات: 230-229/1، ولكنها وردت منتهية بـ (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) في: الغارات: 211-210/1. والنظر في الفقرة الخاصة بهذه الصورة المرتبطة بأهل بلد فقط، يرجح انتهاءها هكذا كذلك.

(4) ينظر: شرح نهج البلاغة: 9/16.

(5) ينظر: وقعة صفين: 106.

(6) ينظر: شرح نهج البلاغة: 45/14.

(7) ينظر: م: 35/14، 78/15، 117/15 على سبيل المثال، ووقعة صفين: 91.

(8) ينظر: شرح نهج البلاغة: 60/16.

- العدو: معاوية⁽¹⁾ حينما يتطلب الموقف التصريح بهذه الصورة الكاشفة عن دلالة معروفة.

واستعمل (ع) تعبير (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) مع:
 - أهل بلد: أهل الكوفة⁽²⁾، وأهل مصر⁽³⁾.

أما ما انتهى بغير السلام فعلى تعبيرات متنوعة؛ منها ما جعله دعاء تبركا وتيمنا⁽⁴⁾ وتشخيصا للعدو، كقوله لمعاوية في أحد كتبه: "اللهم احكم بيننا وبين عدونا بالحق وأنت خير الحاكمين"⁽⁵⁾، وكقوله لأهل الكوفة: "وبادروا جهاد عدوكم إن شاء الله عز وجل"⁽⁶⁾. ومنها ما ختمه بآية قرآنية، كقوله في كتاب له (ع) لمعاوية جوابا: "وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾"⁽⁷⁾، وغير ذلك مما لا يمكن حسم الأمر به.

ت) المرسل: مثلما حصل من فعل الرواة مع البسمة والتحميد والسلام، حصل مع المرسل والمرسل إليه؛ فلا نستطيع أن نحدد بصورة كافية طريقة الإمام علي (ع) فيما يخص توصيفهما، بسبب عدم وصول صور بدايات رسائله إلينا كما هي، لما قاموا به من حذف لما كانوا يتوقعون أنه من باب تحصيل الحاصل. ومع ذلك بقيت لنا صور محدودة من توصيف المرسل، يمكن أن نصف ما توافر تحت أيدينا منها، على وفق الشكل الآتي:

1. بصيغة: (من عبد الله علي أمير المؤمنين). وهي الصيغة الأكثر ورودا في رسائله (ع)⁽⁸⁾.
2. بصيغة: (من علي أمير المؤمنين)⁽⁹⁾.
3. بصيغة: (من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين)⁽¹⁰⁾.
4. بصيغة: (من علي بن أبي طالب) بعد أن كانت بصيغة: (من أمير المؤمنين). وقد جاء ذلك في إحدى رسائله لمعاوية، وقد كشف عن السبب في ذلك حينما قال له الخوارج: "إنك كتبت كتابا إلى معاوية تقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر، فرد الكتاب إليك وكتب فيه يقول: إني لو أقررت أنك أمير المؤمنين وقاتلتك فأكون قد ظلمتك، بل اكتب باسمك واسم أبيك فكتبت إليه: بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي

(9) ينظر: م.ن: 48/14، 251/17، وجمهرة رسائل العرب في عصور العريبة الزاهرة، أحمد زكي صفوت: 370/1، 390.

(10) ينظر: الجمل والنصرة: 213.

(11) ينظر: تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: 551/3.

(12) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 151.

(1) وقعة صفين: 110، وينظر: شرح نهج البلاغة: 87/15.

(2) شرح نهج البلاغة: 6/14.

(3) شرح نهج البلاغة: 184/15، والنص القرآني في: هود/83.

(4) ينظر: وقعة صفين: 88، 106، وتاريخ الطبري: 549/3، ومختصر أخبار شعراء الشيعة وأخبار السيد

الحميري: 54، والغارات: 210/1، 261، 268، 299.

(5) ينظر: الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 130، 213.

(6) ينظر: الغارات: 397/2.

طالب إلى معاوية بن صخر، فلما أجبته معاوية إلى إخراج نفسك من إمرة المؤمنين كنا نحن في إخراجكم، عن الأمرية أولى⁽¹⁾، فقال: "وأما قولكم إني كتبت كتابا إلى معاوية بن صخر فيه بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر فأياكم يا معاشر الخوارج شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزاة الحديبية وقد أمرني أن أكتب بين يديه كتابا إلى صخر بن حرب بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) الطاهرين) فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى صخر بن حرب بن أمية إلى آخر الكتاب فأجابوه، وقالوا: نعم حضرنا ذلك الكتاب وأنت تكتبه لأبي سفيان صخر بن حرب⁽²⁾، ثم قال بعد ذلك: "أليس علمتم أن **صخر بن حرب رده** إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتب إليه: أما الرحمن الرحيم فاسمان نعرفهما بالتوراة والإنجيل، وأما أنت يا محمد فإننا لو أقرنا أنك رسول الله وقتلناك فقد ظلمناك **فاكتب باسمك واسم أبيك** حتى نجيبك فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من **محمد بن عبد الله** إلى صخر بن حرب، ثم قال لمن حوله، إن محوت اسمي ليرد علي الجواب فاسمي لا يمحي في السماء ولا في الأرض، ولا في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما أراد صخر بن حرب أن لا يجيب عن الكتاب"⁽³⁾.

وأوضح بعدها نقطة الالتقاء بين تصرفه وتصرف النبي (ص) بقوله: "وكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله الطاهرين) إلى الآباء وكتبت أنا إلى الأبناء تأسيسا برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قالوا: **صدقت وأصبت وأخطأنا والحق والحجة لك**"⁽⁴⁾.

وعرضه (ع) للكتاب المعني يبين أن الصيغة السابقة لم تكن: (من أمير المؤمنين) على ما ذكره، وإنما: (من علي أمير المؤمنين).

ث) المرسل إليه: المرسل إليه في رسائل الإمام علي (ع)، ظهر - على وفق البنية الإيديولوجية - بإحدى صورتين: **صورة الموالي** (وإن كان في الظاهر، أو في وقت إرسال الرسالة إليه)، و**صورة المعادي**.

والمرسل إليه **الموالي**، ظهر - على وفق العدد - بإحدى الصور الآتية:
1- يتوجه الإرسال إلى شخص واحد. وهذا الشخص قد يكون من أفراد البنية الإدارية، أو من أتباع الإمام (ع)، أو من المسلمين عموما.

وأفراد البنية الإدارية الذين أرسل إليهم الإمام (ع) كتباً، يختلفون في الموقع الإداري أو المكاني، أو الزماني، بما يمكن أن نظهره على وفق التقسيم الآتي:

(1) الهداية الكبرى، أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت334هـ): 139-140.

(2) م.ن: 142-143.

(3) م.ن: 143.

(1) الهداية الكبرى: 143، والنص القرآني في: الأحزاب/من21.

- 1) القاضي: شريح بن الحارث⁽¹⁾.
- 2) العامل، وهو على قسمين:
 - أ- العامل الذي ذكر الرواة اسمه: ومن أولئك:
 1. أشعث بن قيس عامل أذربيجان⁽²⁾.
 2. عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة⁽³⁾.
 3. عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين⁽⁴⁾.
 4. مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشير خرة⁽⁵⁾.
 5. عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة⁽⁶⁾.
 6. كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت⁽⁷⁾.
 7. أبو موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة⁽⁸⁾.
 8. سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة⁽⁹⁾.
 9. قثم بن العباس وهو عامله على مكة⁽¹⁰⁾.
 - ب- العامل الذي لم يذكر الرواة اسمه، وإنما ورد بصيغة: (بعض عماله). وهو على نوعين:

- ❖ نوع لا يعرف من هو⁽¹¹⁾.
 - ❖ نوع يترجح فيه اسم العامل المعني من خلال قرائن معينة، كما في إحدى رسائله التي ترجح منها أن العامل المعني هو ابن عباس⁽¹²⁾.
- 3) المرتبط بالأعمال الإدارية، ومن أولئك:
- زياد ابن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة⁽¹³⁾.
 - الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان⁽¹⁴⁾.

(2) ينظر: شرح نهج البلاغة: 27/14.
 (3) ينظر: م.ن: 33/14.
 (4) ينظر: م.ن: 125/15.
 (5) ينظر: م.ن: 173/16.
 (1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 175/16.
 (2) ينظر: م.ن: 205/16.
 (3) ينظر: م.ن: 149/17.
 (4) ينظر: م.ن: 246/17.
 (5) ينظر: م.ن: 52/18.
 (6) ينظر: م.ن: 138/16.
 (7) ينظر: م.ن: 137/15.
 (8) ينظر: م.ن: 167/16.
 (9) ينظر: م.ن: 138/15.
 (1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 145/17.

- المنذر بن الجارود العبدي⁽¹⁾.
- 4) المبعوث: جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية⁽²⁾.
- وقد تكون موجهة إلى رجل من أتباعه أو من المسلمين عموماً: ومن أولئك:
- عقيل بن أبي طالب⁽³⁾.
 - عبد الله بن العباس⁽⁴⁾.
 - سلمان الفارسي⁽⁵⁾.
 - الحارث الهمداني⁽⁶⁾.
 - عبد الله بن عامر⁽⁷⁾.
- 5) أمير جيش: بعض أمراء جيشه⁽⁸⁾.
- 2- يتوجه الإرسال إلى شخصين اثنين: أميران من أمراء جيشه⁽⁹⁾.
- 3- يتوجه الإرسال إلى مجموعة. ومن أولئك:
- أصحاب الخراج⁽¹⁰⁾.
 - أمراء البلاد⁽¹¹⁾.
 - من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد⁽¹²⁾.
 - أصحاب المسالح⁽¹³⁾.
 - أمراء الأجناد⁽¹⁴⁾.
- 4- يتوجه الإرسال إلى أهل بلد معين، أو إليهم جميعاً، ومن أولئك:
- ☒ أهل الكوفة⁽¹⁵⁾.
 - ☒ أهل البصرة⁽¹⁶⁾.
 - ☒ أهل مصر⁽¹⁷⁾.
 - ☒ أهل الأمصار⁽¹⁸⁾.
- والمرسل إليه المعادي، ظهر - على وفق العدد - بإحدى الصورتين الآتيتين:

- (2) ينظر: م.ن: 54/18.
- (3) ينظر: م.ن: 45/14.
- (4) ينظر: م.ن: 148/16.
- (5) ينظر: م.ن: 140/15.
- (6) ينظر: م.ن: 34/18.
- (7) ينظر: م.ن: 41/18.
- (8) ينظر: وقعة صفين: 106.
- (9) ينظر: شرح نهج البلاغة: 32/14.
- (10) ينظر: م.ن: 98/15.
- (11) ينظر: م.ن: 19/17.
- (12) ينظر: م.ن: 22/17.
- (13) ينظر: م.ن: 147/17.
- (1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 16/17.
- (2) ينظر: م.ن: 77/18.
- (3) ينظر: م.ن: 6/14.
- (4) ينظر: م.ن: 3/16.
- (5) ينظر: م.ن: 156/16.
- (6) ينظر: م.ن: 141/17.

1- يتوجه الإرسال إلى شخص واحد:

(1) معاوية بن أبي سفيان⁽¹⁾.

(2) عمرو بن العاص⁽²⁾.

2- يتوجه الإرسال إلى شخصين: طلحة والزبير⁽³⁾.

توصيف المرسل إليه: يمكن أن نصف ما توافر تحت أيدينا من توصيف للمرسل إليه، على وفق الشكل الآتي:

أ- ذكر الاسم من غير توصيف: إلى معاوية بن أبي سفيان⁽⁴⁾، وإلى عبد الله ابن قيس⁽⁵⁾.

ب- ذكر الصفة العملية من غير اسم: إلى أصحاب المسالح⁽⁶⁾، وإلى أصحاب الخراج⁽⁷⁾، وإلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد⁽⁸⁾.

ت- ذكر الصفة الفكرية الدينية فقط: إلى القوم الذين غضبوا لله⁽⁹⁾، وإلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين⁽¹⁰⁾.

ث- ذكر الصفة المكانية والمكانة الدينية، والاجتماعية: إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسمام العرب⁽¹¹⁾.

ج) الرسالة: لم ينحصر إرسال الإمام علي (ع) كتبه في وقت قصير وظرف محدد، وإنما أرسل كتبه في أوقات وحالات متنوعة، ومع ذلك كانت البنية الخاصة بفئة المنتجبين وأتباعهم هي المصدر الذي انطلق منه الإمام (ع) في تعامله مع تلك الظروف المتباينة والأوقات المختلفة؛ ومن تلك الأوقات والحالات:

1. إلى معاوية في أول ما بويع⁽¹²⁾، ولما استخلف إلى أمراء الأجناد⁽¹³⁾.

2. إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه⁽¹⁴⁾، وإلى أخيه عقيل بن أبي طالب

في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه

عقيل⁽¹⁵⁾، إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين⁽¹⁶⁾.

3. إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة⁽¹⁾.

(7) ينظر: م.ن: 35/14، 47/14 على سبيل المثال.

(8) ينظر: م.ن: 60/16.

(9) ينظر: م.ن: 131/17.

(10) ينظر: م.ن: 76/15، 68/18.

(11) ينظر: الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 130.

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 16/17.

(2) ينظر: م.ن: 19/17.

(3) ينظر: م.ن: 147/17.

(4) ينظر: م.ن: 156/16.

(5) ينظر: تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: 550/3، وتنتظر: 549.

(6) ينظر: شرح نهج البلاغة: 6/14.

(7) ينظر: م.ن: 68/18.

(8) ينظر: م.ن: 77/18.

(9) ينظر: م.ن: 117/15.

(10) ينظر: م.ن: 148/16.

(11) ينظر: م.ن: 74/18.

4. إلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد⁽²⁾.
5. إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة⁽³⁾.
6. إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة⁽⁴⁾.
7. إلى أهل مصر لما ولي عليهم الأشتر⁽⁵⁾.
8. إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين⁽⁶⁾، وإلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر⁽⁷⁾، وإلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها⁽⁸⁾.
9. لشريح بن الحارث قاضيه، لما اشترى دارا⁽⁹⁾، وإلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها⁽¹⁰⁾، وإلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل⁽¹¹⁾، وإلى المنذر بن الجارود العبدى، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله⁽¹²⁾.
10. إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت، ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغارة⁽¹³⁾.
11. إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية⁽¹⁴⁾.
12. إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين، فعزله، واستعمل نعمان بن عجلان الزرقى مكانه⁽¹⁵⁾.
13. إلى زياد ابن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه⁽¹⁶⁾.
14. للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر⁽¹⁷⁾.

(12) ينظر: م.ن: 22/17.

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 147/17.

(2) ينظر: م.ن: 6/14.

(3) ينظر: م.ن: 26/14.

(4) ينظر: م.ن: 156/16.

(5) ينظر: م.ن: 141/17.

(6) ينظر: م.ن: 145/16.

(7) ينظر: م.ن: 142/16.

(8) ينظر: م.ن: 27/14.

(9) ينظر: م.ن: 205/16.

(11) ينظر: م.ن: 246/17.

(12) ينظر: م.ن: 54/18.

(13) ينظر: م.ن: 149/17.

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 45/14.

(2) ينظر: م.ن: 173/16.

(3) ينظر: م.ن: 177/16.

(4) ينظر: م.ن: 30/17.

15. إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية⁽¹⁾.

16. إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة⁽²⁾.

17. إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه حين قلده مصر⁽³⁾.

وقد تلبس بعض الكتب (الرسائل) صورة العهد كما في كتابه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر⁽⁴⁾، وقد وضعه أحمد الهاشمي في ضمن رسائل الوصايا⁽⁵⁾، ووضعه غانم جواد رضا في ضمن الرسائل القضائية وعده وثيقة مهمة لما أوضحه "من أمور عامة تتعلق بشؤون القضاء وأحوال القائمين بأعبائه، وما يجب أن يتحلوا به من صفات وأمر كثيرة مهمة"⁽⁶⁾، بعد أن رأى أنه تضمن "الأسس التي ينبغي أن يتبعها الولاة في سياستهم العامة لإدارة تلك الأمصار، وخاصة ما يتعلق بشؤونها المالية وتنظيم اقتصادها وغير ذلك"⁽⁷⁾. وتلبس بعضها صورة الوصية كما في وصيته لابنه الحسن (ع) التي كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين⁽⁸⁾، وكانت مكتوبة بأسلوب مسهب مما جعلها ذات طول متميز، إذ بلغت ثماني صفحات تقريبا. ولذلك عدت من "الرسائل الإخوانية الوعظية التي تطفح بالروح الدينية والتقوى من الله والزهد في الدنيا ونعيمها، والعزوف عن شهواتها"⁽⁹⁾.

وقد اتخذ الإمام (ع) المخاطبة وصوته أداة توصيل للرسالة لتكون وصية في عدد من رسائله الشفوية⁽¹⁰⁾.

وربما تكشف عن البنية الخاصة بظرف معين، للرسالة عند الإمام علي (ع)، وعن انطلاق أصحابه المنتجبين من الرؤية نفسها التي تمثلها، الرواية التي تروي أنه لما انصرف الإمام علي (ع) من الجمل إلى الكوفة دخل عليه جماعة من وجوه العرب ورؤساء أصحابه، بينهم صعصعة بن صوحان العبدي، فطلب منهم المشورة في أمر معاوية "فقال صعصعة: إن معاوية أترفه الهوى وحببت إليه الدنيا، فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياههم، فإن تعمل فيه برأي ترشد وتصب إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين، والرأي أن ترسل له عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وأنا بكان له مالك وعليه ما عليك، وإلا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال علي (عليه السلام): عزم عليك يا صعصعة إلا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به إلى معاوية، واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا، وعجزه استنابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب: (بسم

(5) ينظر: م.ن: 52/18.

(6) ينظر: م.ن: 158/15.

(7) ينظر: م.ن: 163/15.

(8) ينظر: م.ن: 30/17.

(9) ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي: 166/1-177.

(10) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 127-128.

(1) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 123.

(2) ينظر: شرح نهج البلاغة: 9/16.

(3) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 136.

(4) ينظر: شرح نهج البلاغة: 9/16، و 5/17 على سبيل المثال.

الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية، سلام عليك، أما بعد). ثم اكتب ما أشرت به علي، واجعل عنوان الكتاب: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾. قال: اعفني يا أمير المؤمنين من ذلك. قال: عزمت عليك لتفعلن. قال: أفعل. فكتب فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لأذنه: استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب⁽¹⁾.

رابعاً = البنية الدينية- السياسية: أكد الإمام (ع) أهمية الاستقامة في البنية الدينية السياسية، من ذلك ما جاء في كتاب له (ع) إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة: "وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمة؛ فقد سمعتم وأطعتم، ودعيتم فأجبتكم"⁽²⁾، وبين ذلك لمعاوية في كتاب له (ع) إليه: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل، وسموه إماماً، كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى"⁽³⁾، ومآل هذا الخروج ووصف من يقوم به، موضح في كتاب آخر له (ع) إلى معاوية: "لأنها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمروي فيها مدهن"⁽⁴⁾.

ومن المنطلق الديني السياسي موقفه (ع) من طلب معاوية مؤكداً ثبات الموقف الإيديولوجي لبنيته، الذي ثبتته في كتاب له (ع) إليه جواباً عن كتاب منه إليه: "وأما طلبك إليّ الشام فإنني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعك أمس"⁽⁵⁾، وموقفه من جرير بن عبد الله حينما أرسله إلى معاوية، الذي تجلّى في قوله في كتاب له (ع) إليه موضحاً لموقفه فيه، ما يجب عليه فعله: "أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانذب إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته"⁽⁶⁾.

ويرتبط بذلك أيضاً الإشارات المستقبلية التي لا يمكن أن يقولها بتلك الثقة إلا من هو متصل اتصالاً وثيقاً بالنبي (ص) الذي يتذكر المستقبل وكأنه ماضٍ، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية: "فكأنني قد رأيتك تضج من الحرب إذا عضتك ضجيج الجمال بالأثقال، وكأنني بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع إلى كتاب الله وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة"⁽⁷⁾؛ وهذا ما حدث فعلاً فيما بعد.

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 49/3، وينظر: نهج السعادة: 424/1-425، والنص القرآني في الشورى/من: 53.

(2) شرح نهج البلاغة: 26/14.

(3) م.ن: 35/14.

(4) م.ن: 7/14.

(5) م.ن: 17/15.

(1) شرح نهج البلاغة: 45/14.

(2) م.ن: 10/15.

خامساً) = البنية الاقتصادية: من المسلم به أن الاستقامة أو عدمها في البنية الاقتصادية ذات أثر كبير في إعطاء البنية خصائص معينة، ولذا شدد الإمام (ع) على أهمية الالتزام بالاستقامة في جوانب الحياة عموماً، والجانب الاقتصادي خصوصاً، ووصلت إلينا عنه (ع) كتب، كثير منها يتعلق بمن يمثلون واجهة إدارية، فقد شملت توجيهات البنية الإيديولوجية ببعديها الديني والاقتصادي من هو بمرتبة القاضي، مثلاً، ومن ذلك ما روي عن "أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين (عليه السلام) اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك، فاستدعى شريحاً، وقال له: بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، وكتبت لها كتاباً، وأشهدت فيه شهوداً، فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فنظر إليه **نظر المغضب**، ثم قال له: يا شريح أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصاً، ويسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة. أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق" (1).

وأوضح الإمام (ع) في تلك النسخة التي كتبها تفصيلات اقتصادية مهمة، منها: "هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أزعج للرحيل اشترى منه داراً من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين، وتجمع هذه الدار حدود أربعة؛ الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحد الثالث ينتهي إلى الهوى المردي، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي، وفيه يشرع باب هذه الدار. اشترى هذا المغتر بالأمل، من هذا المزعج بالأجل، هذه الدار **بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة**" (2). وأضاف كاشفاً عن جانب من التاريخ الاقتصادي: "فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة، ومزيل ملك الفراغة، مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير، ومن جمع المال على المال فأكثر، ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر، واعتقد ونظر بزعمه للولد، إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب، وموضع الثواب والعقاب إذا وقع الأمر بفصل القضاء، ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾، شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، وسلم من علائق الدنيا" (3).

ويتجلى التناسل مع القرآن الكريم في هذه الرسالة بصورة ما هو قريب الانكشاف مع عدم وجود ما يشير صراحة إلى أن النص من القرآن الكريم، ومنصو بطريقة تجعله مركز الدلالة على وجوب الاستقامة، المراد توصيلها. والنص القرآني موجود في نهاية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (4).

(1) شرح نهج البلاغة: 27/14.

(2) م.ن: 27/14 - 28.

(3) م.ن: 28/14.

(4) غافر/ 78.

ومثل هذه الرسالة الإدارية الاقتصادية⁽¹⁾، قوله في كتاب إداري له (ع) إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان، يوضح فيه **المنهج المستقيم** الذي يجب أن يتبعه **العامل** في التعامل مع الجانب الاقتصادي، ويستعمل تعبيراً دالاً على الإنذار والتحذير من التجاوز: **"وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تفتات في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يدك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانة حتى تسلمه إلي، ولعلي ألا أكون شر ولا تلك لك"**⁽²⁾.

ويكون للقسم⁽³⁾ أثره الفاعل في تجسيد الاستقامة الاقتصادية، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى زياد ابن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة، وعبد الله عامل أمير المؤمنين (ع) يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها: **"وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقیل الظهر، ضئيل الأمر"**⁽⁴⁾. وقد يكون القسم بلفظ آخر غير لفظ الجلالة، دال على الخالق العظيم سبحانه وتعالى، ومن ذلك ما جاء في كتاب له (ع) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله على أردشير خرة: **"بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك؛ أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقته عليه دماؤهم فيمن اعتماك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك علي هواناً، ولتخفن عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً"**⁽⁵⁾، وهذا القسم وأمثاله وألوانه تجعل للاستقامة الاقتصادية مركز ثقل في الرؤية الدينية عند فئة المنتجبين وأتباعهم.

ويبين الموقف الديني من سوء التصرف الاقتصادي في كتاب آخر له (ع) إلى زياد أيضاً كاشفاً عن بذرة نافية في رؤية زياد، إذ يقول: **"فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، أن يوجب لك ثواب المتصدقين، وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم"**⁽⁶⁾.

ومن الاقتباسات المبنية على أهمية الاستقامة الاقتصادية للمجتمع المكي، ما ورد في كتاب له (ع) إلى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة: **"ومر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكن أجراً؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿سَوَاءُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾؛ فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحج إليه من غير أهله"**⁽⁷⁾، وقوله تعالى المصريح به هنا

(1) ينظر عن هذا النوع: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 124.

(2) شرح نهج البلاغة: 33/14.

(3) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 182.

(4) شرح نهج البلاغة: 138/15.

(5) م.ن: 164/16.

(1) شرح نهج البلاغة: 21/15.

(2) م.ن: 132/16.

موجود في ضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾⁽¹⁾.

ولما وصل في عهده (ع) للأشتر إلى الطبقات المتنوعة للمجتمع، قال مثبتا معالم الطريق المستقيم في توزيع الأموال: "واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض؛ فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهدا منه عندنا محفوظا"⁽²⁾. ثم بين موقف فئة المنتجبين وأتباعهم من الاحتكار، فقال: "فامنع من الاحتكار؛ فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) منع منه، وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه، فنكل به، وعاقبه في غير إسراف"⁽³⁾.

لقد طرح الإمام (ع) "الأفكار والقواعد من زاوية قرآنية منسجمة تماما ومتطلبات الواقع، فكل كلمة قالها الإمام في هذا المضمار حرص أن تأتي منسجمة مع القرآن ومع روح الرسالة الإسلامية؛ فكلمات علي (عليه السلام) هي صدى القرآن"⁽⁴⁾.

وقد تنبه الشريف الرضي على كشف الإمام (ع) عن أهمية الاستقامة الاقتصادية، وعن اهتمامه بمال المسلمين، في وصية له (ع) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، فقال: "وإنما ذكرنا هنا جملا ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل، في صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها"⁽⁵⁾، ومن ذلك قوله بشأن النوق: "حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)"⁽⁶⁾.

سادسا = البنية العلمية: ومن بين البنى التي وظفها الإمام (ع) للكشف عن الاستقامة، البنية العلمية التي تدل على المنزلة السامية له، ومن ذلك قوله في وصيته لابنه الحسن (ع): "وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشغل لبك، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة"⁽⁷⁾، وقوله واصفا نفسه (ع) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف

(3) الحج/25.

(4) شرح نهج البلاغة: 49/17.

(1) شرح نهج البلاغة: 83/17.

(2) علي بن أبي طالب (ع) رجل المعارضة والدولة، د. محسن باقر القزويني: 216-217.

(3) شرح نهج البلاغة: 151/15.

(4) م.ن: 152/15.

(5) م.ن: 66/16.

الأنصاري، وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها: "أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسل شغلها تقمها، تكثرش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة، وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات العذبة أقوى وقوداً وأبطأ خموداً"⁽¹⁾. وإذا كان توظيف صيغة أفعّل وتمييزها، مركز الدلالة مع (الشجرة البرية) و (النباتات العذبة)، فإن الخيال تجسد بالتشبيه المثير فنياً مع (البهيمة المربوطة)⁽²⁾.

وأسهم التناص الذي يمتص نصوصاً قرآنية كثيرة، ويصوغها بطريقة جديدة، هنا، بكشف الاستقامة في هذا الجانب العلمي، كما في قوله في وصية له (ع) وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له: "وسر البردين، وغور بالناس، ورفه في السير، ولا تسر أول الليل؛ فإن الله جعله سكناً، وقدره مقاماً لا ظعناً، فأرح فيه بدنك، وروح ظهرك"⁽³⁾، إذ يحيل هذا القول الشخص الذي قرأ القرآن على نصوص قرآنية متعددة في وقت واحد، منها: ﴿قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلُ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾⁽⁴⁾، و: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾⁽⁵⁾، و: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾⁽⁶⁾، و: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسُكُونٍ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁷⁾، و: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽⁸⁾، و: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾⁽⁹⁾، و: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾⁽¹⁰⁾.

سابعاً) = البنية الأخلاقية: وهي بنية غاية في الأهمية في ضمن بنى المجتمع ومتداخلة معها جميعاً، ولذا فالاستقامة فيها مهمة جداً، وقد اهتم الإمام (ع) كثيراً بتبيان ذلك، ففي وصية له (ع) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، قال: "انطلق

(1) شرح نهج البلاغة: 287/16، 289 (النص مفصول بالشرح بعد كلمة: (المتاهة)).

(2) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 195-196.

(3) شرح نهج البلاغة: 92/15.

(4) الأنعام/96.

(5) يونس/67.

(6) الفرقان/47.

(1) النمل/86.

(2) القصص/73.

(3) غافر/61.

(4) النبا/9-11.

على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلما، ولا تجتازن عليه كارها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه فإن قال قائل: لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم، فانطلق معه من غير أن تخيفه، أو توعده، أو تعسفه، أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة⁽¹⁾، وأضاف (ع) مفصلا في إقامة عماد الحق، وتشريع أمثلة العدل⁽²⁾ بما يجعل البهائم داخلة في نعمة الاستقامة: "فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه، ولا عنيف به، ولا تنفرن بهيمة، ولا تفزعنها ولا تسوان صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثم خير، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خير، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله، فاقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما، ثم اصنع مثل الذي صنعت أو لا حتى تأخذ حق الله في ماله"⁽³⁾.

وبيّن استقامته هو نفسه (ع) في هذا الجانب في مواضع متعددة، منها قوله في كتاب له إلى أهل البصرة: "وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه، فغفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم، فإن خطت بكم الأمور المردية، وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي، فها أنا ذا قد قربت جيايدي، ورحلت ركابي، ولئن ألجأتكموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعة لاقع، مع أني عارف لذي الطاعة منكم فضله، ولذي النصيحة حقه، غير متجاوز متهما إلى بري، ولا ناكثا إلى وفي"⁽⁴⁾. وقوله (لعقة لاقع) مثل يضرب للأمر التافه والشيء الحقيق، بغية توصيل فكرة التوعد والتفريع والتعريض التي ساقها في رسالته هذه⁽⁵⁾.

وقد استعمل (ع) الإلماع المرجعي في قضية حرب الجمل من غير تفصيل اعتمادا على معرفة أهل البصرة بتفصيلاتها. فالإشارة الموحية بحدث يعرفه المرسل إليه، أسلوب فني يشكل رافدا من روافد الإيجاز.

وأسهمت الاقتباسات في تبين أهمية الاستقامة في السلوك والأخلاق، وأهمية تطابق القول مع الفعل، ومنها ما جاء في عهده (ع) للأشتر لما ولاه مصر: "وإياك والمن على رعيك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعذك بخلفك؛ فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب

(5) شرح نهج البلاغة: 151/15.

(6) ينظر: م.ن: 151/15.

(1) شرح نهج البلاغة: 151/15-152.

(2) م.ن: 3/16.

(3) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 165، وعن المثل:

المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾، وقوله تعالى المصريح به هنا هو آية كاملة⁽²⁾.
 وأسهم التضمين من الحديث الشريف في ذلك التبيين كذلك، ومنه قوله في العهد نفسه: "واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع؛ فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن: ((لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتبع))"⁽³⁾.

ثامنا) = البنية النفسية: وهذا الكلام على (التتعة) يدفعنا إلى الحديث عن أهمية الاستقامة في تشكيل البنية النفسية، ويمكن أن نرى في هذه البنية توجهات آخر مرتبطة بالجانب النفسي، منها ما يكشف عن اختلال البنية النفسية السياسية لأشخاص معينين، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: "وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب"⁽⁴⁾، وقد أدت (الكناية) في (الوجيف) و (العنيف) - بوصفها تعبيراً بلاغياً وفناً تصويرياً - فعلاً تعريضياً يكشف "عن إسراع طلحة والزبير وسبقهما في التعريض بعثمان وتقريره ولومه"⁽⁵⁾.
 ومنها ما يكشف عن البنية النفسية الاجتماعية، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى عبد الله بن عباس، وهو عامله على البصرة: "واعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن؛ فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم، وقد بلغني تتمرك لبني تميم، وغلظت عليهم"⁽⁶⁾. وهذا القول يأخذ المتلقي إلى الجو القرآني، وحكايته قول موسى (ع): ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾⁽⁷⁾، ويشعر بالتوسيع الدلالي، والانتقال من صيغة الدعاء إلى صيغة الأمر على وفق التناص مع النص القرآن الكريم، شعورا من الإمام (ع) بالأثر النفسي لحل عقدة الخوف في تحقيق مناخ مناسب للاستقامة بين الحاكم والمحكوم.
 ومنها ما يكشف عن البنية النفسية الدينية، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى بعض عماله: "أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارا وجفوة"⁽⁸⁾.

تاسعا) = البنية العقائدية: وهي مرتبطة بالبنية الدينية ارتباطا وثيقا، والاستقامة في المعتقد به ذات أثر في بناء رؤية مستقيمة. وقد اهتم الإمام (ع) في كشف ذلك، وفي

(4) شرح نهج البلاغة: 113/17.

(5) الصف: 3.

(1) شرح نهج البلاغة: 87/17.

(2) م.ن: 6/14.

(3) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 195.

(4) شرح نهج البلاغة: 125/15.

(5) طه: 27-28.

(1) شرح نهج البلاغة: 137/15.

كشف نقيضه، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه: "وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فألى الجنة، ومن أكله الباطل فألى النار" (1)، وقوله في كتاب له (ع) إلى عبد الله بن العباس: "أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً وليكن همك فيما بعد الموت" (2). وليس الأمر أمر تدفق للألفاظ الإسلامية (3) بما يشكل ظاهرة أسلوبية فحسب، بل هو تدفق للفكر الإسلامي نفسه وتجل فني للعقيدة الإسلامية نفسها. وهذا النص للإمام (ع) شأنه شأن نصوص كثيرة له، امتص الدلالة القرآنية وارتبط بها عضوياً من خلال ارتباطه دلالياً بقوله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (4)، وكان ابن عباس يقول: "ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كانتفاعي بهذا الكلام" (5).

عاشراً) = البنية الإعلامية: اهتم الإمام (ع) بالبنية الإعلامية بغية تحقيق السمة الاتصالية- التواصلية، لكشف الاستقامة وأهميتها في تسيير المجتمع، وفي تنويره بالمعلومات الحقيقية، ومن ذلك كتاب له (ع) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: "من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب أما بعد فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه" (6).

وتتجه البنية الإعلامية أحياناً نحو الصفة الاستنفارية من أجل الاستقامة وتحقيقها، ومن ذلك كتاب له (ع) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: "واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها، وقلعوا بها، وجاشت جيش المرجل، وقامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم إن شاء الله عز وجل" (7).

وتتجه البنية الإعلامية أحياناً نحو الماضي لتفعيل الصفة العقلية المنطقية بغية تبين الاستقامة وأهلها، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية: "ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدي أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنني كنت في عزلة عنه، إلا أن تتجنى، فتجن ما بدا لك" (8)، وتتجه أحياناً آخر نحو المستقبل، لتفعيلها أيضاً للغاية نفسها، كما في قوله في كتاب آخر له (ع) إلى معاوية: "وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها، وخدعت بليذتها، دعتك فأجبتها، وقادتك فاتبعتها، وأمرتك فأطعتها، وإنه

(2) م.ن: 17/15.

(3) م.ن: 140/15.

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 179-180.

(5) الحديد/23.

(6) شرح نهج البلاغة: 140/15.

(1) شرح نهج البلاغة: 6/14.

(2) م.ن: 6/14.

(3) م.ن: 35/14.

يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، وشمر لما قد نزل بك، ولا تمكن الغواة من سمعك" (1). وتتجه البنية الإعلامية أحياناً نحو السمة الفكرية المتجسدة في بنية لغوية أدبية، للكشف عن أن المهم هو الاستقامة في الرؤية، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية: "أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة، ورسالة محبرة، نمقتها بضالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، قد دعاه الهوى فأجاب، وقاده الضلال فاتبعه، فهجرت لآغطا وضل خابطاً" (2).

حادي عشر) = البنية الإدارية: كانت للاستقامة في البنية الإدارية الثقل الأكبر في تحقيق رؤية خاصة بفئة المنتجين وأتباعهم، لأنها المحك العملي الذي يكشف عنها، ولذلك شغلت مساحة واسعة في رسائل الإمام (ع)، وقد مر معنا منها أمور كثيرة متناثرة، ومما هو منها كذلك قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية: "وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك فإني نظرت في هذا الأمر فلم أراه يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك" (3)، من حيث إن الإمام علي (ع) هو المسؤول الإداري الأول في بنية الدولة الإسلامية، وبيده وأمره إعطاء كل ذي حق حقه.

ومن ذلك أيضاً قوله في كتاب له (ع) - يعد من رسائل التولية - إلى أميرين من أمراء جيشه، مبينا استقامة مالك الأشتر: "وقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر، فاسمعا له وأطيعا، واجعلاه درعا ومجنا؛ فإنه ممن لا يخاف وهنه، ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل" (4).

وترتبط البنية العسكرية بالبنية الإدارية وتتداخل معها، ولذا يهتم الإمام (ع) بالاعتماد على المستقيمين أو من تتوافر فيهم صفة الاستقامة بدرجات بينة، ومن ذلك قوله في كتاب له (ع) إلى بعض أمراء جيشه: "فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب، وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهض بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عن تقاعس عنك؛ فإن المتكاه مغيبه خير من مشهده، وعوده أغنى من نهوضه" (5)، ومن ذلك أيضاً قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية، كاشفاً عن استقامة أهل بيت النبي (ص) وطاعتهم له، ومن بينهم الإمام (ع) نفسه، مبينا (ع) لمعاوية أن النبي (ص) نفسه كان يكشف عن تلك المنزلة الخاصة لأهل بيته (ص): "وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا احمر البأس، وأحجم الناس، قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت، ومنيته أجلت" (6). ثم

(4) م.ن: 79/15.

(1) شرح نهج البلاغة: 41/14.

(2) م.ن: 47/14 - 48.

(3) م.ن: 98/15.

(4) م.ن: 32/14.

(1) شرح نهج البلاغة: 47/14.

يبين (ع) لمعاوية أن تلك المنزل تستدعي التقديم، فيقول: "فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال" (1).

ويعلن (ع) مرة أخرى استقامته، واعوجاج عدوه، في قوله في كتاب آخر له (ع) إلى معاوية: "وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانباً، واخرج إلي، وأعف الفريقين من القتال؛ لتعلم أينا المرين على قلبه، والمغطى على بصره؛ فأنا أبو حسن قاتل جدك وأخيك وخالك شدخا يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي" (2).

ومن نصوصه (ع) الإدارية العسكرية ما يوظف فيها نصوصاً قرآنية بطريقة تبدو كأنها جزء من كلامه المباشر مع المرسل إليه، ويجعل تلك النصوص القرآنية بؤرة الدلالة على الاستقامة، كما في كتاب له (ع) إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر: "فأصحر لعدوك، وامض على بصيرتك، وشمر لحرب من حاربك، وادع إلى سبيل ربك، وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك، ويعينك على ما ينزل بك إن شاء الله" (3)، فدلالة هذا النص تنبني على قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (4)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (5)، وقوله تعالى تعليماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (6).

وكان للقسم (7) أثره الفاعل في تجسيد الاستقامة في هذه البنية دينياً وحربياً، كما في قوله في كتاب له (ع) إلى معاوية مؤكداً الثاني وإلقاء الحجة على الخصم: "أما بعد فإنني على التردد في جوابك، والاستماع إلى كتابك، لموهن رأيي، ومخطئ فراستي، وإنك إذ تحاولني الأمور، وتراجعني السطور كالمستقل النائم تكذبه أحلامه، والمتحير القائم يبهظه مقامه، لا يدري أله ما يأتي أم عليه، ولست به غير أنه بك شبيه. وأقسم بالله إنه لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك مني قوارع تقرر العظم، وتهلس اللحم" (8).

ثاني عشر) = البنية التاريخية- الاجتماعية: كان التاريخ والمجتمع من بين ما شغل مساحة واضحة في رؤية الإمام (ع) ولاسيما ما يتعلق فيهما بالاستقامة، فقد أوضح الإمام (ع) مثلاً في كتاب له إلى معاوية أن القرشيين أنفسهم فرقوا في النسب بين بني هاشم وغيرهم ممن ينتسب إلى قريش حينما حاولوا التخلص في بداية الدعوة الإسلامية من النبي (ص) وممن يتصل به بالنسب الهاشمي وإن كان لم يدخل في

(2) م.ن: 47/14.

(3) م.ن: 79/15.

(4) م.ن: 142/16.

(1) النحل/125.

(2) يوسف/108.

(3) الفاتحة/5.

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 182.

(5) شرح نهج البلاغة: 62/18.

الإسلام بعد، وكشفوا عن عداء اجتماعي مبيت ضد أفراد هذا النسب، مؤكداً أن هذا التصرف من القرشيين لم يشمل غير أفراد النسب الهاشمي. وذلك الفعل منهم مجسد بالصورة التي رسمها (ع) في قوله: "فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا العذب، وأحلسونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمة؛ مؤمننا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن الأصل. ومن أسلم من قريش خلوا مما نحن فيه؛ بحلف يمنعه، أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن"⁽¹⁾، وقوله في كتاب آخر له (ع) إلى معاوية: "ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، وولاة أمر الأمة، بغير قدم سابق، ولا شرف باسق"⁽²⁾، مفيدا من الجمع بين لفظتي (سابق وباسق) جمعا تجنيسيا مبنيا على الاختلاف في ترتيب الحروف، يفيض دلالة وإيقاعا⁽³⁾.

وكشف أيضا في كتاب آخر له (ع) إلى معاوية عن تلك المنزلة، وعن اختلاف طبيعة الإيديولوجيا التي يمثلها هو (ع) عن طبيعة الإيديولوجيا التي يمثلها معاوية بواسطة الكشف عن ثنائيات دينية واجتماعية تقارن بين الاستقامة والاعوجاج، بقوله: "وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبنس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل"⁽⁴⁾.

وإذا كان التاريخ والمجتمع اللذان تحدث عنهما في النصوص السابقة قريبين زمانيا ومكانيا، فإنه تحدث في كتب آخر عن أزمان أبعد وأمكنة بعيدة، كما في عهده للأشتر النخعي، الذي استدعى موضوعه أن يكتبه بأسلوب مسهب مما جعله ذا طول خاص يتجاوز طول وصيته لابنه الحسن (ع) بكثير، الذي قال فيه: "ثم اعلم يا مالك أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده"⁽⁵⁾. والإيجاز الموحى بتفاصيل النظر في الأمور أداة فنية هدفت إلى استدعاء مالك حاله السابقة قبل التولية ليضعها مع حاله بعد التولية، ليتجلى الطريق المستقيم في التعامل مع الناس على وفق ذلك.

وبمثل هذا الإيجاز التاريخي الاجتماعي، ما جاء في كتاب له (ع) لأهل مصر أرسله مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها، فبعد أن يكشف عن موقفه المستقيم، بقوله: "إني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي

(1) شرح نهج البلاغة: 47/14.

(2) م.ن: 79/15.

(3) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 158.

(4) شرح نهج البلاغة: 117/15.

(5) م.ن: 30/17 - 31.

وإني إلى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج⁽¹⁾، يقول بطريقة الإلماع التاريخي الاجتماعي: "ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاستقين حزبا فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الإسلام، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضاخ فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت، وإلى أمصاركم قد افتتحت، وإلى ممالككم تزوى، وإلى بلادكم تغزى! انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم، ولا تتأقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف، وتبوءوا بالذل، ويكون نصيبكم الأخس، وأن أخوا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه"⁽²⁾.

وتشكل الأعراف الصحيحة – وإن كانت في الجاهلية- مصدرا من مصادر الاستقامة، وتتجلى بوصفه مصدرا لتعلم الأخلاق الحميدة عند الإمام(ع)، ويمكن أن نتلمس ذلك في قوله في وصية له لعسكره بصفين قبل لقاء العدو: "ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيغير بها وعقبه من بعده"⁽³⁾.

وما ورد في كتاب له(ع) إلى معاوية جوابا، جسد الرؤية المستقيمة للمنتجبين وأتباعهم خير تجسيد على المستويات كلها، وهو قوله(ع): "أما بعد، فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمننا وكفرتكم، واليوم أنا استقمنا وفتنتكم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها، وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله(صلى الله عليه وآله) حزبا"⁽⁴⁾. فهذا الكلام يكشف ترابط الإيمان والاستقامة من جهة، وترابط الكفر والفتنة من جهة أخرى.

فيما تقدم، حاولنا أن نظهر الخصيصة الدالة في رسائل الإمام(ع)، بالاستناد إلى قراءة داخلية تحلل البنية الداخلية لها. وقد أشعرتنا تلك القراءة بأهمية الخارج الذي يفسر الداخل، وب حاجتنا إليه في ذلك مما سيشكل محور عمل الفصل الثالث. وتبين لنا أن جمال الرسائل من وجهة نظر بنوية تكوينية يحتاج لكي يظهر أن نضعها داخل العالم الخارجي لها، وأن هناك وحدة بين الشكل الإسلامي للرسالة ومضمونها المنطلق من الاستقامة المتمثلة للفكر الإسلامي كما رسمه القرآن والسنة النبوية المشرفة، من حيث إن تلك الرسائل تعبير أدبي عن بنية اجتماعية، وتصورات مشكلة بوساطة الرؤية الدينية الإسلامية، والظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية.

واتضح أن الإمام(ع) شدد في رسائله بوصفها تبلورا لوعي فقهي معين، على الجانب الدلالي من حيث إن لكل تصرف يفعله(ع) طابعا دلاليا واضحا. وهذا التبين مستند إلى البنية الذهنية الجماعية التي حاولنا أن نفهم الرسائل بوساطتها، وإلى

(1) شرح نهج البلاغة: 225/17.

(2) م.ن: 225/17.

(3) م.ن: 104/15.

(1) شرح نهج البلاغة: 250/17.

الكشف عن العلاقة بين الكلية التي تضم الرسائل جميعها، والجزئيات، مع الأخذ بالحسبان استحالة فهم الجزئيات من دون أن نضعها في إطارها العام.

المحور النظري:

بعد أن تحدثنا في الفصل الثاني عن مرحلة عملية الفهم، نتحدث الآن في هذا الفصل عن مرحلة التفسير، إذ تأتي بعد عملية الفهم، عملية التفسير، "ومهمتها إقامة العلاقة بين الأثر الأدبي والواقع الخارجي"⁽¹⁾، ولهذا "فالتفسير يركز إلى بنية أوسع وأشمل من بنية النص موضوع الدراسة. وهكذا نرى أن مرحلتَي الفهم والتفسير لحظتان من عملية واحدة"⁽²⁾، بعبارة أخرى: يستدعي التفسير عوامل خارجية عن النص⁽³⁾ من خلال قيامه "على ربط النص بواقع خارج عنه"⁽⁴⁾.

وهذا الأمر يؤكد أن مستوى التفسير يجب أن يكون مستوى ثانياً بعد مستوى الفهم، وأنه يجب عليه "أن يؤدي إلى ربط وظيفي للشكل البنائي، مما يشكل وحدة العمل ومعناه، وإلى ربط لتطلعات الذات، مما يسمح بإدخال العمل كعنصر وظيفي معبر في كلية أشمل"⁽⁵⁾. وهذا يؤكد - فعلاً - أن "غولدمان يتفق مع بارت في دراسة البنية الداخلية للنص أولاً، ويتفق مع مورون بضرورة دراسة الحياة الانفعالية للمؤلف، ولكنه يتجاوزهما بالتأكيد على إدماج الأثر الأدبي ومؤلفه في بنية أوسع هي البنية الاجتماعية والذهنية الثقافية اللتين يمثلهما أو ينتمي إليهما"⁽⁶⁾... مع التحفظ على كلمة (ينتمي). وعليه فـ "إن عملية الفهم والدراسة الظواهرية للنص تكون مجردة من أي معنى إذا لم تؤد إلى عملية التفسير أو الدراسة التكوينية للنص"⁽⁷⁾.

المرحلة الثانية - إذا - من مرحلتَي الخطوات الإجرائية للمنهج التكويني، بعد مرحلة استخلاص البنية الدالة من العمل، هي مرحلة "إدراج هذه البنية ضمن بنية أوسع تسمح بتفسير البنية الأولى [...] فالانطلاق من الأولى إلى الثانية هو انطلاق من الأدبي إلى المجتمعي"⁽⁸⁾، وربط للنص "بحركة التاريخ الاجتماعي الذي ظهر فيه"⁽⁹⁾، من خلال الكشف عن "اندراجه ضمن البنيات التاريخية والاجتماعية [...]" إدخال النتائج في علاقة مع البنيات الأساسية للواقع التاريخي والاجتماعي"⁽¹⁰⁾.

ويؤكد هذا التوجه أن (التفسير) - أو ما ترجمه بعضهم بـ (الشرح) - أوسع من الفهم - أو ما ترجمه بعضهم بـ (التأويل) - ويحتويه⁽¹¹⁾، من حيث إن الشرح "يقوم على إدخال بنية دلالية في بنية أخرى أوسع منها تكون فيها الأولى جزءاً من مقوماتها، أي أن الشرح يقتضي إنارة النص بعناصر خارجية عليه بغية الوصول إلى إدراك مقوماته"⁽¹²⁾.

(1) تأصيل النص: 11، وينظر: الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع - دراسة في فلسفة العلم (الابستمولوجيا): 101.

(2) م.ن: 11.

(3) ينظر: العلوم الإنسانية والفلسفة: 151.

(4) في البنيوية التركيبية: 117.

(5) م.ن: 117.

(6) تأصيل النص: 15.

(7) م.ن: 15، وينظر: الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع - دراسة في فلسفة العلم (الابستمولوجيا): 101.

(1) العلوم الإنسانية والفلسفة: 15.

(2) في البنيوية التركيبية: 9.

(3) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 48.

(4) ينظر: في البنيوية التركيبية: 84.

(5) م.ن: 85.

وعليه فإننا في هذا الفصل نتعامل مع البنية الذهنية والجماعية المشكلة... ونتعامل مع النص الخارج لا على أنه الخارج المعزول عن النص، بل على أنه تفصيلات لإشارات موجودة في النص من حيث إنه "ليس داخلا معزولا عن الخارج هو مرجعه.(الخارج) هو حضور في النص ينهض به عالما مستقلا، عالما يساعد استقلاله على إقناعنا به أدبيا متميزا ببنيته بما هو نسق هذه البنية"(1).

ونص الإمام علي(ع) حافل بكثير من الإشارات المتعددة الجوانب، المتنوعة الاتجاهات، ولا يتم تفسير تلك الإشارات ما لم تتم الاستعانة بالتفصيلات الخارجية... ومثلما أن هناك بنية داخلية للنص متناسقة ومنسجمة، هناك بنية خارجية للنص أيضا، ويفترض أن تكون متناسقة ومنسجمة أيضا... وهذا التوجه المنهجي للبنوية التكوينية يعني أنها تتعامل مع النص بوصفه حدثا اجتماعيا(2).

وعلينا أن نتذكر – ونحن نقوم بعملية التفسير – أن "الفئة الاجتماعية ومفاهيمها الثقافية هي التي تفرض نفسها على الكاتب وليس العكس. والكاتب العظيم هو الذي يملك رؤية كونية تعبر عن أقصى وعي لتوجيهات الفئة أو الطبقة الاجتماعية"(3). ولذلك "لم ينكر غولدمان أهمية الكاتب في تفسير النص ولكنه لم يعطه المرتبة الأولى في التفسير، بل اعتبره واسطة ضرورية لا تفسر وحدها تأصل الأثر الأدبي وتكوينه. ولا يتضح تكوين الأثر الأدبي من العلاقة بين مضمون الوعي الجماعي، ولكن بإقامة العلاقة بين البنيات الدلالية المنتزعة بواسطة القراءة التفسيرية، وبين البنيات الذهنية المكونة للوعي الجماعي لفئة أو طبقة اجتماعية"(4). أي "أن العلاقة لا تتم أولا بين محتوى الأعمال الأدبية ومحتوى الحياة الواقعية، بل بين البنية الذهنية لمجموعة اجتماعية والبنية الكلية الدالة على العمل الفني أو الأدبي المبدع"(5)، من حيث "إن تجربة الفرد ليست إلا وجهها جزئيا في الإبداع، إذ إن المبدع الحقيقي هو(نحن)، هو الذات الجماعية التي تلائم رؤيتها للعالم بنية العمل الفني"(6).

وهذا يؤكد – فعلا – أن "أهم اكتشافات البنوية التكوينية، على المستوى التاريخي والاجتماعي الذي يشمل الإبداع الأدبي، هو اكتشافها للذات الفوق – فردية(أو الجماعية) وللخاصية المبنية لكل سلوك ثقافي، وجداني أو عملي لهذه الذات"(7)... ولذلك يرى(غولدمان) "أن الخطأ الأكبر لأعمال علم النفس التحليلي معاملتها الفرد كذات مطلقة. فلا وجود – برأي(غولدمان) – لأنا ديكرتية أو كانطية أو فختية أو ما شابه، وموضوع الفعل هو الجماعة، نحن"(8).

ولذلك فإن(غولدمان) لا ينفي بتاتا – عندما يتحدث عن مجموعة، عن طبقة اجتماعية، وعن الرؤية التي يلقيانها على العالم – "أن هاته تتحقق بواسطة ومن خلال

(6) في معرفة النص:12.

(7) ينظر: في البنوية التركيبية:93.

(1) تأصيل النص:15.

(2) م:11.

(3) العلوم الإنسانية والفلسفة:10.

(4) م:11.

(5) م:147.

(6) تأصيل النص:17.

فرد معين، بصورة خاصة، فهو يكتفي بالتأكيد بأن الفرد يتصرف (على وجه العموم) انطلاقاً من نفس البنيات الذهنية التي تسود المجموعة"⁽¹⁾.

والبنوية التكوينية تؤكد أن "العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي لا تتعلق بمضمون هذين القطاعين من الواقع الإنساني، بل تتعلق فقط بالبنيات الذهنية، أي بهذه المقولات التي تنظم في نفس الوقت الوعي التجريبي لمجموعة اجتماعية والعالم المتخيل المبدع من طرف الكاتب. ليست هذه البنيات الذهنية ظواهر فردية بل ظواهر اجتماعية"⁽²⁾، وتؤكد أيضاً "أن كل خلق خيالي مهما كان نوعه يعكس إلى حد ما مضمون الوعي الجماعي لدى عدد من الجماعات الاجتماعية"⁽³⁾... مع التحفظ على استعمال كلمة (يعكس)؛ لأن (غولدمان) لا يعد "الأثر الأدبي انعكاساً للوعي الأدبي، ويرفض كلمة الانعكاس، ويفضل عليها تعبير (الرابط الوظيفية) التي تبرز تساوقاً أو ترادفاً بنيوياً بين الآثار الأدبية وبين توجهات الوعي الجماعي للفئة الاجتماعية"⁽⁴⁾.

وما تقدم يدل على أن الاكتشافات الأساس للبنوية التكوينية تتجاوز، على المستوى الاجتماعي- التاريخي الذي يتضمن الإبداع الأدبي، "الفاعل كفرد إذ إنها اجتماعية وتعالج الطابع المنظم لكل تصرف فكري أو عاطفي أو عملي يقوم به هذا الفرد الذي تجاوز فرديته"⁽⁵⁾.

وبناء على ذلك رأت البنوية التكوينية "أن الفائدة الوحيدة البسيطة لعلم النفس التحليلي في النقد، هي قدرته على التفسير: كيف أنه استطاع هذا الكاتب دون غيره التعبير عن الرؤية الكونية لفنته الاجتماعية بفضل تكوينه النفسي وسيرته الذاتية، وكيف استطاع أن يخلق عالماً مفهوماً أو تصورياً ملائماً. [...] فيقوم علم الاجتماع وعلم النفس التحليلي بعملية تبادل للرهائن: أعطني الفرد أعطك المجتمع"⁽⁶⁾. وعلى هذا "فإن النص الأدبي يستمد معناه وبنيته الدلالية من رؤية العالم التي يعبر عنها"⁽⁷⁾.

ويعد مصطلح (رؤية العالم) من المصطلحات الأساس التي قام عليها مذهب (غولدمان) على مستوى النظرية والتطبيق، وهو مفتاح أساس لفهم نظريته في العلوم الإنسانية⁽⁸⁾، وقد عرفها (غولدمان) بأنها "بالتحديد هذا المجموع من التطلعات والأحاسيس والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة معينة (وفي الأغلب طبقة اجتماعية)، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى"⁽⁹⁾.

ويرى (غولدمان) " (رؤية العالم) حلقة وسيطة بين الطبقة الاجتماعية والأعمال الأدبية. فالطبقة تعبر من خلال رؤيتها للعالم، وهذه الرؤية تعبر عن نفسها عبر

(1) البنوية التكوينية والنقد الأدبي: 45.

(2) م.ن: 45.

(3) في البنوية التركيبية: 111.

(4) تأصيل النص: 12.

(5) م.ن: 139.

(1) تأصيل النص: 16.

(2) في البنوية التركيبية: 82.

(3) ينظر: م.ن: 37، والتحليل الاجتماعي للأدب: 24.

(4) العلوم الإنسانية والفلسفة: 17.

العمل الأدبي" (1)... ومن ثم يرى (غولدمان) الكاتب وسيطا "بين الأثر الأدبي وبين الفئة الاجتماعية. ولكن على الناقد أن يتساءل عن دور هذا الوسيط. وهنا يتردد (غولدمان) قبل أن يعلن أن الفرد المتميز أو الاستثنائي هو القادر على التعبير بالرؤية الكونية عن أقصى وعي ممكن لطبقته" (2).

فالكاتب العبقرى - على ذلك - "هو ذلك الذي تكون حساسيته هي الأكثر اتساعا والأكثر ثراء، والأكثر إنسانية كونيا" (3)، ولذلك يتم التوجه إلى البحث عن كيفية استطاعة "هذا الكاتب دون غيره التعبير عن الرؤية الكونية لفئته الاجتماعية بفضل تكوينه النفسي وسيرته الذاتية" (4)، ويتم التأكيد "أن موضوع الإبداع الثقافي الحقيقي هو الفئات الاجتماعية وليس الفرد المتوحد المعزول. والتطابق المنشود يحدث بين الرؤية الكونية المعبر عنها بالأثر الأدبي، وبين الرؤية الكونية السائدة لدى الجماعة، وليس بين بنيات الأثر الأدبي وبين الحياة النفسية أو الفردية للأشخاص" (5). وبالنتيجة فإنه "لما كان الذات الجمعي هو العامل الحاسم في تحريك التاريخ، فإن المرء يستطيع بالوقوف على بنية الذات الجمعي أن يتأمل الموضوعات، وأن يختار ما يريد من المقولات العقلية التي تشيع في أفق الفنان" (6)، من حيث إن الفنان والكاتب يعدان "في طليعة الأفراد الذين يحاولون تكوين ذات جماعية تتجاوز الذات الفردية" (7).

والرؤية الكونية الشاملة هي الأساس الفكري الذي يتحكم في أفكار جماعة معينة (8)، وهي "تعني الحصيلة الشاملة التي يستخلصها الإنسان عن حقيقة الحياة والعالم وبدايته ونهايته والعوامل المؤثرة فيه، ومصادر حركته، ومصير الإنسان الذي يعتبر عاملا مهما جدا في التأثير على طبيعة حياته. وكذلك الدور العظيم للرؤية الكونية في حياة مجتمع من المجتمعات. إن الرؤية الكونية ليست العامل الوحيد في حركة تاريخ المجتمعات والتحويلات الحاصلة فيها، بل هي واحدة من العوامل الفاعلة وتحتل المقام الأول في تلك الحركة وذلك التحرك" (9)... ومن ثم فإن "الرؤية الكونية كان لها دائما دور الموجه" (10).

وتتباين طرائق تقديم الكاتب رؤيته للعالم الذي يعيش فيه بين "خلق هذا العالم كما يتصوره، أو يتخيل أن يراه، أو كما يراه وفق موقفه منه" (11). ولذلك نجد من الكتاب من "يبدع كونا متخيلا يعبر به عن رؤية معينة للناس وللطبيعة تمظهرها الفئة الاجتماعية التي انصهر مع مشاكلها" (12)، ونجد تشديدا على أن "كل فكرة وكل أثر لا يكتسب دلالاته الحقيقية إلا عند دمجها في مجموع حياة معينة ومجموع تصرف

(5) في البنيوية التركيبية: 67.

(6) تأصيل النص: 15.

(7) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 29.

(8) تأصيل النص: 16.

(1) تأصيل النص: 15.

(2) مقالات ضد البنيوية: 45.

(3) م.ن: 44.

(4) ينظر: تحليل علمي للإيديولوجيا الإسلامية: 68.

(5) م.ن: 68.

(6) م.ن: 68.

(7) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: 141.

(8) العلوم الإنسانية والفلسفة: 17.

معين" (1)، وعليه "ينبغي أن تكون ثمة علاقة جدلية بين الكل والفرد، وأن يكون كلاهما مؤثراً في الآخر، فالبنى الفردية تسهم في تكوين البنية الكلية؛ لأنها عنصر منها، والبنية الكلية تصوغ بنى الأفراد" (2).

ومن المعروف "أن الرؤية الجماعية للعالم التي تعيشها المجموعة بشكل طبيعي ولا مباشر، تؤثر في الفرد (الكاتب المبدع)، ويعيدها بدوره إلى المجموعة. ولكن هذه العلاقة بين الفرد والمجموعة بحاجة إلى زيادة في التعمق" (3)، ويستطع المرء -على وفق هذه النظرة- "أن يعد علاقة العمل الأدبي بالفئة الاجتماعية علاقة وثيقة وأنه محصلة لهذه الفئة" (4). بعبارة أخرى، "إن الإنسان كائن حي وواع يوجد داخل عالم تكتنفه حقائق اقتصادية واجتماعية وسياسية وفكرية... إلخ، وهو يخضع للتأثير الكلي لهذا العالم كما يؤثر فيه بدوره وهذا ما نسميه علاقة دياكتيكية" (5).

وعلى ذلك خصص الوعي في البنيوية التكوينية على أنه: "مظهر معين لكل سلوك بشري يستتبع تقسيم العمل" (6)، ولذلك "لما كانت السوسيولوجيا تهتم بالدرجة الأولى، بل حصراً بالأفعال البشرية القائمة على التعاون وتقسيم العمل، فإن هذا التعريف يأخذ بالاعتبار الأهمية الجوهرية لمفهوم الوعي في كل بحث اجتماعي" (7)، ولا سيما أن "النظرة الاجتماعية للنص هي التي وضعت النص في السياق الاجتماعي، وحاولت أن تبحث في قوانين الولادة المختلفة للنص" (8).

والنظر إلى الوعي بهذه الصورة جعل من "الواقع أنه في لحظة، يكون عند أية فئة اجتماعية بالنسبة لمختلف المسائل التي تطرح عليها، وبالنسبة للحقائق التي تصادفها، ووعي واقعي، حقيقي قائم، يمكن شرح بنيته ومضمونه بعدد كبير من عوامل ذات طبيعة متنوعة، كلها ساهمت، بدرجات مختلفة، في تكوين ذلك الوعي" (9).

ولما كان (غولدمان) - كما مر علينا قبل قليل - لا يعد العمل "مجرد انعكاس للواقع بل هو تعبير متجانس عن أقصى التلاؤم مع الحقيقة، الذي يمكن لمجموعة اجتماعية أن تصل إليه أي عن وعيها الممكن الأقصى وعن رؤيتها للعالم" (10)، فإن بعض الباحثين رأى أن من المفاهيم الأثيرة لدى (غولدمان) مفهوم (أقصى وعي ممكن) و(الرؤية الكونية) (11).

وترتب على ذلك اعتقاد بأن "كبار الكتاب هم الذين يعبرون بطريقة متماسكة نوعاً ما عن رؤية كونية تتماشى مع أقصى وعي ممكن لطبقة اجتماعية" (12)، وترتب

(1) اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر: 53.

(2) مقالات ضد البنيوية: 34.

(3) في البنيوية التركيبية: 38.

(4) مقالات ضد البنيوية: 42.

(5) العلوم الإنسانية والفلسفة: 103.

(6) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 33.

(7) م.ن: 34.

(8) في معرفة النص: 55.

(1) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 37.

(2) العلوم الإنسانية والفلسفة: 11، وينظر: تأصيل النص: 12.

(3) ينظر: تأصيل النص: 12.

(4) م.ن: 12.

عليه أيضا التشديد على أن "الوعي الممكن الأقصى لطبقة اجتماعية يشكل دائما رؤية للعالم متماسكة سيكولوجيا، وتستطيع أن تعبر عن نفسها على المستوى الديني والفلسفي والأدبي والفني"⁽¹⁾، و"أن الرؤيات للعالم تعتبر وقائع اجتماعية، والمؤلفات الكبرى في الفلسفة والفن تمثل التعبيرات الملائمة والمتماسكة لرؤيات العالم هذه. إنها، بوصفها كذلك، تعبيرات فردية واجتماعية في نفس الوقت، يتحدد محتواها بالوعي الممكن الأقصى للمجموعة"⁽²⁾.

والحديث عن (الوعي الممكن) يستدعي الحديث عن (الوعي القائم)، من حيث "إننا عندما نريد دراسة وقائع الوعي الجماعي، أو بدقة أكثر، درجة التلاؤم مع الواقع لدى وعي مختلف الفئات المكونة لمجتمع ما، فإنه يلزم البدء بالتمييز الأولي بين الوعي القائم بما له من مضمون ثري، متعدد، وبين الوعي الممكن باعتباره الحد الأعلى من التلاؤم الذي يمكن أن تدركه الجماعة بدون أن تغير طبيعتها"⁽³⁾.

وقد استعملها (غولدمان) للتشديد "على أن الجماعات البشرية منذ بدء بعضها يعتمد على بعضها الآخر في تسيير شؤون حياتها اليومية، ومنذ أن بدأت هذه العلاقة بالرسوخ والتطور مع الزمن، تكون لدى هذه الجماعات سياق من المفاهيم يمكنها من فهم ذاتها في الإطار الشامل للمجتمع، وهذا ما وصفه غولدمان من حيث هو سلسلة من العمليات التي تتكشف عن اللاوعي الجماعي"⁽⁴⁾.

وقد عرف (غولدمان) (الوعي الفعلي أو القائم)، بأنه "هو الوعي الناجم عن الماضي ومختلف حيثياته وظروفه وأحداثه"⁽⁵⁾. بتعبير آخر، "إن الوعي القائم لجزء هام من أعضاء جماعة، تطمح إلى تغيير وضعها القانوني أو الاندماج في جماعة أخرى، أو أن الأفراد المكونين لتلك الجماعة يجهدون، جزئيا، ومنذ الآن، في تبني قيم جماعة أخرى غير جماعتهم"⁽⁶⁾، وعليه فإن كل "مجموعة اجتماعية تسعى إلى فهم الواقع انطلاقا من ظروفها المعاشية والاقتصادية والفكرية والدينية والتربوية"⁽⁷⁾.

ومن هنا صار تكرار التعبير، أو جمود القول، يشير "إلى استمرار الإيديولوجيا المسيطرة وتكرسها، أو يشير إلى سعي الإيديولوجيا المسيطرة لتكريس (التعبير) بدلالته، بقيمه. من هنا يتخذ تغيير التعبير طابع الصراع ضد هذه الإيديولوجيا"⁽⁸⁾.

وعرف (الوعي الممكن) بأنه "ما يمكن أن تفعله طبقة اجتماعية ما بعد أن تتعرض لمتغيرات مختلفة دون أن تفقد طابعها الطبقي"⁽⁹⁾. فالوعي الممكن - إذا - يتضمن الوعي الفعلي وإضافة عليه⁽¹⁰⁾. وكل وعي - لكي يعبر عن نفسه - لا بد أن

(5) العلوم الإنسانية والفلسفة: 116.

(6) م.ن: 136.

(1) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 37.

(2) مقالات ضد البنيوية: 44.

(3) في البنيوية التركيبية: 40.

(4) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 37-38.

(5) في البنيوية التركيبية: 40.

(6) في معرفة النص: 72.

(7) في البنيوية التركيبية: 40.

(1) ينظر: في البنيوية التركيبية: 41.

يكون ملتحما على نحو ما بالوعي الشامل⁽¹⁾... ومن ثم فكل أشكال الوعي لدى طبقة ما، تجسدها رؤية العالم لدى هذه الطبقة، وكل عمل أدبي بالنتيجة، يجسد ويبلور رؤية العالم لدى هذه الطبقة أو تلك، ويجعلها تنتقل من الوعي الفعلي الذي بلغته إلى الوعي الممكن⁽²⁾.

ويمكن تصور العلاقة بين الكاتب والعمل الأدبي والوعي الممكن حلقة متكاملة يكون التفاعل فيها مستمرا⁽³⁾.

وتتمثل مشكلة العلاقة القائمة بين الوعي الممكن والوعي القائم لدى جماعة ما، بحسب غولدمان في البحث عن النقطة التي تحدث فيها "تغييرات بنيوية، ليس فقط في وعي جماعة أو طبقة ما، بل كذلك في الوعي الممكن لتلك الجماعة أو الطبقة، الذي هو أساس الوعي الأول- القائم"⁽⁴⁾.

وقبل الدخول في عملية التفسير، علينا أن ننبه على أمور مهمة؛ منها:

1. أن الدين من وجهة نظر بنيوية تكوينية، عنصر أساس "يتهافت الجميع على استغلاله في مجال العمل السياسي والإيديولوجي"⁽⁵⁾. ولكن الاستقامة والرؤية المستقيمة لم يتهافت الجميع عليها، ونتصور أنه لم يقل بها أحد إلا إذا كان يعرف حقيقة أنه على استقامة.

2. أن الدين "متداخل أو مندمج بالظواهر الثقافية الاجتماعية بحيث لا يمكن وضع حد دقيق يفصل بينها وبينه"⁽⁶⁾.

3. أن الأدب ليس "ممارسة لغوية ينتج عنها خلق أشكال تعبيرية متنوعة، وإنما هو سلوك أو ممارسة بالقول والفعل تهدف إلى تهذيب الإنسان وتساميه وهي في الدرجة الأولى ممارسة دينية"⁽⁷⁾.

4. أنه "في الزمن النبوي يتحول المستقبل إلى ماض، فالنبي لا يسير نحو المستقبل، وإنما يتذكر المستقبل. ولهذا يفعل الزمن النبوي في الإنسان بحيث يبدو له الماضي مستقبلا، والمستقبل ماضيا. إنه يعيد الإنسان إلى الماضي، فيما يضع الماضي في المستقبل. وهكذا يكون المستقبل شكلا من أشكال الماضي"⁽⁸⁾.

5. أن "الصراع السياسي اليومي، والحاجة إلى محاربة الخصوم بجميع الأسلحة، كثيرا ما ينتهيان إلى التأكيد على وحدة ضرورية بين الإنتاج الأدبي وفعل الفرد، إذا ما حكمنا عليهما من وجهة نظر أهميتهما الاجتماعية الموضوعية. وحسب هذا المنطق، فإنه إذا كان لكاتب نشاط سياسي رجعي لا بد أن يكون عمله الأدبي كذلك"⁽⁹⁾. ولذلك وجدنا من يعتقد "أنه يوجد،

(2) ينظر: مقالات ضد البنيوية: 45.

(3) ينظر: في البنيوية التركيبية: 41.

(4) ينظر: م.ن: 41.

(5) الصوت الآخر: 171.

(6) محمد مندور وتنظير النقد العربي: 176.

(7) الثابت والمتحول- بحث في الإبداع والتأثير عند العرب 1- الأصول: 59.

(1) الثابت والمتحول- بحث في الإبداع والتأثير عند العرب 1- الأصول: 55.

(2) م.ن: 39.

(3) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 20.

على مستوى الفئة الاجتماعية، تفاعل صميمي بين الفكر والفعل يؤثر أحدهما على الآخر. ومن ثم، فإن كل عمل أدبي هام، وكل تيار فلسفي، أو فني، تكون له أهميته، ويمارس تأثيرا على سلوك أعضاء الفئة الاجتماعية، وبالعكس فإن طريقة الحياة والتصرف لمختلف الطبقات الاجتماعية، في فترة معينة، يحدد جزءا كبيرا من اتجاه الحياة الثقافية والفنية⁽¹⁾.

6. أنه "داخل كل بنية توجد بذرة نافية لها، بذرة تؤشر على ما ستكونه، أي بداية تبين يؤسس بنيات جديدة ويلغي البنيات القائمة"⁽²⁾.

المحور التطبيقي:

أولاً = السمة الجمعية: تنبه الشريف الرضي على كون نتاج الإمام علي(ع) لا يحمل بصمته الشريفة فقط، وإنما يحمل أيضا بصمة إلهية وبصمة نبوية، إذ قال: "كان أمير المؤمنين(ع) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه(ع) ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثاله هذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا؛ لأن كلامه(ع) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي"⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق قال بعض الباحثين: "الكلمة العلوية هي الامتداد الطبيعي للكلمة المحمدية؛ تلك الكلمة التي استمدت نور حروفها من رب السموات العلى الذي أراد أن يظهر الأرض من رجسها، والنفس البشرية من دنسها"⁽⁴⁾.

ومن معالم تلك البصمة الإلهية، كون وصف العبد الموصوف في قوله(ع): "عباد الله إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه[...]" قد أمكن الكتاب من زمامه؛ فهو قائده وإمامه يحل حيث حل ثقله، وينزل حيث كان منزله"⁽⁵⁾، والموصوف بقوله(ع): "أحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره"⁽⁶⁾، ينطبق تمام الانطباق على شخصه الكريم(ع)، وكون وصف العبد الموصوف بقوله(ع): "إن من أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبدا وكله الله إلى نفسه جائرا عن قصد السبيل، سائرا بغير دليل، إن دعي إلى حرث الدنيا عمل، وإن دعي إلى حرث الآخرة كسل، كأن ما عمل له واجب عليه، وكأن ما ونى فيه ساقط عنه"⁽⁷⁾، ينطبق على أجناس متنوعة من أعدائه.

ومن معالم البصمة النبوية في رؤية الإمام(ع):
■ قوله: "والله ما أسمعكم الرسول شيئا إلا وها أنا ذا مسمعكموه"⁽⁸⁾.

(4) م.ن: 21.

(5) م.ن: 8.

(1) شرح نهج البلاغة: 45/1 (مقدمة الشريف الرضي).

(2) الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر، راجي أنور هيفا: 322.

(3) شرح نهج البلاغة: 363/6 - 364.

(4) م.ن: 232/9.

(5) م.ن: 107/7 - 108.

(1) شرح نهج البلاغة: 387/6.

- قوله: "إن الذي أنبئكم به، عن النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) ما كذب المبلغ، ولا جهل السامع" (1).
- قوله (ع): "أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ: زاد مبلغ ومعاذ منج. دعا إليها أسمع داع ووعاها خير واع" (2).
- قوله لما وصف (ع) الأتراك، وقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك (ع) وقال للرجل وكان كلبيا: "يا أبا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ الآية فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار حطبا أو في الجنان للنبیین مرافقا؛ فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه (صلى الله عليه وآله) فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي" (3).
- قوله (ع) لما بويع في المدينة، وفيها بعد أن يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم وفيها يقسمهم على أقسام: "والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم" (4).
- قوله حين قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله (ص) عنها فقال (ع): "إنه لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الْمُحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُنْزَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أظهرنا. فقلت يا رسول الله: ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: يا علي إن أمتي سيفتنون بعدي، فقلت: يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عني الشهادة، فشق ذلك علي فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك، فقال لي: إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذا؟ فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشري والشكر، وقال: يا علي إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية؛ فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، قلت: يا رسول الله فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك أبنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟ فقال بمنزلة فتنة" (5).
- قوله: "والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله (صلى الله عليه وسلم). ألا

(2) م.ن: 98/7.

(3) م.ن: 250/7.

(4) م.ن: 215/8، والنص القرآني في: لقمان/من 34. (وتضطم): تشتمل. ينظر: لسان العرب: مادة (ض م م).

(5) شرح نهج البلاغة: 272/1.

(1) شرح نهج البلاغة: 205/9، والنص القرآني في: العنكبوت/1-2.

- وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه. والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً، وقد عهد إلي بذلك كله، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضى به إلي. أيها الناس إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها"⁽¹⁾.
- قوله في إحدى حكمه: "لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأُمي (صلى الله عليه وآله) أنه قال يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق"⁽²⁾.
- قوله: "فإن أقل يقولوا حرص على الملك وإن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة"⁽³⁾.
- ومن معالم البصمتين الإلهية والنبوية:
- قوله: "وإني لعلى بينة من ربي، ومنهاج من نبيني، وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً"⁽⁴⁾.
 - قوله: "إن الكتاب لمعي ما فارقت مذ صحبتته"⁽⁵⁾.
 - قوله: "ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه إذا خرجتم إلى الصعدات تبكون على أعمالكم [...]. ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحق بي منكم؛ قوم والله ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، متاريك للبغي، مضوا قدما على الطريقة، وأوجفوا على المحجة، فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة"⁽⁶⁾.
 - قوله: "لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلا هالك، من استقام فإلى الجنة ومن زل فإلى النار"⁽⁷⁾.
 - قوله: "تالله لقد علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العدات، وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم، وضياء الأمر. ألا وإن شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضل وندم"⁽⁸⁾.
 - قوله: "أيها الناس إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأديت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا،

(2) شرح نهج البلاغة: 10/10.

(3) م.ن: 173/18.

(1) شرح نهج البلاغة: 213/1. و(الأرشية): الحبال. ينظر: لسان العرب: مادة (ر ش ا).

(2) م.ن: 71/7.

(3) م.ن: 297/7.

(4) م.ن: 277/7.

(5) م.ن: 285/7.

(6) م.ن: 288/7.

وحدوكم بالزواج فلم تستوسقوا، لله أنتم أتتوقعون إماما غيري يطأ بكم الطريق، ويرشدكم السبيل" (1).

● قوله في لوم العصاة: "ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأمتم أحكامه، ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض؛ فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوخت، وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه، ورجة صدره، وبقيت بقية من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأدبلن منهم إلا ما يتشذر في أطراف البلاد تشذرا" (2).

● قوله في كتاب له إلى معاوية: "فأنا أبو حسن قاتل جدك وأخيك وخالك شدخا يوم بدر؛ وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي، ما استبدلت ديننا، ولا استحدثت نبيا، وإنني لعلی المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين" (3).

وهل يمكن أن يقول الإمام علي (ع): "أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض" (4)، لو لم تكن فيه مسحة من العلم الإلهي متلقة بعقة من الكلام النبوي، من أخيه في الإسلام نبي الإسلام (ص)؟ فهو يقول: في خطبة له (ع) وفيها ينبه على فضله وعلمه ويبين فتنة بني أمية: "فإني فقأت عين الفتنة ولم يكن ليحتري عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبتها واشتد كلبها فاسألوني قبل أن تفقدوني فالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وضائق الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقيّة الأبرار منكم إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطئن بلدا" (5). ثم يفصل بشأن الفتنة، فيقول: "ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذب بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لهم أو غير ضائر بهم ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم إلا السيف

(1) شرح نهج البلاغة: 99/10.

(2) م.ن: 182/13 - 183.

(3) م.ن: 79/15.

(4) م.ن: 101/13.

(1) شرح نهج البلاغة: 44/7.

- ولا يحلسهم إلا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يروني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونيهِ" (1).
- وهذه المسحة منتشرة في أئمة أهل البيت من نسل الإمام (ع)، ومن أدلة ذلك:
- ❖ قوله في خطبة له (ع) في رسول الله (ص) وأهل بيته (ع): "وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها زهق، ومن لزمها لحق" (2).
 - ❖ قوله في صفة الرسول الأعظم (ص) وصفة أهل بيته (ع): "فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه!" (3).
 - ❖ قوله: "نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم. ناصرنا ومحبا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة" (4).
 - ❖ قوله في فضل أهل البيت: "أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم" (5).
 - ❖ قوله: "نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها؛ فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقا" (6) ثم قال (ع): "فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا" (7).
 - ❖ قوله في خطبة له (ع) يذكر فيها آل محمد (ص): "هم عيش العلم، وموت الجهل. يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم. لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه. وهم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام. بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية؛ فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل" (8).
 - ❖ قوله: "نحن النمرقة الوسطى؛ بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي" (9).
- وهذه الاقتباسات وغيرها تؤكد المنزلة الخاصة لأهل بيت النبي (ص) داخل البنية الإسلامية ولا سيما داخل بنية فئة المنتجبين وأتباعهم.
- وفي وصية له (ع) للحسن بن علي (ع) كتبها إليه باحضرين عند انصرافه من صفين، ما يشير صراحة إلى استمرار الإمام علي (ع) إلى تلك المنزلة، إذ يقول

(2) م.ن: 44/7-45.

(3) م.ن: 84/7.

(4) م.ن: 233/9.

(5) م.ن: 218/7.

(1) شرح نهج البلاغة: 84/9.

(2) م.ن: 164/9.

(3) م.ن: 175/9.

(4) م.ن: 317/13.

(5) م.ن: 273/18.

له: "ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتك أتانى فعنانى من أمرك ما يعينى من أمر نفسى" (1).
ثانياً = من أبرز أعلام فئة المنتجبين وأتباعهم:

1 = أم سلمة: أدركت أم سلمة زوج الرسول (ص)، التغير في المسار الديني لطلحة والزبير، بما يقود إلى الضلالة، وأدركت الثبات على الاستقامة، الذي يسم مسارها ومسار ابنها عدل نفسها، فاتخذت قراراً فكرياً حازماً بأن تكتب إلى الإمام علي (ع) من مكة: "أما بعد، فإن طلحة والزبير وأشياهم أشياح الضلالة، يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أن عثمان قتل مظلوماً، وإنهم يطلبون بدمه، والله كافيههم بحوله وقوته، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك، والنصرة لك، ولكنى باعثة نحوك ابني، عدل نفسي عمر بن أبي سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً" (2). ولم يكن ذلك القرار الذي وجهت ثمرته إلى رأس (فئة المنتجبين وأتباعهم)، هو القرار الوحيد الذي اتخذته أم سلمة، بل اتخذت قرارات أخرى؛ منها ما فعلته حين تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير، ونصبهم الحرب للإمام علي (ع)، وتألفهم الناس، إذ "كتبت أم سلمة إلى عائشة أما بعد" (3)، وقيل قالت لها ذلك شفاهية، إذ: "لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة، أتمتها أم سلمة، فقالت لها: إنك سدة بين محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمة، قد جمع القرآن ذيلك فلا تتدحيه، وسكن عقيرك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، لو أراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعهد إليك عهداً علت، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد" (4).

ثم بينت لها اختلاف موقفها من حيث "إن عمود الإسلام لا يثاب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غرض الأطراف وخفر الأعراض وقصر الوهابة، ما كنت قائلة لو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عارضك بعد الفلوات، ناصة قلوفاً، من منهل إلى آخر، إن بعين الله مهواك، وعلى رسوله تردين، وقد وجهت سدافته- ويروى سجافته- وتركت عهده" (5)، لتبين بعد ذلك موقفها هي قائلة: "لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً (صلى الله عليه وسلم) هاتكة حجاباً، وقد ضربه علي، اجعلي حصنك بيتك، ووقاعة الستر قبرك، حتى تلقينه، وأنت على تلك أطوع ما تكونين لله بالرقبة،

(6) م.ن: 57/16.

(1) شرح نهج البلاغة: 219/6، وينظر: بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت 1111هـ): 168/32، والنص والاجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين (ت 1377هـ)، تحقيق وتعليق: أبي مجتبى: 431.

(2) الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء)، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تح: علي شيري: 76/1.

(3) شرح نهج البلاغة: 220/6، وينظر: الإمامة والسياسة: 76/1.

(1) شرح نهج البلاغة: 220/6، وينظر: الإمامة والسياسة: 76/1. (الوهابة): الخطى. ينظر: لسان العرب: مادة (و ه ز).

وأنصر ما تكون للدين ما حلت عنه. لو ذكرتك قولا تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطرق"(1).

وهذا التوجه المستقيم لأم سلمة استمرار لمواقفها السابقة التي يتوجها مضمون رواية عن النبي(ص) تروي "أن النبي(صلى الله عليه وسلم) جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي؛ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير"(2).

ولكن موقف عائشة في قضية الخروج، يبقى كما هو، فهي تضع نفسها- في كلامها لا فعلها- في موقع الإصلاح والحكومة، ومن أدلة ذلك قولها في جوابها لكتاب أم سلمة: "ما أقبلني لو عظك! وليس الأمر كما تظنين، ولنعم المسير مسير فزعت فيه إلي فئتان متناجرتان- أو قالت متناحرتان- إن أقعد ففي غير حرج، وإن أخرج فإلى ما لا بد لي من الازدياد منه"(3).

وتتجسد الرؤية المستقيمة التي انطلق منها كلام أم سلمة لعائشة، بتجلياتها المختلفة، وركائزها الأساس، وصلابتها في الحق، في ما كتبه الإمام(ع) نفسه إلى عائشة، إذ يقول: "أما بعد فإنك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله تطلبين أمرا كان عنك موضوعا، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين الناس، فخبيريني ما للنساء وقود العساكر؟ وزعمت أنك طالبة بدم عثمان؛ وعثمان رجل من بني أمية، وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ولعمري إن الذي عرضك للبلاء، وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنبا من قتلة عثمان، وما غضبت حتى أغضبت، ولا هجت حتى هيجت فاتقي الله يا عائشة، وارجعي إلى منزلك، واسبلي عليك سترك"(4).

وتكشف عائشة عن بنيتها الإيديولوجية المختلفة عن بنية الإمام(ع)، وعن أنها ليست في موقع الحكومة والإصلاح، وإنما في موقع الرؤوس في الفئة الأخرى، وعن أنها غير مبالية بما يقول، واضعة نفسها في موقع الرفض، في جوابها لكتاب الإمام علي(ع): "يا ابن أبي طالب جل الأمر عن العتاب، ولن ندخل في طاعتك أبدا، فاقض ما أنت قاض"(5).

وهذا الكلام الأخير يشير إشارة صريحة لانطلاق عائشة من رؤية البنية الإيديولوجية التي يمثلها طلحة والزبير اللذان أجابا الإمام(ع) بقولهما: "إنك سرت مسيرا له ما بعده، ولست راجعا وفي نفسك منه حاجة، فامض لأمرك، أما أنت فلست راضيا دون دخولنا في طاعتك، ولسنا بداخلين فيها أبدا، فاقض ما أنت قاض"(6).

2= عمار بن ياسر: من المواقف التي جلت منزلة عمار بن ياسر في البنية الإيديولوجية للإمام(ع) قوله في خطبة له خطبها "بالكوفة وهو قائم على حجارة

(2) شرح نهج البلاغة: 220/6- 221، وينظر: الإمامة والسياسة: 76/1.

(3) سنن الترمذي: 361/5.

(4) شرح نهج البلاغة: 221/6، وينظر: الإمامة والسياسة: 76/1.

(1) بحار الأنوار: 127/32، وينظر: الإمامة والسياسة: 90/1.

(2) بحار الأنوار: 127/32، وينظر: الإمامة والسياسة: 90/1- 91.

(3) الإمامة والسياسة: 91/1.

نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمايل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير فقال (عليه السلام): [...] أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأبرد برءوسهم إلى الفجرة. قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء⁽¹⁾.

وقد كان عمار يراجع أفراد الفئات الأخر ليدخلهم في الفئة التي تمثل مبادئها، وفي إحدى المرات قال الإمام (ع) له وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما: "دعه يا عمار فإنه لم يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته"⁽²⁾.

وكان موقع عمار في فئة الإمام (ع) في حرب الجمل سببا في ارتياب الزبير الذي كان في الفئة الأخرى، إذ روي "إن الزبير لما علم أن عمارا مع علي رضي الله عنه ارتاب بما كان فيه، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الحق مع عمار، وتقتلك الفئة الباغية))"⁽³⁾. وهل هناك دليل على استقامة عمار أقوى دلالة من هذا القول الشريف للنبي (ص)؟!

وقد روي عن فروة بن الحارث التميمي تفصيل دقيق في موقف الزبير من موقع عمار في حرب الجمل، وذلك في قوله: "كنت فيمن اعتزل عن الحرب بوادي السباع مع الأحنف بن قيس، وخرج ابن عم لي يقال له الجون، مع عسكر البصرة، فنهيته فقال: لا أرغب بنفسني عن نصرته أم المؤمنين، وحواري رسول الله! فخرج معهم. وإني لجالس مع الأحنف، يستتبي الأخبار، إذا بالجون بن قتادة، ابن عمي مقبلا، فقممت إليه واعتنقته، وسألته عن الخبر، فقال: أخبرك العجب، خرجت وأنا لا أريد أن أبرح الحرب حتى يحكم الله بين الفريقين، فبينما أنا واقف مع الزبير، إذ جاءه رجل، فقال: أبشر أيها الأمير، فإن عليا لما رأى ما أعد الله له من هذا الجمع، نكص على عقبه، وتفرق عنه أصحابه. وأتاه آخر، فقال له مثل ذلك، فقال الزبير: ويحكم! أبو حسن يرجع! والله لو لم يجد إلا العرفج لدب إلينا فيه"⁽⁴⁾.

واستمر كاشفا عن منزلة عمار ناقلا قول جون: "ثم أقبل رجل آخر، فقال: أيها الأمير، إن نفرا من أصحاب علي فارقه ليدخلوا معنا، منهم عمار بن ياسر، فقال الزبير: كلا ورب الكعبة، إن عمارا لا يفارقه أبدا، فقال الرجل: بلى والله، مرارا. فلما رأى الزبير أن الرجل ليس براجع عن قوله، بعث معه رجلا آخر، وقال: اذهبا فانظرا، فعادا وقالا: إن عمارا قد أتاك رسولا من عند صاحبه. قال جون: فسمعت والله الزبير يقول: وانقطاع ظهراه! واجدع أنفاه! واسواد وجهاه! ويكرر ذلك مرارا، ثم أخذته رعدة شديدة، فقلت: والله إن الزبير ليس بجبان، وإنه لمن فرسان قریش المذكورين، وإن لهذا الكلام لشأنا، ولا أريد أن أشهد مشهدا يقول أميره هذه

(4) شرح نهج البلاغة: 76/10، 99.

(1) شرح نهج البلاغة: 8/20.

(2) الأخبار الطوال: 147.

(3) شرح نهج البلاغة: 167/2 - 168.

المقالة، فرجعت إليكم فلم يكن إلا قليل حتى مر الزبير بنا متاركا للقوم، فأتبعه عمير بن جرموز فقتله⁽¹⁾.

وهذا الحديث عن النبي (ص) رواه أيضا من كان في فئة الإمام (ع)، إذ قالت أم سلمة: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقتل عمارا الفئة الباغية"⁽²⁾.

وهذا الحديث رواه أيضا من كان في فئة معاوية، إذ قال حنظلة بن خويلد العنزي: "إني لجالس عند معاوية إذ أتى رجلان يختصمان في رأس عمار، وكل واحد منهما يقول: أنا قتلته. فقال عبدالله بن عمرو [بن العاص]: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: تقتله الفئة الباغية"⁽³⁾.

وإذا كان عبدالله بن عمرو بن العاص مع معاوية إلا أنه لم يقاتل⁽⁴⁾، فإن هناك من كان معتزلا الفئتين حتى قتل عمار، فكان مقتله بابا لمعرفة الحق والحقيقة لديه، إذ قال محمد بن عمار: "ما زال جدي خزيمة بن ثابت كافا سلاحه يوم صفين حتى قتل عمار، فلما قتل سل سيفه، وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تقتل عمارا الفئة الباغية. فما زال يقاتل حتى قتل"⁽⁵⁾.

وقد روي أن معاوية أرسل "خيلا فاخطفوا عمارا، فكان يسمى أهل الشام قتل عمار فتح الفتوح"⁽⁶⁾.

ونقل عبدالله بن سلمة كلاما لعمار يوم صفين يؤكد فيه ثباته على الحق وإن خسروا المعركة عسكريا، إذ قال: "رأيت عمارا يوم صفين شيئا آدم طوالا أخذ الحربة بيده، ويده ترعد، وهو يقول: والذي نفسي بيده، لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاث مرات، وهذه الرابعة. والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر لعرفت أنا على حق، وأنهم على باطل. ثم جعل يقول: صبرا عباد الله، الجنة تحت ظلال السيوف"⁽⁷⁾.

وسردت أم سلمة الحادث الذي قال فيه النبي (ص) قوله في عمار، إذ قالت: "لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب وما يحتاج إليه، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون [من بحر الرجز]:
لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذا لعمل مضلل"⁽⁸⁾

ثم قالت: "وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متظفا، فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه، فإذا وضعها نفض كفيه ونظر إلى ثوبه، فإذا أصابه شيء من التراب نفضه. فنظر إليه علي رضي الله عنه فأنشد [من بحر الرجز]:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها راکعا وساجدا

(1) شرح نهج البلاغة: 168/2.

(2) صحيح مسلم: 86/8.

(3) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت 571هـ)، تح: علي شيري: 424/43، وينظر: كنز العمال: 344/11.

(4) ينظر: تاريخ مدينة دمشق: 424/43، وينظر: كنز العمال: 344/11.

(5) جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب (ع): 42/2.

(6) خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار، حامد النقوي (ت 1306هـ): 39/3.

(1) جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب (ع): 42/2.

(2) خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار: 39/3.

وقائما طورا وطورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا
فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها وهو لا يدري من يعني. فسمعه عثمان،
فقال: يا ابن سمية، ما أعرفني بمن تعرض؟ ومعه جريدة، فقال: لتكفن أو لأعترضن
بها وجهك. فسمعه النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس في ظل حائط، فقال:
عمار جلدة ما بين عيني وأنفي، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني، وأشار بيده فوضعها
بين عيني. فكف الناس عن ذلك، وقالوا لعمار: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن. فقال: أنا أرضيه كما غضب. فأقبل عليه
فقال: يا رسول الله، مالي ولأصحابك؟ قال: وما لك ولهم؟ قال: يريدون قتلي،
يحملون لبنة ويحملون علي لبنتين. فأخذ به وطاف به في المسجد، وجعل يمسح
وجهه من التراب ويقول: يا ابن سمية. لا يقتلك أصحابي، ولكن تقتلك الفئة
الباغية⁽¹⁾. ثم تقول: "فلما قتل بصفين وروى هذا الحديث عبدالله ابن عمرو بن
العاص، قال معاوية: هم قتلوه لأنهم أخرجوه إلى القتل. فلما بلغ ذلك عليا قال: ونحن
قتلنا أيضا حمزة لأننا أخرجناه"⁽²⁾.

3= عمر بن أبي سلمة المخزومي: أظهر الإمام علي (ع) منزلة عمر بن أبي سلمة
المخزومي في كتاب له (ع) إلى عمر نفسه، وكان عامله على البحرين، فعزله،
واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى مكانه، موضحا له سبب العزل: "أما بعد فإنني قد
وليت النعمان بن عجلان الزرقى على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب
عليك فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا
مأثوم فلقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معي فإنك ممن
أستظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين إن شاء الله"⁽³⁾. وهل هناك دليل
أقوى دلالة على استقامة عمر بن أبي سلمة المخزومي، وعلى شهادة الإمام (ع) نفسه
على استقامة عمر، وعلى أنه أحد أعلام دائرة المنتجبين وأتباعهم، من هذا التصريح
بكونه (ع) يريد أن يكون معه مستظها به على جهاد العدو، وإقامة عمود الدين؟
وعمر بن أبي سلمة هو ابن أم سلمة (زوج النبي (ص)) الذي قالت عنه إنه عدل
نفسها، في رسالتها للإمام (ع): "ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من
لزوم البيت، لم أدع الخروج إليك، والنصرة لك، ولكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي
عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا"⁽⁴⁾، والذي قدم على الإمام
علي (ع)، ف"أكرمه، ولم يزل مقيما معه، حتى شهد مشاهدته كلها، ووجهه علي (عليه
السلام) أميرا على البحرين"⁽⁵⁾.

4= مالك الأشتر: من المواقف البارزة لمالك الأشتر الدالة على صلابة في الحق،
منطلقة من النبع الفكري نفسه الذي يمتح منه الإمام (ع)، موقفه الديني الرابط بين

(1) خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار: 39- 40.

(2) م.ن: 40.

(3) شرح نهج البلاغة: 173/16.

(4) م.ن: 219/6، وينظر: بحار الأنوار: 168/32.

(1) شرح نهج البلاغة: 219/6، وينظر: بحار الأنوار: 168/32- 169.

القول والفعل العملي، من عائشة حين عزمت على الخروج إلى البصرة مع طلحة والزبير لمحاربة الإمام علي (ع)، وقيامه بإرسال كتاب من المدينة إليها وهي بمكة يجلي ذلك الموقف، يقول فيه: "أما بعد، فإنك طعينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أمرك أن تقري في بيتك، فإن فعلت فهو خير لك، فإن أبيت إلا أن تأخذي منسأئك، وتلقي جلبابك، وتبدي للناس شعيراتك، قاتلتك حتى أركبك إلى بيتك، والموضع الذي يرضاه لك ربك" (1).

وكشفت عائشة وهي ثائرة تضع نفسها في موقع الخصم الذي يبحث عن الانتقام، وتسم خصمها بسمة الضلال بما يدل على اختلاف إيديولوجي يصل حد التضاد، عن موقفها من الأشتر في جوابها لكتابه، إذ كتبت إليه: "أما بعد فإنك أول العرب شب الفتنة، ودعا إلى الفرقة، وخالف الأئمة، وسعى في قتل الخليفة، وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك، وفهمت ما فيه، وسيكفينيك الله، وكل من أصبح مماثلاً لك في ضلالك وغيك، إن شاء الله" (2).

وقد حظي مالك الأشتر بمنزلة عظيمة عند الإمام علي (ع)، وفي البنية الإيديولوجية لـ (فئة المنتجبين وأتباعهم)، جعلت الإمام يكشف عنها في أكثر من مناسبة في حياة الأشتر وبعدها، فهو يبين في كتاب له إلى أهل مصر لما ولى عليهم مالك الأشتر، الرؤية الكونية التي تمثلها الأشتر وانطلق من استقامتها، والتي هي نفسها الرؤية التي يمثلها هو نفسه (ع)، فيقول: "أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينال أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع أشد على الفجار من حريق النار؛ وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له، وأطيعوا أمره فيما طابق الحق؛ فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الطبة، ولا نابي الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فاقموا؛ فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري، وقد أثرتكم به على نفسي لنصيحتي لكم، وشدة شكميتي على عدوكم" (3).

وكتابه (ع) الذي كتبه له لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، هو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن (4)، وهو دال دلالة صريحة على رغبة الإمام (ع) بربط اسم الأشتر بمضمون هذا العهد الذي يمكن أن يعد (دستورا) لـ (فئة المنتجبين وأتباعهم).

ويظهر (ع) في كتاب له إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها، بعد أن أظهر منزلة محمد، منزلة الأشتر عنده مرة أخرى لأحد أفراد فئته، فيقول: "إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً، وعلى عدونا شديداً ناصحاً، فرحمه الله فلقد استكمل أيامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون أولاه الله رضوانه، وضاعف

(2) شرح نهج البلاغة: 225/6، وينظر: بحار الأنوار: 138/32.

(3) شرح نهج البلاغة: 225/6، وينظر: بحار الأنوار: 138/32 - 139.

(1) شرح نهج البلاغة: 156/16.

(2) ينظر: م.ن: 30/17.

الثواب له" (1). والرضا هنا رضا جماعي خاص بـ (فئة المنتجبين وأتباعهم) مستند إلى وقائع حية قولاً وفعلًا.

ويبين الإمام (ع) منزلة الأشر، وكونه عنصرا بارزا وموثوقا به إلى حد الجزم بذلك، في البنية الإيديولوجية نفسها التي يمثلها هو نفسه (ع)، في كتاب له (ع) إلى أميرين من أمراء جيشه، بقوله: "وقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشر، فاسمعا له وأطيعا، واجعلاه درعا ومجنا؛ فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل" (2).

وتظهر منزلة الأشر عند الإمام (ع) في قضية التحكيم كذلك، وبالمقابل يكشف أهل التحكيم عن موقفهم من الأشر، فيعد أن عبر الإمام (ع) لمن أصر على التحكيم في أن يكون أبو موسى الأشعري هو الممثل عنهم، عن عدم ثقته برأي أبي موسى، ولا بحزمه، وجعل ذلك لعبد الله بن عباس، وبعد أن رفضوا قيام ابن عباس بالتحكيم، جعل ذلك إلى الأشر، فقال الأشعث: "وهل سعر هذه الحرب إلا الأشر، وهل نحن إلا في حكم الأشر؟ قال علي: وما حكمه؟ قال: يضرب بعض وجوه بعض حتى يكون ما يريد الله" (3).

ويكشف عمرو بن العاص عن موقفه من الأشر بما يشير صراحة إلى تمثيل عمرو لرؤية فئة أخرى غير الفئة التي تمثل رؤيتها الأشر، بقوله: "فأما الأشر الغليظ الطبع القاسي القلب فليس بأهل أن يدعى في الشورى، ولا في خواص أهل النجوى" (4).

ومن تلك المنزلة العظيمة للأشر عند الإمام (ع)، قال حين جاءه نعيه: "مالك وما مالك! لو كان جبلا لكان فندا، أو كان حجرا لكان صلدا، لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر" (5)، جاعلا إياه جبلا منفردا في المنزلة والتفرد داخل البنية التي آمن برويتها ودافع عن وجودها.

وروى المحدثون رواية تدل "على فضيلة عظيمة للأشر رحمه الله، وهي شهادة قاطعة من النبي صلى الله عليه وآله بأنه مؤمن" (6)، والرواية هي: "لما حضرت أبا ذر الوفاة وهو بالربذة بكت زوجته أم ذر، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندي ثوب يسعك كفنا، ولا بد لي من القيام بجهازك! فقال: أبشري ولا تبكي، فإني سمعت [...] رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لنفر أنا فيهم: ((ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين))، وليس من أولئك نفر أحد إلا وقد مات في قرية وجماعة، فأنا - لا أشك - ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت، فانظري الطريق" (7). ثم جاء في الرواية أن

(3) م.ن: 142/16.

(1) شرح نهج البلاغة: 98/15.

(2) الأخبار الطوال: 192-193، وينظر: شرح نهج البلاغة: 228/2.

(3) شرح نهج البلاغة: 63/8.

(4) م.ن: 93/20.

(5) م.ن: 99/15، وينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت463هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وآخر: 321-322.

(1) شرح نهج البلاغة: 99/15، وينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 322/1.

أم ذر قالت بعد أن جاء ركب: "فقال لهم: أبشروا فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لنفر أنا فيهم: ((ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين))، وليس من أولئك نفر إلا وقد هلك في قرية وجماعة، والله ما كذبت ولا كذبت، ولو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أو لامرأتي لم أكفن إلا في ثوب لي أو لها، وإني أنشدكم الله ألا يكفني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً! قالت: وليس في أولئك نفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قال، إلا فتى من الأنصار قال له: أنا أكفك يا عم في ردائي هذا، وفي ثوبين معي في عييتي من غزل أمي، فقال أبو ذر: أنت تكفني، فمات فكفنه الأنصاري وغسله نفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه، في نفر كلهم يمان" (1).

ثم ذكر بعد ذلك في (شرح نهج البلاغة): "روى أبو عمر بن عبد البر قبل أن يروي هذا الحديث في أول باب جندب: كان نفر الذين حضروا موت أبي ذر بالربذة مصادفة جماعة، منهم حجر بن الأديب، ومالك بن الحارث الأشتري. قلت: حجر بن الأديب هو حجر بن عدي الذي قتله معاوية، وهو من أعلام الشيعة وعظمائها، وأما الأشتري فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة" (2).

5= محمد بن أبي بكر: توثق خطياً موقف الإمام علي (ع) من محمد بن أبي بكر، في كتاب له (ع) إلى محمد بن أبي بكر نفسه لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها: "أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانتك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية [...] فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك" (3).

ولم يكن التوثيق مقتصرًا على حياة محمد بن أبي بكر، وإنما وثقه أيضاً بعد استشهاده كاشفاً بصورة أجلى منزلة محمد بن أبي بكر داخل البنية الإيديولوجية للإمام (ع)، ومدى ابتعاد منزلات الناس المحيطين به (ع) عن تلك البنية، فيقول في كتاب له (ع) إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر: "أما بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً وقد كنت حثت الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهراً وعوداً وبدءاً فمنهم الآتي كارهاً ومنهم المعتل كاذباً ومنهم القاعد خاذلاً أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لأحببت ألا ألقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا التقي بهم أبداً" (4).

ولما بلغ (ع) مقتل "محمد بن أبي بكر حزن لذلك حزناً شديداً حتى ظهر ذلك عليه، وتبين في وجهه، وقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال: ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد (رحمة الله عليه) وعند الله نحتسبه.. وقيل له (ع) قد جزعت

(2) شرح نهج البلاغة: 100/15، وينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 322/1-323.

(3) شرح نهج البلاغة: 100/15، وينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 321/1.

(1) شرح نهج البلاغة: 142/16.

(2) م: 145/16.

على محمد جزعا شديدا يا أمير المؤمنين فقال: وما يمنعني إنه كان لي ربيبا وكان لبني أخا، وكنت له والدا، أعده ولدا⁽¹⁾.

وأكد (ع) أنه ربيبه، في كلام له (ع) لما قلد محمد بن أبي بكر مصر، فملكت عليه وقتل: "وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة ولو وليته إياها لما خلى لهم العرصة ولا أنهزم الفرصة بلا ذم لمحمد بن أبي بكر فلقد كان إلي حبيبا وكان لي ربيبا"⁽²⁾.

وقال (ع) أيضا لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر، وسرور أهل الشام بمقتله: "إن حزننا عليه على قدر سرورهم به، إلا أنهم نقصوا بغیضا ونقصنا حبيبا"⁽³⁾.

وأظهر محمد بن أبي بكر موقفه الثابت على الحق وعلى بصيرته، في جوابه لكتاب الإمام علي (ع)، بعد وفاة الأشر، فقال: "فقد انتهى إلي كتاب أمير المؤمنين، وفهمته، وعرفت ما فيه، وليس أحد من الناس أشد على عدو أمير المؤمنين، ولا أرف وأرق لوليه مني، وقد خرجت فعسكرت، وأمنت الناس إلا من نصب لنا حربا، وأظهر لنا خلافا، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه ولاجئ إليه وقائم به، والله المستعان على كل حال"⁽⁴⁾.

ومما يكشف عن صدور صوت محمد بن أبي بكر من البنية الإيديولوجية نفسها التي مثلها الإمام علي (ع) في رسائله، موقفه من معاوية الذي تجلى في كتابه إليه، والذي جاء فيه: "سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله. أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقه بلا عبث منه، ولا ضعف في قوته، ولا من حاجة به إليهم، ولكنه خلقهم عبيدا، فجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا، ثم اختار على علم فاصطفى وانتخب محمدا صلى الله عليه وآله، فانتجبه واصطفاه برسالاته، وأرسله بوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولا مصدقا ودليلا، فكان أول من أجاب وأنان وصدق وأمن وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب صدقه بالغيب المكتوم، وأثره على كل حميم، ووقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف، حارب من حاربه وسالم من سالمه، ولم يزل باذلا نفسه في ساعات الخوف والجوع والجد والهزل حتى أظهر الله دعوته وأفلج حجتة"⁽⁵⁾، ثم وجه كلامه إلى معاوية، فقال: "وقد رأيتك أيها الغاوي تساميه وأنت أنت وهو هو المبرز السابق في كل حين، أول الناس إسلاما، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وخير الناس زوجة، وأفضل الناس إخوة، وابن عمه ووصيه وصفيه وأخوه الشاري لنفسه يوم مؤتة وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن حوزته، وأنت اللعين بن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الغوائل، وتجهدان على إطفاء نوره، وتجمعان عليه الجموع، وتؤلبان عليه القبائل، وتبذلان فيه المال، هلك أبوك على ذلك وعلى ذلك خلفك"⁽⁶⁾.

(3) الاحتجاج: 271/1، وينظر: شرح نهج البلاغة: 94/6.

(4) شرح نهج البلاغة: 53/6، وينظر: 93/6.

(1) شرح نهج البلاغة: 237/19، وينظر: 21/6.

(2) شرح نهج البلاغة: 79/6، وينظر: الاحتجاج: 269/1-270، وبحار الأنوار: 557/33.

(3) الاختصاص: 124، وينظر: الاحتجاج: 269/1-271، والغدير: 158/10، وشرح نهج البلاغة: 188/3.

(1) الاختصاص: 124-125، وينظر: الاحتجاج: 271/1، والغدير: 158/10، وشرح نهج البلاغة: 189/3.

وواضح أن محمد بن أبي بكر "لم يوار شعوره بالحب للإمام علي(ع) وإثبات حقه فبدت عاطفته جامحة وانسلت من أسلة قلمه واضحة"⁽¹⁾.

ثم بين مصداق كلامه في نوعية أفراد الفئة التي يمثلها معاوية، واختلافها حد التضاد عن نوعية أفراد الفئة التي يمثلها الإمام(ع)، بقوله: "والشاهد عليك بفعلك، من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق وأهل الشقاق لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته، والشاهد لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) بفضل المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين معه الذين ذكروا بفضلهم في القرآن أثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب من حوله يجالدون بأسياهم ويهريقون دماءهم دونه يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه"⁽²⁾، وقد حقق الاعتراض بقوله(بفضل المبين وسبقه القديم) غرض التلميح إلى أمور خطيرة وقضايا سياسية راهنة؛ منها تأكيد أحقية الإمام(ع) بالخلافة⁽³⁾. ثم يبين له مكمّن الاختلاف مستعملا الدعاء بطريقة ممزوجة بالتهكم⁽⁴⁾، ويبين موقفه من عمرو بن العاص، بقوله: "فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلي، وعلي أخو رسول الله(صلى الله عليه وآله) ووصيه وأبو ولده، وأول الناس له اتباعا، وآخرهم به عهدا، يخبره بسرّه ويشركه في أمره، وأنت عدوه، وابن عدوه، فتمتّع ما استطعت بباطلك، وليمدّدك ابن العاصي في غوايتك، وكأنّ أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، ثم تستبين لمن تكون العاقبة العليا، واعلم أنّك إنّما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده في نفسك، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله ورسوله وأهل رسوله عنك الغنى والسلام على من اتبع الهدى"⁽⁵⁾.

وتوظيف محمد بن أبي بكر لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَبْنِئُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽⁶⁾ يكشف عن الرؤية التي تمثلها، والتي هي الرؤية نفسها للإمام(ع)، ويكشف عن موقع معاوية في نظر هذه الرؤية.

ولما قرأ معاوية كتاب محمد بن أبي بكر، أجابه بكتاب كاشف عن موقفه منه، قال فيه: "من معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر الزاري على أبيه. أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه ما الله أهله من سلطانه وقدرته واصطفائه رسوله، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، وذكرت فضل علي بن أبي طالب، وقديم سوابقه، وقرابته لرسول الله(صلى الله عليه وآله) ونصرته له، ومواساته إياه في كل خوف وهول، فكان احتجاجك علي وعييك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد ربا صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك"⁽⁷⁾، ثم قال له: "فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا محمد(صلى الله عليه وآله) نرى حق ابن أبي طالب لازما لنا، وفضله مبرزاً علينا حتى اختار الله لنبيه(صلى الله عليه وآله) ما عنده، وأتم له

(2) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 188.

(3) الاختصاص: 125، وينظر: الاحتجاج: 271/1، والغدير: 158/10-159، وشرح نهج البلاغة: 188/3.

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 162-163.

(5) م.ن: 162.

(1) الاختصاص: 125، وينظر: الاحتجاج: 271/1، والغدير: 159/10، وشرح نهج البلاغة: 188/3.

(2) يوسف/من: 87.

(3) الاختصاص: 126، وينظر: الاحتجاج: 272/1، وبحار الأنوار: 579/33.

وعده، وأظهر له دعوته، وأفلج له حجته، ثم قبضه الله إليه فكان أول من ابتززه حقه أبوك وفاروقه، وخالفاه في أمره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم إنهما دعواه لبيابيهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، ثم إنه بايع لهما وسلم فلم يشركاه في أمرهما، ولم يطلعهما على سرهما حتى قبضا على ذلك، وانقضى أمرهما⁽¹⁾، وانتقل بعد ذلك للقضية المركزية عنده، فقال: "ثم قام ثالثهما من بعدهما عثمان بن عفان، فاقتدى بهديهما، وسار بسيرتهما، فعتبه أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي، وبطنتما له وأظهرتما له العداوة حتى بلغتما فيه مناكما، فخذ حذرک يا ابن أبي بكر وقس شبرک بفترک، فكيف توازي من يوازن الجبال حلمه، ولا تعب من مهد له أبوك مهاده، وطرح لملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك فيه أول، ونحن فيه تبع، وإن يكن جورا فأبوك أول من أسس بناه، فبهديه اقتدينا، وبفعله احتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا عليا، ولسلمنا إليه، ولكن عب أباك بما شئت أو دعه والسلام على من أناب ورجع عن غوايته"⁽²⁾.

ثم كتب معاوية إليه كتابا آخر، وبعثه إليه عمرو بن العاص، مدخلا أهل مصر في دائرة فنته، فقال فيه: "فإن غب البغي والظلم عظيم الوبال، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا، ومن التبعة الموبقة في الآخرة، وإننا لا نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا، ولا أسوأ له عيبا، ولا أشد عليه خلافا منك، سعيت عليه في الساعين، وسفكت دمه في السافكين، ثم أنت تظن أنني عنك نائم أو ناس لك، حتى تأتي فتأمر على بلاد أنت فيها جاري، وجل أهلها أنصاري، يرون رأيي، ويرقبون قلبي، ويستصرخوني عليك، وقد بعثت إليك قوما حناقا عليك يستسقون دمك، ويتقربون إلى الله بجهادك، وقد أعطوا الله عهدا ليمثلن بك، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذرتك ولا أنذرتك، ولأحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خششائه وأوداجه، ولكن أكره أن أمثل بقرشي، ولن يسلمك الله من القصاص أبدا أينما كنت"⁽³⁾.

فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه الذي بعثه إليه عمرو بن العاص مبينا ثباته واستقامته، قائلا: "فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعترف إليك منه، وتأمرنني بالتلحي عنك كأنك لي ناصح، وتخوفني بالحرب، كأنك علي شفيق، وأنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم، وأن يهلككم الله في الواقعة، وأن ينزل بكم الذل، وأن تولوا الدبر، فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم لكم لعمرى من ظالم قد نصرتم! وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به! وإلى الله المصير وإليه ترد الأمور، وهو أرحم الراحمين، والله المستعان على ما تصفون"⁽⁴⁾.

وكشف عمرو بن العاص نفسه عن موقفه من محمد بن أبي بكر، فكتب إليه: "فتتح عني بدمك يا ابن أبي بكر فإنني لا أحب أن يصيبك مني ظفر. إن الناس

(4) الاختصاص: 126-127، وينظر: الاحتجاج: 272/1، وبحار الأنوار: 579/33.

(1) الاختصاص: 127، وينظر: الاحتجاج: 272/1، وبحار الأنوار: 579/33.

(2) البداية والنهاية: 348/7، وينظر: الغدير: 64/11، وشرح نهج البلاغة: 83/6-84.

(3) شرح نهج البلاغة: 85/6، وينظر: البداية والنهاية: 348/7، والغدير: 64/11.

بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان، فأخرج منها فإني لك من الناصحين" (1).

فكتب محمد بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه، قائلاً: "فهمت كتابك، وعلمت ما ذكرت، زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر، فأشهد بالله أنك لمن المبطلين. وزعمت أنك ناصح لي، وأقسم أنك عندي ظنين. وقد زعمت أن أهل البلد قد رفضوني، وندموا على اتباعي، فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم، وحسبنا الله رب العالمين ونعم الوكيل، وتوكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم" (2).

مما مر يتأكد- من بين ما يتأكد- أن رسائل أنصار الإمام (ع) إلى معاوية وأتباعه انصبت حول الحجاج السياسي (3).

ثالثاً= الناكثون وحرب الجمل: كان إنكار عائشة على عثمان في حياته، وتأليبها عليه، مما وردت به الأخبار، ومن ذلك ما روي عن حكيم بن عبد الله، إذ "قال: دخلت يوماً بالمدينة إلى المسجد فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف يقول: أيها الناس! العهد قريب هذان نعل رسول الله وقميصه، وكأنني أرى ذلك القميص يلوح. تقول: وإن فيكم فرعون هذه الأمة، فإذا هي عائشة، وعثمان يقول لها: اسكتي! ثم يقول للناس: إنها امرأة وعقلها عقل النساء، فلا تصغوا إلى قولها" (4). والنص يعطينا صورة موجزة مكثفة دينياً واجتماعياً عن البنية الإيديولوجية لـ(عثمان).

وتتوضح صورة هذه البنية الإيديولوجية أكثر في ما رواه الحسن بن سعد، إذ "قال: رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها، وعثمان قائم، ثم قالت: يا عثمان أقم ما في هذا الكتاب، فقال: لتنتهين عما أنت عليه أو لأدخلن عليك جمر النار، فقالت له عائشة: أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله، وهذا قميص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته" (5).

وبناء على أمور وقائعية يصف الإمام علي (ع) في كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، الموقف الفكري الديني للناس من عثمان، بقوله: "إني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه إن الناس طعنوا عليه" (6)، وموقفه هو (ع) منه في أثناء ذلك: "فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه" (7)، والموقف الفكري الديني لطلحة والزبير وعائشة، من عثمان بن عفان في أثناء خلافته: "وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف وأرفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب" (8).

(1) شرح نهج البلاغة: 83/6، وينظر: البداية والنهاية: 347/7-348، والغدير: 64/11.

(2) شرح نهج البلاغة: 85/6، والغدير: 65/11.

(3) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 116.

(4) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 75-76.

(1) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 76.

(2) شرح نهج البلاغة: 6/14.

(3) م.ن: 6/14.

(4) م.ن: 6/14.

وَيَصِفُ كَذَلِكَ كَيْفِيَّةَ مَبَايَعَةِ النَّاسِ لَهُ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ: "فَأَتِيحُ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخِيرِينَ"⁽¹⁾.
والواقع التاريخي الاجتماعي السياسي الديني الأدبي يخبرنا أنه لما قتل عثمان، وبايعت الناس أمير المؤمنين علي (ع) بالخلافة، كتب "إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام: أما بعد فإن الناس قتلوا عثمان من غير مشورة مني، وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع، فإذا أتاك كتابي هذا فبايع لي الناس، وأوفد إلي أشرف أهل الشام"⁽²⁾. وكتب (ع) إلى معاوية أيضا في أول ما بويع له: "أما بعد فقد علمت إعداري فيكم، وإعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إلي في وفد من أصحابك"⁽³⁾. وفي هذه اللحظة التاريخية جلى معاوية عن هدفه إلى تغيير مسار التاريخ، فلم يكن منه جواب للإمام علي (ع)، غير أنه كتب كتابا إلى الزبير بن العوام يستجلبه إلى بنيته، ويضع له فيها موقع الإمارة، ويسوغ له الخروج عن طاعة البيعة للإمام (ع)، جاء فيه: "لعبدالله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان [...] فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوني إلى بيعتك، فأستوثقتهم كما استوثق الحلف، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك عليهما علي بن أبي طالب؛ فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعتهم لطلحة بن عبيدالله من بعدك، فعليكما بالظهور في طلب دم عثمان (رضي الله عنه)، فادعوا الناس إلى ذلك بالجد والتشهير، ظفركما الله تعالى وخذل مناوئكما"⁽⁴⁾.

وتثبيتا لما زرعه من تخلخل في رؤية الزبير، كتب إليه مرة أخرى، قائلا: "أما بعد، فإنك الزبير بن العوام ابن أخي خديجة بنت خويلد، وابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وحواريه وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته له بمكة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المتسلخ بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرديع، كل ذلك قوة إيمان وصدق يقين منك، وقد سبقت لك من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) البشارة بالجنة، ثم جعلك عمر (رضي الله عنه) أحد المستخلفين على الأمة"⁽⁵⁾. وبعد هذه المقدمة المغرية، يذكره بمقام الإمارة، ولكنه هذه المرة يترك المقام متأرجحا بين من يقدم له سواء كان الزبير نفسه، أو طلحة. بعد أن جعل طلحة من بعد الزبير في الكتاب السابق. فيقول له: "فانهض يا أبا عبد الله فإن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي، فسارع- رحمك الله- في حقن الدماء ولم الشعث، واجمع الكلمة لصالح ذات البين قبل تفاقم الأمور وانتشار الأمة، فقد أصبح الناس على شفا جرف هار عما قليل منهار، إن لم يرأب، فشمّر لتأليف الأمة، وابتغ إلى ربك سبيلا، فقد أحكمت لك الأمر

(5) م.ن: 6/14.

(6) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: 338/1-339، وينظر: وقعة الجمل، ضامر بن شدقم بن علي المدني (ت بعد 1082هـ)، تح: تحسين آل شبيب الموسوي: 74.

(1) شرح نهج البلاغة: 68/18.

(2) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: 334/1، وينظر: الجمل: 74-75.

(3) شرح نهج البلاغة: 235/10-236، وينظر: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: 338/1-339، ووقعة الجمل: 75.

على من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدم، ثم لصاحبه من بعده، جعلكما الله من أئمة الهدى، وبغاة الخير والتقوى، وسلك بكما قصد المهتدين، ووهبكما رشد الموفقين⁽¹⁾.

وذلك التآرجح جزء من الدهاء السياسي الذي اتصف به معاوية، والذي دفعه إلى أن يكتب أيضا إلى طلحة كتابا يتناغم محتواه مع محتوى الكتاب الثاني الموجه للزبير، ويقلل من شأن تقديم الزبير في الكتاب الأول، إذ يقول فيه: "أما بعد، فإنك أقل قريش في قريش وترا، مع صباحة وجهك وسماحة كفك، وفصاحة لسانك. فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع رحمك الله إلى ما تقلدك الرعية من أمرها مما لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام، والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموفقين⁽²⁾.

ولم تقتصر كتب معاوية بشأن تغيير مسار الخلافة والتاريخ على مستوياته كلها، على كتبه إلى طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام فقط، وإنما كتب إلى سعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر بن كرز، والوليد بن عقبة، وغيرهم⁽³⁾.

ويوصل هذا الأمر إلى نتيجة مهمة أن حرب الجمل كانت جزءا من اشتغال البنية الإيديولوجية لمعاوية، وأنه الرأس الإيديولوجي الفاعل في حدوثها، وأنه من الناكثين قبل أن يكون من القاسطين.

وإذا ما قيل إن "تاريخنا العربي والإسلامي قد امتلأت صفحاته بالكثير من الصراعات المريرة بين الخير والشر، بين الإنسانية والهمجية، بين الحق والباطل، ولكن كانت كل تلك الصراعات عبارة عن عملية إعادة واستحضار الصراع الأبدي الدامي بين ولدي آدم (ع) هابيل المظلوم (ع) وقابيل القاتل والظالم. ولكن الصراعات هذه المرة هي صراعات إيديولوجية كاملة فليس الصراع صراعا شخصيا ولكنه صراع متجذر في المبادئ والأفكار وعلى المستوى الجماعي وليس على المستوى الفردي فحسب"⁽⁴⁾، فإننا نوافق على الصفة الإيديولوجية لهذه الصراعات، ونتحفظ على الطابع الشخصي لصراع هابيل وقابيل؛ من حيث إنه أول صراع إيديولوجي بعد هبوط آدم على الأرض، وكيف لا، والله سبحانه وتعالى يقول ثم يحكي على لسان هابيل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾⁽⁵⁾.

وميل طلحة والزبير إلى الإمارة ليس خفيا، فقد كشفنا بأنفسهما ذلك للإمام (ع) منذ وقت مبكر، وكان رأيه صريحا حينما قال- "وقد قال له طلحة والزبير نبايعك

(1) شرح نهج البلاغة: 235/10 - 236، وينظر: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: 338/1-339، ووقعة الجمل: 75-76.

(2) شرح نهج البلاغة: 235/10.

(3) ينظر: م.ن: 235/10، وجمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: 292/1-295، 300-304.

(1) الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر: 239.

(2) المائدة: 27.

على أنا شركاؤك في هذا الأمر- لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة، وعونان على العجز والأود⁽¹⁾.

وكان رأيته (ع) أكثر تفصيلا في كلام له كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه من ترك مشورتهم، والاستعانة في الأمور بهما: "لقد نعمتما يسيرا، وأرجأتما كثيرا، ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتمكما عنه، أم أي قسم استأثرت عليكما به، أم أي حق رفعه إلي أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه"⁽²⁾. ثم يتبع ذلك بتوضيح ما حصل منهم وبتذكيرهم به: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتكموني عليها، فلما أفضت إلي نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استن النبي (صلى الله عليه وآله) فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما. وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوى مني بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد فرغ منه فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبي"⁽³⁾.

ويكشف الإمام (ع) عن اختلال الرؤية عند الزبير، في كلام له يعنيه به، ويدعوه للدخول في البيعة ثانية: "يزعم أنه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقر بالبيعة وادعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه"⁽⁴⁾.

ويكشف عن اختلال الرؤية عند طلحة أيضا، وعن إسهامه في تأجيج الموقف الديني، وتأليب الناس على عثمان، في كلام له (ع) قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله: "قد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب، وأنا على ما قد وعدني ربي من النصر والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان إلا خوفا من أن يطالب بدمه لأنه مظنته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر ويقع الشك. والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث؛ لئن كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن ينادي ناصريه. ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهين عنه والمعذرين فيه، ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويركد جانبا، ويدع الناس معه، فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره"⁽⁵⁾.

ويثبت في كلام له (ع) في شأن طلحة والزبير، صفة البغي لهما ولأشياعها بما يستحقون معه أن يجمعوا تحت عنوان (الفئة الباغية)، فيقول: "والله ما أنكروا علي منكرا، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا، وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه، ودما هم سفكوه،

(3) شرح نهج البلاغة: 22/19.

(4) م.ن: 7/11.

(1) شرح نهج البلاغة: 7/11.

(2) م.ن: 230/1.

(3) م.ن: 3/10.

فإن كنت شريكهم فيه، فإن لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم، وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم، وإن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي، وإنها للفئة الباغية فيها الحمأ والحمأة والشبهة المغدفة، وإن الأمر لواضح، وقد زاح الباطل عن نصابه، وانقطع لسانه عن شغبه، وأيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بري، ولا يعبون بعده في حسي" (1).

وبعد خروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة تغيرت حال المدينة من حيث تنوع الانتماءات الإيديولوجية، وتدافع رؤاها الكونية، وكشف ذلك الإمام (ع) في كتابه إلى أهل الكوفة، بقوله: "واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب" (2).

ويتعامل (ع) في كتاب آخر له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة، على وفق ما يدور في نفوس ناس، فيقول: "أما بعد فإنني خرجت من حيي هذا أما ظالماً وأما مظلوماً، وأما باغياً وأما مبغياً عليه، وإنني أذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إلي، فإن كنت محسناً أعانني، وإن كنت مسيئاً استعذبني" (3).

وفي طريق طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يظهر موقف ماء الحوآب وكلابه، الذي ذكره الرسول (ص) في أحد أحاديثه لنسائه. وعن خبر ماء الحوآب وكلابه، هناك روايات؛ منها:

1. قال العرني صاحب الجمل بعد أن عرض له راكب، وتوصلاً إلى اتفاق حول الجمل وثمنه: "فقال لي: يا أبا عرينة هل لك دلالة بالطريق؟ قال: قلت: نعم أنا من أدرك الناس. قال: فسر معنا، فسرت معهم فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألوني عنه، حتى طرقتنا ماء الحوآب، فنبحتنا كلابها قالوا: أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحوآب. قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بغيرها، فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوآب طروقاً، ردوني تقول ذلك ثلاثاً فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى" (4). ثم قص خبر التقائه بالإمام علي (ع) فقال: "قال لي علي: يا أيها الراكب فأتيتك فقال: أين أتيت الظعينة قلت: في مكان كذا وكذا وهذه ناقته وبعتهم جملي قال: وقد ركبته قلت: نعم وسرت معهم حتى أتينا ماء الحوآب فنبحت عليها كلابها فقالت: كذا وكذا فلما رأيت اختلاط أمرهم انفتلت وارتحلوا" (5).

2. وفي رواية أخرى: "لما أقبلت عائشة في مسيرها إلى وقعة الجمل وبلغت مياه بني عامر ليلاً، نبحت الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوآب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوآب" (6).

(1) شرح نهج البلاغة: 33/9.

(2) م.ن: 6/14.

(3) م.ن: 140/17.

(1) تاريخ الطبري: 475/3.

(2) م.ن: 475/3.

(3) البداية والنهاية: 236/6.

3. وفي رواية ثالثة تكشف عن أن الزبير هو الشخص الذي قال لها ذلك: "إن عائشة لما أتت على الحوآب فسمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: أيتكن ينبج عليها كلاب الحوآب، فقال لها الزبير: ترجعين؟ عسى الله أن يصلح بك بين الناس" (1).
4. وفي رواية رابعة تكشف أثر الآخرين الذين كانوا معها في تشويش الصورة الواضحة: "فلما انتهوا إلى ماء الحوآب في بعض الطريق ومعهم عائشة، نبجها كلاب الحوآب، فقالت لمحمد بن طلحة: أي ماء هذا؟ قال: هذا ماء الحوآب، فقالت: ما أراني إلا راجعة، قال: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه: كأني بإحداكن قد نبجها كلاب الحوآب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء. فقال لها محمد بن طلحة: تقدمي رحمك الله، ودعي هذا القول. وأتى عبد الله بن الزبير، فحلف لها بالله لقد خلفته أول الليل، وأتاها ببينة زور من الأعراب، فشهدوا بذلك، فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام" (2).
5. وفي رواية خامسة: "وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب، فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحوآب، عليه ناس من بني كلاب، فعوت كلابهم على الركب، فقالت عائشة: ما اسم هذا الموضع؟ فقال لها السائق لجمالها: الحوآب، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: ردوني إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا حاجة لي في المسير، فقال الزبير: بالله ما هذا الحوآب، ولقد غلط فيما أخبرك به، وكان طلحة في ساقاة الناس، فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوآب، وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام، فأتوا البصرة" (3).
- وسواء كان المقسم هو الزبير أو طلحة أو عبد الله بن الزبير، وسواء كان المعارض هو الزبير أو محمد بن طلحة، فليس مهما؛ لأنهم من بنية إيديولوجية واحدة حينذاك.
- ويبين الأحنف بن قيس موقف طلحة والزبير وعائشة وأشياعهم من الإمام علي (ع) ومن عثمان، قبل مقتل عثمان، إذ يقول: "قدمنا المدينة ونحن نريد الحج، فانطلقت فأتيت طلحة والزبير، فقلت: إني لا أرى هذا إلا مقتولا، فمن تأمراني به كما ترضيانه لي؟ قالوا: نأمرك بعلي. قلت: فتأمراني به وترضيانه لي؟ قالوا: نعم. قال: ثم انطلقت حتى أتيت مكة، فبينما نحن بها إذ أتانا قتل عثمان وبها عائشة أم المؤمنين، فانطلقت إليها فقلت: من تأمريني أن أبايع؟ قالت: علي بن أبي طالب. قلت: أتأمريني به وترضيانه لي؟ قالت: نعم. قال: فمررت على علي بالمدينة فبايعته، ثم رجعت إلى البصرة، وأنا أرى أن الأمر قد استقام" (4).

(4) م.ن: 236/6.

(1) الإمامة والسياسة: 82/1، وينظر: الفتوح: 458.

(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 374/2-375، وينظر: اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي: 184/1، ونهج السعادة: 238/1، ووقعة الجمل: 43-44.

(3) العقد الفريد، شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، تقديم: خليل شرف الدين: 127/4، وينظر: الفتوح: 458.

ثم يكشف عن التحول الكبير في بنيتهم الإيديولوجية بما ينقلهم من فئة إلى فئة أخرى مغايرة إلى حد التضاد، بين ما خبره بنفسه منهم من قبل، وما دعوه إليه، إذ يصف ما حدث قبل حرب الجمل موضحاً موقفه، بقوله: "فما راعنا إلا قدوم عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة. قال: فقلت: ما جاء بهم؟ قالوا: قد أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عثمان، إنه قتل مظلوماً. قال: فأتاني أقطع أمر لم يأتني قط. قلت: إن خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد، وإن قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أمروني ببيعته لشديد"(1).

ولذا فقد قرر الأحنف في نفسه أن يعتزل عن حرب الجمل بأية طريقة(2). وبعد ذلك، يضعهم الأحنف أمام الوقائع التاريخية والدينية التي جمعتهم جميعاً، فيقول: "فلما أتيتهم قالوا: جنناك نستصرحك على دم عثمان، قتل مظلوماً. قال: فقلت: يا أم المؤمنين، أنشدك الله، أقلت لك: من تأمريني به وترضينه لي، فقلت: علي؟ قالت: بلى، ولكنه بدل. قلت: يا زبير، يا حواري رسول الله، ويا طلحة، نشدتكما بالله، أقلت لكما: من تأمراني به وترضيانه لي، فقلتما علي؟ قالوا: بلى، ولكنه بدل. قال: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين، ولا أقاتل علياً ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن اختاروا مني إحدى ثلاث خصال: إما أن تفتحوا لي باب الجسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يقضي الله من أمره، ما قضى، وإما أن ألحق بمكة فأكون بها، أو أعتزل فأكون قريباً؟ قالوا: نأتمر ثم نرسل إليك"(3). وعلى هذا التخيير انتمروا "وقالوا: نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والخاذل، أو يلحق بمكة فيفحشكم في قريش ويخبرهم بأخباركم، اجعلوه هاهنا قريباً حيث تنظرون إليه. فاعتزل بالجلحاء، من البصرة على فرسخين، واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بني تميم"(4).

ولما نزل (ع) الريزة دعا هاشم بن عتبة المرقال، وكتب معه كتاباً إلى أبي موسى الأشعري وكان بالكوفة أميراً عليها من قبل عثمان، أن يوصل الكتاب إليه ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه، وكتب (ع) إليه معه: "أما بعد فإني بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إلي من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي، وقتلوا شيعتي، وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم، فأشخص بالناس إلي معه حين يقدم عليك؛ فإني لم أولك المصير الذي أنت به، ولم أفرك عليه إلا لتكون من أعواني على الحق، وأنصاري على هذا الأمر"(5).

ولما بلغه عنه تنحيته الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل، كتب (ع) إليه: "أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك، فإذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك، واشدد منزرك، وأخرج من جحرك، واندب من معك فإن حققت فأنفذ، وإن تفشلت فابعده، وأيم الله لتؤتين من حيث أنت، ولا تترك حتى يخلط زبدك

(1) العقد الفريد: 127/4، وينظر: الفتوح: 458.

(2) ينظر: شرح نهج البلاغة: 167/2.

(3) العقد الفريد: 127/4 - 128، وينظر: الفتوح: 458.

(4) العقد الفريد: 128/4، وينظر: الفتوح: 458.

(1) بحار الأنوار: 85/32، وينظر: الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 130.

بخائرك، وذائبك بجامدك، وحتى تعجل عن قعدتك، وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك، وما هي بالهويني التي ترجو، ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها، ويذل صعبها، ويسهل جبلها، فاعقل عقلك، واملك أمرك، وخذ نصيبك وحظك، فإن كرهت فتتح إلى غير رحب، ولا في نجاة، فبالحري لتكفين وأنت نائم حتى لا يقال أين فلان، والله إنه لحق مع محق، وما أبالي ما صنع الملحدون⁽¹⁾.

ثم لم يكتف (ع) بإرسال الكتب إلى أبي موسى الأشعري، بل بعث (ع) "من الربذة بعد وصول المحل بن خليفة، أخي طيئ، عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر إلى أبي موسى، وكتب معهما [...] فوالله إني كنت لأرى أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً، ولا جعل لك فيه نصيباً، سيمنعك من رد أمري والانتزاع علي. وقد بعثت إليك ابن عباس وابن أبي بكر فخلهما والمصر وأهله، واعتزل عملنا مذهباً مدحوراً. فإن فعلت وإلا فإنني قد أمرتهما أن يباذلك على سواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين، فإذا ظهرا عليك قطعك إرباً إرباً، والسلام على من شكر النعمة، ووفى بالبيعة، وعمل برجاء العاقبة"⁽²⁾. وهذا الموقف من أبي موسى هو البذرة النافية التي ستخرجه من فئة المنتجبين وأتباعهم في أثناء (التحكيم) الذي سيحصل في معركة صفين.

ولم تكن كتب الإمام (ع) موجهة للناس فقط، من أجل الإسهام معه ضد من صاروا بموقع الأعداء في البنية الذهنية ورؤيتها، وإنما وجهها أيضاً لمن رضي أن يكون رأساً إيديولوجياً للأعداء، ومن ذلك كتابه (ع) إلى طلحة والزبير، الذي بعثه مع عمران بن الحصين الخزاعي، والذي يواجههما فيه بحقيقتهما، بقوله: "أما بعد فقد علمتما- وإن كتمتما- أنني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإنكما ممن أرادني وبايعني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر. فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة، وإسراركما المعصية. ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالنقية والكتمان، وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخل فيهما، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به"⁽³⁾.

ومع أن الظروف الحرجة مخيمة بشكل عصيب، يدعوهما (ع) إلى الاحتكام إلى العقل والدليل الواقعي في قضية مقتل عثمان، منبها على أن تماديهما في طريقهما يؤدي بهما إلى النار، وعلى أن طريقهما الآن ليس الطريق المستقيم، فيقول: "وقد زعمتما أنني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل، فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما؛ فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يتجمع العار والنار"⁽⁴⁾.

ومن ذلك أيضاً كلام له (ع) لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل: "لا تلقين طلحة؛ فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه

(2) شرح نهج البلاغة: 246/17.

(1) شرح نهج البلاغة: 10/14، وينظر: بحار الأنوار: 86/32-87.

(2) شرح نهج البلاغة: 131/17.

(3) م.ن: 131/17.

يركب الصعب ويقول هو الذلول، ولكن الق الزبير؛ فإنه ألين عريكة فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز، وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا"(1).

ويضع الناس جميعا في أمر البيعة، وفي أمر الناكثين ولاسيما طلحة والزبير، على بينة، فيقول: "فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها. اللهم إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبا الناس علي، فاحلل ما عقدا، ولا تحكم لهما ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أملا وعملا، ولقد استثبتتهما قبل القتال واستأنيت بهما أمام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية"(2).

وحدث ما حدث حين وصل جيش الجمل إلى البصرة، وقدم على الإمام(ع) عثمان بن حنيف، وقد نتف طلحة والزبير شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، فقال يا أمير المؤمنين، بعثتني ذا لحية، وجئتك أمرد، فقال أصبت خيرا وأجرا. ثم قال: أيها الناس، إن طلحة والزبير بايعاني، ثم نكثاني بيعتي، وألبا علي الناس، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما علي، والله إنهما ليعلمان إنني لست بدونهما. اللهم فاحلل ما عقدا، ولا تبرم ما قد أحكما في أنفسهما، وأرهما المساءة فيما قد عملا"(3).

ولم يترك الإمام علي(ع) وسيلة إيمانية لدرء القتال إلا استعملها إلقاء بالحجة على الخصوم، وقد أقام "ثلاثة أيام يبعث رسله إلى أهل البصرة، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فلم يجد عند القوم إجابة"(4).

ولم يكتف بذلك، فقد "سار نحو القوم حتى دنا بصفوفه من صفوفهم، فواقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر، يدعوهم ويناشدهم، وأهل البصرة وقوف تحت رايتهم، وعائشة في هودجها أمام القوم"(5).

ولم يكتف الإمام(ع) بالمراسلات والخطب لإعادة الخارجين على الخلافة إلى رشدهم، بل إنه بعد أن اجتمع الجيشان والتقيا في حرب الجمل، "دنا من صفوف أهل البصرة، وأرسل إلى الزبير يسأله، ليدنو، فيكلمه بما يريد، وأقبل الزبير حتى دنا من علي(رضي الله عنه)، فوقفا جميعا بين الصفيين حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال له علي: ناشدتك الله يا أبا عبد الله، هل تذكر يوما مررنا أنا وأنت برسول الله(صلى الله عليه وسلم) ويدي في يدك، فقال لك رسول الله(صلى الله عليه وسلم): ((أحببه؟))، قلت: نعم، يا رسول الله، فقال لك: ((أما إنك تقاتله، وأنت له ظالم؟))، فقال الزبير: نعم، أنا ذاكر له"(6). وعلى ذلك "أقبل الزبير حتى دنا من ابنه عبد الله وبيده الراية العظمى، فقال: يا بني، أنا منصرف، قال: وكيف يا أبت؟ قال: ما لي في هذا الأمر من بصيرة، وقد أذكرني علي أمرا، قد كنت غفلت عنه،

(1) شرح نهج البلاغة: 162/2.

(2) م.ن: 38/9.

(3) م.ن: 18/14.

(4) الأخبار الطوال: 146.

(5) م.ن: 146.

(1) الأخبار الطوال: 147.

فانصرف يا بني معي، فقال عبد الله: والله لا أرجع أو يحكم الله بيننا. فتركه الزبير، ومضى نحو البصرة ليتحمل منها، ويمضي نحو الحجاز⁽¹⁾. وهذه الرواية تظهر تذكر المستقبل عند النبي (ص)، ووجود البذرة النافية في تفكير الزبير، وانطلاق عبدالله بن الزبير من منطلق النكت نفسه الذي انطلق منه أبوه من قبل.

وحدث هذه الرواية يروى بطريقة أخرى بمتعلقاته كلها مع تغير في التفاصيل، إذ تقول: "خرج علي بن نفسه حاسرا، على بغلة رسول الله (ص) لا سلاح عليه فنادى: يا زبير، اخرج إلي، فخرج إليه الزبير شاكاً في سلاحه، فقيل ذلك لعائشة، فقالت: واذاك يا أسماء، فقيل لها: إن علياً حاسر فاطمأنت، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال له علي: ويحك يا زبير! ما الذي أخرجك؟ قال: دم عثمان، قال: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما تذكر يوم لقيت رسول الله (ص) في بني بياضة وهو راكب حماره، فضحك إلي رسول الله، وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع علي زهوه، فقال لك: ((إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم)) فقال الزبير: استغفر الله، والله لو ذكرت ما خرجت"⁽²⁾. وبناء على هذا التذكر قال له (ع): "يا زبير ارجع، فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذي لا يغسل، فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول [من بحر البسيط]:

اخترت عارا على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت: حسبك من عدل أبا حسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني"⁽³⁾

وهنا يظهر انطلاق الابن مما كان أبوه وأشياعه ينطلقون منه في رؤيتهم، فيقول: "أين تذهب وتدعنا؟ فقال: يا بني أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته، فقال: لا والله، ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب، فإنها طوال حداد، تحملها فتية أنجاد، قال: لا والله، ولكني ذكرت ما أنسانيه الدهر، فاخترت العار على النار، أبالجن تعيرني لا أبا لك؟ ثم أمال سناناه وشد في الميمنة فقال علي: افرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد في الميسرة، ثم رجع فشد في القلب، ثم عاد إلى ابنه، فقال: أيفعل هذا جبان؟"⁽⁴⁾.

وهذا العمل القتالي من الزبير يدل على عدم حصول العودة إلى طريق الرؤية المستقيمة، بما يمكن أن يجعله ينتقل إلى صف الإمام علي (ع) في القتال؛ ولذا مضى بعد ذلك "منصرفاً حتى أتى وادي السباع والأحف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم، فأتاه أت فقال: هذا الزبير مار، فقال: ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو مار إلى منزله سالماً، فلحقه نفر من بني

(2) م.ن: 148.

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 380/2.

(2) م.ن: 380/2.

(3) م.ن: 380/2-381.

تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقال: أتؤمنني أو أؤمك؟ فأمه الزبير فقتله عمرو بن جرموز في الصلاة⁽¹⁾.

وفي رواية أخرى تكشف اعتزال الأحنف، وتكشف مراقبته للأحداث، نقرأ: "وأقبل الزبير حتى دخل البصرة، وأمر غلمانه أن يتحملوا، فيلحقوا به، وخرج من ناحية الخريبة، فمر بالأحنف بن قيس، وهو جالس بفناء داره، وحوله قومه، وقد كانوا اعتزلوا الحرب، فقال الأحنف: هذا الزبير، ولقد انصرف لأمر، فهل فيكم من يأتيينا بخبره؟ فقال له عمرو بن جرموز: أنا أتيك بخبره"⁽²⁾.

وبعدها مباشرة نجد وصفاً لفعل ابن جرموز: "فركب فرسه، وتقلد سيفه، ومضى في أثره، وذلك قبل صلاة الظهر، فلحقه، وقد خرج من دور البصرة، فقال له: يا أبا عبد الله، ما الذي تركت عليه القوم؟ قال الزبير: تركتهم، وبعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف، قال: فأين تريد؟ قال: انصرف لحال بالي، فما لي في هذا الأمر من بصيرة. قال عمرو بن جرموز: وأنا أيضاً أريد الخريبة، فسر بنا. فسارا حتى دنا وقت الصلاة، فقال الزبير: إن هذا وقت الصلاة، وأنا أريد أن أقضيها، قال عمرو: وأنا أريد أن أقضيها، قال الزبير: أنت مني في أمان، فهل أنا منك كذلك؟ قال: نعم. فنزلاً جميعاً، وقام الزبير في الصلاة، فلما سجد حمل عليه عمرو بالسيف، فضربه حتى قتله، وأخذ درعه وسيفه وفرسه"⁽³⁾.

وبعدها مباشرة، يتجلى موقف الإمام علي(ع) من فعل ابن جرموز، حين: "أقبل حتى أتى علياً، وهو واقف، والناس يجتلدون بالسيوف، فألقى السلاح بين يديه، فلما نظر علي(رضي الله عنه) إلى السيف، قال: إن هذا السيف طالما فرج به صاحبه الكرب عن وجه رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، أبشر يا قاتل ابن صفية بالنار، فقال عمرو: نقتل أعداءكم، وتبشروننا بالنار؟!"⁽⁴⁾. وهل أدل من قول ابن جرموز: (نقتل أعداءكم)، وليس (نقتل أعداءنا) على عدم ارتباطه بالبنية الفكرية لفئة المنتجبين وأتباعهم؟

وبعد أن رجع الزبير، نادى الإمام علي(ع) طلحة: "يا أبا محمد ما الذي أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأنت أول من بايعني ثم نكث، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾؟ فقال: استغفر الله ثم رجع"⁽⁵⁾. وهناك رواية ترى أن "طلحة لما علم بانصراف الزبير هم أن ينصرف، فعلم مروان بن الحكم ما يريده، فرماه بسهم، فوقع في ركبته، فنزف حتى مات"⁽⁶⁾. وعلى ذلك قيل إن مروان بن الحكم قال يوم الجمل: "رجع الزبير، يرجع طلحة، ما أبالي رميت ها هنا أم ها هنا، فرماه في أكحله فقتله"⁽⁷⁾.

(4) م.ن: 381/2.

(1) الأخبار الطوال: 148.

(2) م.ن: 148.

(3) م.ن: 148-149.

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 382/2، والنص القرآني في: الفتح/من 10، وينظر: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي (ت 1350 هـ): 49.

(2) الأخبار الطوال: 148، وينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: 382/2.

(3) مروج الذهب ومعادن الجوهر: 382/2، وينظر: الغدير: 102/9، والنصائح الكافية لمن يتولى معاوية: 49.

ومما يكشف عن الموقف المستقبلي لمروان بن الحكم وعن الفئة التي سيمثلها الرواية التي تقول: "أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين. قال (عليه السلام): أولم يبايعني بعد قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبته أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر" (1).

ومما يلخص الموقف من أهل الجمل وممن اعتزل في حرب الجمل أو رام الاعتزال، ما قيل عن أن الحارث بن حوط أتى الإمام (ع) "فقال أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة. فقال (عليه السلام): يا حارث إنك نظرت تحتك، ولم تنظر فوقك، فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه. فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال (عليه السلام): إن سعيدا وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق، ولم يخذلا الباطل" (2).

وخاطب أهل البصرة في كلام له (ع) في ذمهم بعد وقعة الجمل، قائلا: "كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة رغا فأجبتهم وعقر فهربتهم أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها" (3).

وكشف عن أمر مهم جدا يخص أفراد الفئة التي تمثل مبادئها (ع) في كلام له لما أظفره الله بأصحاب الجمل: "وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك. فقال له (عليه السلام): أهوى أخيك معنا فقال: نعم. قال: فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سير عف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان" (4).

رابعاً = القاسطون وحرب صفين:

وبخ الإمام (ع) الخارجين عليه بعد حرب الجمل، قائلا: "ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين وإنني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم والله ما تنقم منا قریش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا" (5).

ويعلن في كتاب له (ع) إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين، عن التباين الباطني في البنية الإيديولوجية من الناحية الدينية لأهل العراق بقيادته (ع)، ولأهل الشام بقيادة معاوية، من خلال تشديده على التشابه الظاهري: "وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه

(4) شرح نهج البلاغة: 146/6.

(1) شرح نهج البلاغة: 147/19.

(2) م.ن: 251/1.

(3) م.ن: 247/1.

(4) م.ن: 185/2.

براء⁽¹⁾، ثم يكشف(ع) عن طريقة تصرف كل من البنييتين المتباينتين في ذلك الموقف، بقوله: "فقلنا: تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم بإطفاء النائرة وتسكين العامة، حتى يشتد الأمر ويستجمع، فنقوى على وضع الحق مواضعه، فقالوا: بل نداويه بالمكابرة، فأبوا، حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمشت، فلما ضرستنا وإياهم، ووضعنا مخالبا فينا وفيهم، أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه، فأجبناهم إلى ما دعوا، وسارعناهم إلى ما طلبوا، حتى استباننا عليهم الحجة، وانقطعت منهم المعذرة"⁽²⁾، ويشير(ع) إلى ذلك التباين، بقوله: "فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة، ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه، وصارت دائرة السوء على رأسه"⁽³⁾.

ويكشف عن البذرة النافية في فكر جرير بن عبد الله البجلي، في كلام له(ع) وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير إلى معاوية ولم ينزل معاوية على بيعته، إذ يقول: "إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه ولكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا والرأي عندي مع الأناة فأرودوا ولا أكره لكم الإعداد ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم أر لي فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء محمد(صلى الله عليه وآله) إنه قد كان على الأمة والحدث أحداثا وأوجد الناس مقالا فقالوا ثم نعموا فغيروا"⁽⁴⁾.

ومن القضايا المثارة قبل حرب صفين وفي أثناءها:

أ-مقتل عثمان بن عفان: لم تكن قضية مقتل عثمان محصورة بحرب الجمل بل امتدت لتكون بذرة لحرب أخرى، ففي كتاب للإمام علي(ع) إلى معاوية، يبين له كيفية مبايعة الناس له⁽⁵⁾، ثم يكشف(ع) بعد ذلك عن البنية الإيديولوجية المختلفة إلى حد التضاد، لكل من يخرج عليه بوصفه الإمام الذي بايعه الناس⁽⁶⁾، ليدعوه بعدها إلى استعمال العقل في تعامله مع قضية مقتل عثمان، موضحا موقفه من عثمان ومقتله⁽⁷⁾.

ويبين(ع) لمعاوية في كتاب آخر موقفه من طلبه تسليم قتلة عثمان إليه، ويصف الحالة الفكرية لمعاوية بالغي والشقاق⁽⁸⁾.

ويواجه(ع) معاوية بقضية مقتل عثمان في كتاب آخر له إليه، قائلا: "وزعمت أنك جئت ثائرا بدم عثمان، ولقد علمت حيث وقع دم عثمان، فاطلبه من هناك إن كنت طالبا"⁽⁹⁾.

(1) شرح نهج البلاغة: 141/17.

(2) م.ن: 141/17.

(3) م.ن: 141/17.

(4) م.ن: 322/2.

(5) ينظر: م.ن: 35/14.

(1) ينظر: شرح نهج البلاغة: 35/14.

(2) ينظر: م.ن: 35/14.

(3) ينظر: م.ن: 47/14- 48.

(4) م.ن: 79/15- 80.

وتكون المواجهة أكثر جلاء في كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً، يكشف فيه عن أثر صلة الرحم بين معاوية وعثمان في استحقاق الإجابة عن قضية مقتله⁽¹⁾، ويكشف فيه عن رغبة عثمان عن نصرة الإمام (ع) له، وعن رغبة معاوية عن نصرة عثمان حين استنصره⁽²⁾، ثم يعلن صراحة موقفه من أفعال لعثمان⁽³⁾.

ويتكرر موقف المواجهة بقدر تشبث معاوية بقضية مقتل عثمان، في كتاب له (ع) إلى معاوية، كاشفاً عن الطبيعة المخادعة في البنية الفكرية لمعاوية، قائلاً: "فأما إكثارك الحجاج على عثمان وقتلته فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلتته حيث كان النصر له"⁽⁴⁾، وفي كتاب آخر، بقوله: "وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصل"⁽⁵⁾.

ويقول في كلام له (ع) لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان: "أولم ينه بني أمية علمها بي عن قر في أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني أنا حجيج المارقين وخصيم الناكثين المرتابين وعلى كتاب الله تعرض الأمثال وبما في الصدور تجازى العباد"⁽⁶⁾.

ويبين في كلام له (ع) لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان، موقفه المستند إلى رؤية مستقبلية: "دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الأفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت. واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً"⁽⁷⁾.

ويصف ما حصل قبل البيعة وما حصل بعدها كاشفاً عن ثلاث فئات؛ فئة الناكثين، وفئة المارقين، وفئة القاسطين، إذ يقول: "فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفائي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومركت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها"⁽⁸⁾. وهنا نتذكر قول رسول الله (ص) له (ع) الذي كشف فيه عن أمر مستقبلي مرتبط بأمر التأويل: ((تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين))⁽⁹⁾.

(5) ينظر: م.ن: 183/15.

(6) ينظر: م.ن: 183/15.

(7) ينظر: م.ن: 183/15.

(8) م.ن: 153/16.

(9) م.ن: 251/17.

(1) شرح نهج البلاغة: 169/6.

(2) م.ن: 33/7.

(3) م.ن: 200/1، والنص القرآني في: القصص/83.

(4) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: 80.

ويقول في كلام له (ع) في معنى قتل عثمان وهو حكم له على عثمان وعليه وعلى الناس بما فعلوا وبراءة له من دمه: "لو أمرت به لكنت قاتلا أو نهيت عنه لكنت ناصرا غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني وأنا جامع لكم أمره استأثر فأساء الأثرة وجزعتم فأستأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع"⁽¹⁾.
وتتجلى الاستقامة الاقتصادية في كلام له (ع) فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: "والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق"⁽²⁾.

ب- البنية الإيديولوجية لمعاوية وأتباعه: من القضايا المهمة التي شغلت حيزا واضحا في نتاج الإمام علي (ع)، قضية البنية الإيديولوجية لمعاوية، الذي "دعاه الهوى فأجابه وقاده الضلال فاتبعه فهجر لا غطا وضل خابطا"⁽³⁾. ويمكن أن تتجلى تلك البنية من خلال إيراد أجوبته على عدد من كتب الإمام (ع)، ومن ذلك:

- كتب الإمام (ع) إلى معاوية: "فإن الدنيا دار تجارة، وربحها أو خسرها الآخرة، فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة، ومن رأى الدنيا بعينها، وقدرها بقدرها! وإني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه، ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدوا الأمانة، وأن ينصحوا الغوي والرشيد، فاتق الله، ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا، ومن حقت عليه كلمة العذاب، فإن الله بالمرصاد"⁽⁴⁾.
- فكتب إليه معاوية: "فقد وقفت على كتابك، وقد أبيت على الفتن إلا تماديا، وإني لعالم أن الذي يدعوك إلى ذلك مصرعك الذي لا بد لك منه، وإن كنت موائلا، فازدد غيا إلى غيك، فطالما خف عقلك، ومنيت نفسك ما ليس لك، والتويت على من هو خير منك، ثم كانت العاقبة لغيرك، واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك"⁽⁵⁾.
- فكتب الإمام (ع): "فإن ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك الذين حملهم الكفر وتمنى الأباطيل على حسد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يمنعوا حريما، ولم يدفعوا عظيما وأنا صاحبهم في تلك المواطن، الصالي بحربهم، والفال لحدهم، والقاتل لرؤوسهم رؤوس الضلالة والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم، فبئس الخلف خلف أتبع سلفا محله ومحطه النار"⁽⁶⁾.

(1) شرح نهج البلاغة: 126/2.

(2) م.ن: 269/1.

(3) م.ن: 41/14.

(4) م.ن: 133/16.

(5) م.ن: 133-134.

(1) شرح نهج البلاغة: 134/16.

- فكتب إليه معاوية: "فقد طال في الغي ما استمرت أدرجك كما طالما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطائك، فتوعد وعيد الأسد، وتروغ روغان الثعلب، فحتام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية، والأفاعي القاتلة، ولا تستبعدنها، فكل ما هو آت قريب إن شاء الله"(1).
- فكتب إليه الإمام(ع): "فما أعجب ما يأتيني منك. وما أعلمني بما أنت إليه صائر! وليس إبطائي عنك إلا ترقبا لما أنت له مكذب، وأنا به مصدق وكأني بك غدا وأنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال، وتستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم"(2).
- فكتب إليه معاوية: "فدعني من أساطيرك، واكف عني من أحاديثك، وأقصر عن تقولك على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وافترائك من الكذب ما لم يقل، وغرور من معك والخداع لهم، فقد استغويتهم، ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك، ويعلموا أن ما جئت به باطل مضمحل"(3).
- فكتب إليه الإمام(ع): "فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم، الحق أساطير الأولين، ونبذتموه وراء ظهوركم وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. ولعمري ليتمن النور على كرهك، ولينفذ العلم بصغارك، ولتجازين بعملك، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك، فكانك بباطلك وقد انقضى، بعملك وقد هوى، ثم تصير إلى لظى، لم يظلمك الله شيئا، وما ربك بظلام للعبيد!"(4).
- فكتب إليه معاوية: "فما أعظم الرين على قلبك، والغطاء على بصرك! الشره من شيمتك، والحسد من خليقتك، فشمّر للحرب، واصبر للضرب، فوالله ليرجعن الأمر إلى ما علمت، والعاقبة للمتقين. هيهات هيهات! أخطأك ما تمنى، وهوى قلبك مع من هوى، فاربع على ظلعك، وقس شبرك بفترك، لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه، ويفصل بين أهل الشك علمه"(5).
- فكتب إليه الإمام(ع): "فإن مساوئك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك، وأن يرعوي قلبك، يا بن الصخر اللعين! زعمت أن يزن الجبال حلمك، ويفصل بين أهل الشك علمك، وأنت الجلف المنافق، الأغلف القلب، القليل العقل الجبان الرذل، فإن كنت صادقا فيما تسطر، ويعينك عليه أخو بني سهم، فدع الناس جانبا، وتيسر لما دعوتني إليه من الحرب، والصبر على الضرب، واعف الفريقين من القتال، ليعلم أين المارين على قلبه، المغطى على بصره، فأنا أبو الحسن، قاتل جدك وأخيك وخالك، وما أنت منهم ببعيد"(6).

(2) م.ن:134/16.

(3) م.ن:134/16.

(4) م.ن:135/16.

(1) شرح نهج البلاغة:135/16، والنص القرآني في: الصف/من:8.

(2) شرح نهج البلاغة:135/16.

(3) م.ن:135/16 - 136.

ويكشف (ع) في كتاب له إلى عمرو بن العاص، مدى ابتعاده عن أن يكون جزءاً من البنية الإيديولوجية للإمام (ع) ومدى اقترابه من البنية الإيديولوجية لمعاوية، فيقول: "فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلود بمخالبه وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك وأخرتك ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت فإن يمكنني الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدمتما وإن تعجزا وتبقيا فما أمامكما شر لكما" (1).

وتتكشف البنية الإيديولوجية لمعاوية وأتباعه، أيضاً بوساطة تسليط الضوء على المراسلات مع ابن عباس، إذ لما اشتد الأمر وعظم البلاء على أهل الشام ويئس من جهة الأشعث، قال معاوية "لعمرو بن العاص إن رأس الناس بعد علي هو عبد الله بن العباس فلو كتبت إليه كتاباً لعلك ترققه ولعله لو قال شيئاً لم يخرج علي منه وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل الشام فقال عمرو إن ابن عباس لا يخدع ولو طمعت فيه لطمعت في علي قال معاوية: على ذلك فاكتب" (2)، فكتب عمرو بن العاص إليه: "فإن الذي نحن فيه وأنتم ليس بأول أمر قاده البلاء وأنت رأس هذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقي ودع ما مضى فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حياة ولا صبراً فاعلم أن الشام لا تهلك إلا بهلاك العراق وأن العراق لا تهلك إلا بهلاك الشام فما خيرنا بعد هلاك أعدائنا منكم وما خيركم بعد هلاك أعدائكم منا ولسنا نقول: ليت الحرب عادت ولكننا نقول ليتها لم تكن وإن فينا من يكره اللقاء كما إن فيكم من يكرهه وإنما هو أمير مطاع ومأمور مطيع أو مؤتمن مشاور وهو أنت فأما الأشر الغليظ الطبع القاسي القلب فليس بأهل أن يدعى في الشورى ولا في خواص أهل النجوى" (3).

وكتب عمرو بن العاص في أسفل الكتاب شعراً [من بحر البسيط] (4):
 طال البلاء وما يرجى له آسى بعد الإله سوى رفيق ابن عباس
 قولاً له قول من يرجو مودته لا لا تنس حظك إن الخاسر الناسي
 انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة للظهر ليس لها راق ولا آسى
 إن العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة مع المستغلق القاسي
 يا بن الذي زمزم سقيا الحبيج له أعظم بذلك من فخر على الناس
 إني أرى الخير في سلم الشام لكم والله يعلم ما بالسلم من باس
 فيها التقى وأمور ليس يجهلها إلا الجهول وما نوكى كأكياس
 "فلما وصل الكتاب إلى ابن عباس عرضه على أمير المؤمنين (عليه السلام) فضحك وقال قاتل الله ابن العاص ما أغراه بك يا عبد الله أجبته وليرد إليه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر" (5). فكتب ابن عباس إلى عمرو بن العاص: "فإني لا

(1) شرح نهج البلاغة: 160/16.

(2) م.ن: 63/8.

(3) م.ن: 63/8، وينظر: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، صدر الدين علي خان المدني (1120هـ): 110-111.

(4) شرح نهج البلاغة: 63/8.

(1) شرح نهج البلاغة: 64/8.

أعلم أحدا من العرب أقل حياء منك إنه مال بك معاوية إلى الهوى فبعته دينك بالثمن اليسير ثم خبطت الناس في عشوة طمعا في الدنيا فأعظمتها إعظام أهل الدنيا ثم تزعم أنك تتنزه عنها تنزه أهل الورع فإن كنت صادقا فارجع إلى بيتك ودع الطمع في مصر والركون إلى الدنيا الفانية واعلم أن هذه الحرب ما معاوية فيها كعلي بدأها علي بالحق وانتهى فيها إلى العذر وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السرف وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق عليا، وهو خير منهم، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ولست أنا وأنت فيها سواء، أردت الله وأردت مصر، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني ولا أعرف الشيء الذي قربك من معاوية، فإن ترد شرا لا نسبكك به وإن ترد خيرا لا تسبقنا إليه⁽¹⁾. ثم دعا عبدالله بن عباس "أخاه الفضل، فقال: يا بن أم أجب عمرا فقال الفضل [من بحر البسيط]⁽²⁾:

يا عمرو حسبك من مكر ووسواس فاذهب فليس لداء الجهل من آس
إلا تواتر طعن في نحوركم يشجي النفوس ويشفي نخوة الراس
أما علي فإن الله فضله بفضل ذي شرف عال على الناس
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة أو تبعثوها فإننا غير أنكاس
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة هذا بهذا، وما بالحق من باس
"ثم عرض الشعر والكتاب على علي (عليه السلام)، فقال لا أراه يجيبك بعدها أبدا بشيء إن كان يعقل وإن عاد عدت عليه"⁽³⁾.

وهنا يظهر أن ابن عباس والفضل يرتبطان عضويا بالبنية الإيديولوجية نفسها التي يمثلها الإمام (ع)، وقد شهد بذلك معاوية، إذ "لما انتهى الكتاب إلى عمرو بن العاص عرضه على معاوية فقال: إن قلب ابن عباس وقلب علي قلب واحد، وكلاهما ولد عبد المطلب وإن كان قد خشن فلقد لان، وإن كان قد تعظم أو عظم صاحبه فلقد قارب وجنح إلى السلم"⁽⁴⁾. ثم قال معاوية: "لأكتبين إلى ابن عباس كتابا أستعرض فيه عقله وأنظر ما في نفسه"⁽⁵⁾، وكتب إليه مستعملا التعريض بالخصوم والتلميح لقضايا سياسية خطيرة⁽⁶⁾ قائلا: "فإنكم معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار ابن عفان، حتى إنكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه واستعظامهما ما نيل منه فإن كان ذلك منافسة لبني أمية في السلطان، فقد وليها عدي وتيم فلم تنافسوه، وأظهرتم لهم الطاعة، وقد وقع من الأمر ما ترى وأكلت هذه الحروب بعضها بعضا، حتى استوينا فيها، فما يطمعكم فينا يطمعنا فيكم وما يؤيسنا منكم يؤيسكم منا، ولقد رجونا غير ما كان، وخشينا دون ما وقع، ولست ملاقينا اليوم بأحد من حد أمس، ولا غدا بأحد من حد اليوم، وقد قنعنا بما في أيدينا من ملك الشام فاقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق، وأبقوا على قريش، فإنما بقي من رجالها ستة: رجالان بالشام، ورجلان بالعراق، ورجلان بالحجاز، فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو،

(2) م.ن: 64/8، وينظر: الإمامة والسياسة: 1/132.

(3) شرح نهج البلاغة: 64-65.

(1) شرح نهج البلاغة: 65/8.

(2) م.ن: 65/8.

(3) م.ن: 65/8.

(4) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 163.

وأما اللذان بالعراق فأنت وعلي، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر، فاثنتان من الستة ناصبان لك واثنتان واقفان فيك وأنت رأس هذا الجمع ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا إليك أسرع منا إلى علي" (1).

فلما وصل كتاب معاوية "إلى ابن عباس أسخطه، وقال: حتى متى يخطب ابن هند إلى علي! وحتى متى أجمع على ما في نفسي!" (2). وكتب ابن عباس إليه ذاكرة حقائق ذكرها الإمام (ع) في كتبه لمعاوية: "فقد أثناني كتابك، وقرأته. فأما ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلى أنصار ابن عفان، وكراهننا لسلطان بني أمية، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استتصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه. وبينني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان، وهو الوليد بن عقبة" (3). ثم انتقل إلى قضية طلحة والزبير، وقضية الخلافة، فقال: "وأما طلحة والزبير فإنهما أجلبا عليه وضيقا خناقه، ثم خرجا ينقضان البيعة، ويطلبان الملك، فقاتلناهما على النكت، كما قاتلناك على البغي وأما قولك: إنه لم يبق من قريش غير ستة، فما أكثر رجالها، وأحسن بقيتها! وقد قاتلك من خيارها من قاتلك، ولم يخذلنا إلا من خذلك، وأما إغراؤك إيانا بعدي وتيم، فإن أبا بكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان خير منك وقد بقي لك منا ما ينسبك ما قبله وتخاف ما بعده، وأما قولك: لو بايع الناس لي لاستقاموا فقد بايع الناس عليا وهو خير مني فلم يستقيموا له. وما أنت والخلافة يا معاوية! وإنما أنت طليق وابن طليق! والخلافة للمهاجرين الأولين: وليس الطلقاء منها في شيء!" (4).

وروي أنه لما وصل كتاب ابن عباس "إلى معاوية قال: هذا عملي بنفسي، لا أكتب والله إليه كتابا سنة كاملة" (5).

ولم ينحصر هذا الموقف من ابن عباس في حرب صفين فحسب، بل امتد بعدها بكثير، إذ روي أنه لما "قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب، فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية، وذكر مشاهدته بصفين، واجتمعت قريش" (6)، أقبل ابن عباس على عمرو بن العاص، "فقال: يا عمرو، إنك بعث دينك من معاوية، وأعطيته ما بيدك، ومناك ما بيد غيره، فكان الذي أخذ منك أكثر مما أعطاك، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته، حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها، وكل راض بما أخذ وأعطى، فلما صارت مصر في يدك كدرها عليك بالعزل والتنقص" (7)، ثم انتقل إلى فكرة أخرى من أفكار عمرو فقال: "وذكرت مشاهدك بصفين، فوالله ما ثقلت علينا وطأتك، ولقد كشفت فيها عورتك، وإن كنت فيها لطويل اللسان، قصير السنان، آخر الخيل إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت، لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير وأخرى لا

(5) شرح نهج البلاغة: 65/8-66.

(1) شرح نهج البلاغة: 66/8.

(2) م.ن: 66/8.

(3) م.ن: 66/8.

(4) م.ن: 66/8.

(5) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي: 31/2.

(1) شرح نهج البلاغة: 31/2.

تقبضها عن شر، ووجهان وجه موحش، ووجه مؤيس؛ ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره، لحري أن يطول عليها ذمه"⁽¹⁾.

فأجابه عمرو بن العاص قائلاً: "والله ما في قریش أثقل علي مسألة، ولا أمر جواباً منك، ولو استطعت ألا أجيبك لفعلت"⁽²⁾.

ومن خطبة له (ع) في ذكر عمرو بن العاص: "عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعاية وأناي امرؤ تلعباة أعافس وأمارس لقد قال باطلاً ونطق أثماً أما وشر القول الكذب إنه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيبخل ويسأل فيلحف ويخون العهد ويقطع الإل فإذا كان عند الحرب فأني زاجر وأمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر [أكبر] مكيدته أن يمنح القرم سبته أما والله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة إنه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتية أتيه ويرضخ له على ترك الدين رضىخة"⁽³⁾.

خامساً = التحكيم والخوارج: قام الإمام (ع) "من صبيحة ليلة الهرير في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه قد بلغ بكم وبعدوكم الأمر إلى ما ترون، ولم يبق من القوم إلا آخر نفس، فتأهبوا رحمكم الله لمناجزة عدوكم غداً، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين"⁽⁴⁾.

وروي أن ذلك بلغ معاوية، فقال لعمرو بن العاص: "ما ترى، فإنما هو يومنا هذا وليلتنا هذه؟ فقال عمرو: إنني قد أعددت بحيلتي أمراً أخرته إلى هذا اليوم، فإن قبلوه اختلفوا، وإن ردوه تفرقوا، قال معاوية: وما هو؟ قال عمرو: تدعوهم إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم، فإنك بالغ به حاجتك. فعلم معاوية أن الأمر كما قال"⁽⁵⁾.

وفي المقابل قال الأشعث بن قيس "لقومه، وقد اجتمعوا إليه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المبيرة. وإنا والله إن التقينا غداً، إنه لبوار العرب وضيفة الحرمان"⁽⁶⁾.

وروي أن العيون انطلقت "إلى معاوية بكلام الأشعث، فقال: صدق الأشعث، لئن التقينا غداً ليميلن الروم على ذراري أهل الشام، وليميلن دهاقين فارس على ذراري أهل العراق، وما يبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام، اربطوا المصاحف على أطراف القنا"⁽⁷⁾.

ولذلك "ربطت المصاحف، فأول ما ربط مصحف دمشق الأعظم، ربط على خمسة أرماع، يحملها خمسة رجال، ثم ربط سائر المصاحف، جميع ما كان معهم، وأقبلوا في الغلس، ونظر أهل العراق إلى أهل الشام قد أقبلوا، وأمامهم شبیه بالرايات، فلم يدروا ما هو، حتى أضاء الصبح، فنظروا، فإذا هي المصاحف. ثم قام

(2) م.ن: 31/2.

(3) م.ن: 31/2.

(4) م.ن: 280/6.

(5) الأخبار الطوال: 188.

(1) الأخبار الطوال: 188.

(2) م.ن: 188.

(3) م.ن: 189.

الفضل بن أدهم أمام القلب، وشريح الجذامي أمام الميمنة، وورقاء ابن المعمر أمام الميسرة، فنادوا: يا معشر العرب، الله. الله في نسائكم وأولادكم من فارس والروم غدا، فقد فنيتم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم⁽¹⁾.

وهنا قال الإمام علي(ع): "ما الكتاب تريدون، ولكن المكر تحاولون"⁽²⁾. وروي أن أبا الأعور السلمي المتمثل لرؤية معاوية، أقبل "على برذون أشهب، وعلى رأسه مصحف، وهو ينادي: يا أهل العراق، هذا كتاب الله حكما فيما بيننا وبينكم"⁽³⁾. فلما سمع أهل العراق ذلك قام كردوس بن هانئ البكري متمثلا للرؤية التي يمثلها الإمام(ع)، "فقال: يا أهل العراق، لا يهدنكم ما ترون من رفع هذه المصاحف، فإنها مكيدة"⁽⁴⁾.

ثم بدأت البذرات النافية تعمل، فقد "تكلم سفيان بن ثور النكري، فقال: أيها الناس، إنا قد كنا بدأنا بدعاء أهل الشام إلى كتاب الله، فردوا علينا، فاستحللنا قتالهم، فإن رددناه عليهم حل لهم قتالنا، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله"⁽⁵⁾.

وعلى ذلك "قام خالد بن المعمر، فقال لعلي: يا أمير المؤمنين، ما البقاء إلا فيما دعا القوم إليه إن رأيت، وإن لم تره فأريك أفضل. ثم تكلم الحضيض بن المنذر، فقال: أيها الناس، إن لنا داعيا قد حمدنا ورده وصدده، وهو المأمون على ما فعل، فإن قال: لا، قلنا: لا، وإن قال: نعم، قلنا: نعم"⁽⁶⁾.

وهنا تكلم الإمام(ع) وقال: عباد الله، أنا أخرى من أجاب إلى كتاب الله، وكذلك أنتم، غير أن القوم ليس يريدون بذلك إلا المكر، وقد عضتهم الحرب، والله، لقد رفعوها وما رأيتهم العمل بها، وليس يسعني مع ذلك أن أدعى إلى كتاب الله فأبى، وكيف وإنما قاتلناهم ليدينوا بحكمه. فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا عليه لك أمس، غير أن الرأي ما رأيت من أجابة القوم إلى كتاب الله حكما. فأما عدي بن حاتم وعمرو بن الحمق فلم يهويا ذلك، ولم يشيروا على علي به"⁽⁷⁾.

وهنا بدأ التشديد على كبار أصحاب الإمام(ع) ولاسيما الأشتر، إذ "لما أجاب علي(رضي الله عنه)، قالوا له: فابعث إلى الأشتر ليمسك عن الحرب ويأتيك. وكان يقاتل في ناحية الميمنة، فقال علي ليزيد بن هانئ: انطلق إلى الأشتر، فمره أن يدع ما هو فيه، ويقبل، فأتاه، فأبلغه، فقال: ارجع إلى أمير المؤمنين، فقل له إن الحرب قد اشتجرت بيني وبين أهل الناحية، فليس يجوز أن انصرف. فانصرف يزيد إلى علي، فأخبره بذلك، وعلت الأصوات من ناحية الأشتر، وثار النقع، فقال القوم لعلي: والله ما نحسبك أمرته إلا بالقتال. فقال: كيف أمرته بذلك، ولم أساره سرا؟!"⁽⁸⁾. وعلى هذا "قال ليزيد: عد إلى الأشتر، فقل له. أقبل، فإن الفتنة قد وقعت. فأتاه، فأخبره

(4) م.ن: 189.

(5) م.ن: 189.

(1) الأخبار الطوال: 189.

(2) م.ن: 189.

(3) م.ن: 189.

(4) م.ن: 189.

(5) م.ن: 190.

(1) الأخبار الطوال: 190.

بذلك. فقال الأشر: أرفع هذا المصاحف؟ قال: نعم. قال: أما والله لقد ظننت بها حين رفعت، أنها ستوقع اختلافا وفرقة⁽¹⁾.

وروي أن الأشر أقبل "حتى انتهى إليهم، فقال: يا أهل الوهن الذل، أحيان علوتم القوم تتكلمون لرفع هذه المصاحف؟ أمهلوني فواقا، قالوا: لا ندخل معك في خطيئتك، قال: ويحكم، كيف بكم وقد قتل خياركم وبقي أراذلكم، فمتى كنتم محقين؟ أحيان كنتم تقتلون أم الآن حين أمسكنكم؟ فما حال قتلاككم الذين لا تتكلمون فضلهم، أفي الجنة أم في النار؟ قالوا: قاتلناهم في الله، وندع قتالهم في الله. فقال: يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن أن صلاتكم عبادة وشوق إلى الجنة، فنراكم قد فررتم إلى الدنيا، فقبحا لكم. فسبوه، وسبهم، وضربوا وجهه دابته بسياطهم، وضرب هو وجوه دوابهم بسوطه⁽²⁾.

وفي أثناء ذلك ظهرت فئة جديدة من خلال اشتغال بذراتها النافية، إذ "كان مسعر بن فدكي وابن الكواء وطبقته من القراء الذين صاروا بعد خوارج كانوا من أشد الناس في الإجابة إلى حكم المصحف"⁽³⁾.

وقام معاوية في أهل الشام، فقال: "أيها الناس، إن الحرب قد طالت بيننا وبين هؤلاء القوم، وإن كل واحد منا يظن أنه على الحق وصاحبه على الباطل، وإننا قد دعوناهم إلى كتاب الله والحكم به، فإن قبلوه، وإلا كنا قد أعذرنا إليهم"⁽⁴⁾.

وفي ذلك الوقت أحس معاوية بخطورة الموقف السياسي في أثناء حرب صفين، فاتخذ الرسائل "أداة مهمة للتمهيد لبعض الأحداث والمداورات السياسية الخطيرة، كحادثة التحكيم وغيرها من الأحكام المهمة"⁽⁵⁾، فكتب معاوية إلى الإمام علي(ع): "إن أول من يحاسب على هذا القتال أنا وأنت، وأنا أدعوك إلى حقن هذه الدماء وألفة الدين واطراح الضغائن، وأن يحكم بيني وبينك حكمان، أحدهما من قبلي والآخر من قبلك، ما يجدانه مكتوبا مبينا في القرآن يحكمان به، فأرض بحكم القرآن إن كنت من أهله"⁽⁶⁾.

فكتب إليه الإمام علي(ع): "دعوت إلى حكم القرآن، وإنني لأعلم أنك ليس حكمه تحاول، وقد أجبنا القرآن إلى حكمه لا إياك، ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا"⁽⁷⁾.

وكتب الإمام(ع) إلى عمرو بن العاص: "فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يصب صاحبها منها شيئا إلا انفتح له بذلك حرص يزيده فيها رغبة، ولن يستغني صاحبها بما نال منها عما لم ينله، ومن وراء ذلك فراق ما جمع، فلا تحبط عملك بمجاراة معاوية على باطله، وإن لم تنته لم تضر بذلك إلا نفسك"⁽⁸⁾، فأجابه عمرو: "فإن الذي

(2) م.ن: 190.

(3) م.ن: 190 - 191.

(4) م.ن: 191.

(5) م.ن: 191.

(1) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 115.

(2) الأخبار الطوال: 191.

(3) م.ن: 191.

(4) م.ن: 191.

فيه صلاحنا وألفة ما بيننا الإنابة إلى الحق، وقد جعلنا القرآن حكماً بيننا وبينك لنرضى بحكمه، ويعذرنا الناس عند المناجزة"⁽¹⁾.

فكتب إليه (ع): "فإن الذي أعجبك مما ناز عتك نفسك إليه من طلب الدنيا منقلب عنك، فلا تطمئن إليها، فإنها غرارة، ولو اعتبرت بما مضى انتفعت بما بقي"⁽²⁾، فكتب إليه عمرو: "فقد أنصف من جعل القرآن حكماً، فاصبر يا أبا الحسن، فإننا غير منيليك إلا ما أنالك القرآن"⁽³⁾.

وروي أنه لما دعا معاوية إلى التحكيم، كتب الإمام (ع) إليه: "فإن البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبدیان خلله عند من يعيبه وقد علمت أنك غير مدرك ما قضي فواته وقد رام أقوام أمرا بغير الحق فتألوا على الله فأكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله ولسنا إياك أجبنا ولكننا أجبنا القرآن في حكمه"⁽⁴⁾.

وروي أنه "لما أراد أهل الشام أن يجعلوا القرآن حكماً بصفين قال الإمام علي (رضي الله عنه): أنا القرآن الناطق"⁽⁵⁾.

وروي أنه "اجتمع قراء أهل العراق وقراء أهل الشام، فقعدوا بين الصفين، ومعهم المصحف يتدارسون، فاجتمعوا على أن يحكموا حكمين، وانصرفوا. فقال أهل الشام: قد رضينا بعمرو. وقال الأشعث ومن كان معه من قراء أهل العراق: قد رضينا نحن بأبي موسى"⁽⁶⁾. وهنا كشف الإمام (ع) عن موقفه الإيديولوجي من أبي موسى، واختار ابن عباس لهذه المهمة، إذ قال لهم: "لست أثق برأي أبي موسى، ولا بحزمه، ولكن أجعل ذلك لعبد الله بن عباس"⁽⁷⁾. وهنا ظهرت البذرة النافية في رؤية قراء أهل العراق؛ إذ "قالوا: والله ما نفرق بينك وبين ابن عباس، وكأنك تريد أن تكون أنت الحاكم، بل اجعله رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى أحد منكما بأدنى منه إلى الآخر"⁽⁸⁾، فحاججهم الإمام علي (ع) قائلاً: "فلم ترضون لأهل الشام بآبن العاص، وليس كذلك؟ قالوا: أولئك أعلم، إنما علينا أنفسنا"⁽⁹⁾. ولما وجدهم مصرين على رفض ابن عباس "قال: فإني أجعل ذلك إلى الأشتر. قال الأشعث: وهل سعر هذه الحرب إلا الأشتر، وهل نحن إلا في حكم الأشتر؟"⁽¹⁰⁾، وهنا دقق في ما يريده الأشعث بقوله في الأشتر، فقال (ع): "وما حكمه؟ قال: يضرب بعض وجوه

(5) م:ن:191.

(6) م:ن:192.

(7) م:ن:192.

(1) شرح نهج البلاغة: 12/17.

(2) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني: 214/1.

(3) الأخبار الطوال: 192.

(4) م:ن:192.

(5) م:ن:192.

(6) م:ن:192.

(7) م:ن:192.

بعض حتى يكون ما يريد الله. قال: فقد أبيتم إلا أن تجعلوا أبا موسى. قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أحببتكم⁽¹⁾.

وروي أنهم بعد ذلك "أرسلوا رسولا إلى أبي موسى، وقد كان اعتزل الحرب، وأقام بعرض من أعراض الشام، فدخل عليه مولى له، فقال: قد اصطاح الناس، قال: الحمد لله رب العالمين. قال: وقد جعلوك حكما. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فأقبل أبو موسى حتى دخل عسكر علي، فولوه الأمر، ورضوا به، فقبله⁽²⁾.

ولم يكن الإمام (ع) هو المعترض الوحيد على أبي موسى في هذه المهمة، فقد قال الأحنف بن قيس للإمام (ع): "إنك قد منيت بحجر الأرض، وداهية العرب، وقد عجمت أبا موسى، فوجدته قليل الشفرة، قريب العقر، وإنه لا يصلح لهذا الأمر إلا رجل يدنو من صاحبه حتى يكون في كفه، ويبعد منه حتى يكون مكان النجم، فإن شئت أن تجعلني حكما فافعل، وإلا فثانيا أو ثالثا، فإن قلت: إني لست من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فابعت رجلا من صحابته، واجعني وزيرا له ومشيرا. فقال علي: إن القوم قد أبوا أن يرضوا بغير أبي موسى، والله بالغ أمره⁽³⁾.

و"قال أيمن بن خريم الأسدي من أهل الشام، وكان معتزلا للقوم: لو كان للقوم رأي يهتدون به بعد القضاء رموكم بآبن عباس لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس. قالوا: وقد كان معاوية جعل لأيمن بن خريم ناحية من فلسطين على أن يبايعه، فأبى، وقال [من بحر الوافر]:

لست بقاتل رجلا يصلي على سلطان آخر من قریش

له سلطانه وعلي إثمي معاذ الله من سفه وطيش

أقتل مسلما في غير حق فليس بنافعي ما عشت عيشي⁽⁴⁾.

ولما صار اختيار أبي موسى أمرا واقعا، "وكان آخر من ودع أبا موسى، الأحنف بن قيس أخذ بيده، ثم قال له يا أبا موسى، اعرف خطب هذا الأمر واعلم أن له ما بعده، وأنت إن أضعت العراق فلا عراق اتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك وإذا لقيت غدا عمرا فلا تبدأه بالسلام فإنها وإن كانت سنة إلا أنه ليس من أهلها ولا تعطه يدك فإنها أمانة، وإياك أن يقعدك على صدر الفراش فإنها خدعة، ولا تلقه إلا وحده. واحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع تخبأ لك فيه الرجال والشهود⁽⁵⁾ ثم أراد الأحنف بن قيس "أن يثور ما في نفسه لعلي: فقال له، فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي، فليختر أهل العراق من قریش الشام من شاءوا، أو فليختر أهل الشام من قریش العراق من شاءوا. فقال أبو موسى: قد سمعت ما قلت ولم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن علي فرجع الأحنف إلى علي (ع) فقال له: أخرج أبو موسى والله زبدة سقائه في أول مخضه، لا أرانا إلا بعثنا رجلا لا ينكر خلعتك. فقال علي: الله غالب على أمره⁽⁶⁾.

(1) الأخبار الطوال: 192- 193.

(2) م.ن: 193.

(3) م.ن: 193.

(4) م.ن: 193.

(1) شرح نهج البلاغة: 249/2.

(2) م.ن: 249/2.

وحصل ما حصل في التحكيم، وقيل للإمام (ع): يا أمير المؤمنين إنه قد افتقرت منا فرقة، والافتراق المكاني في مثل هذا الموقف دليل افتراق في الرؤية، ثم "أقبلوا حتى انتهوا إلى دجلة، فعبروها من ناحية صريفيين حتى وافوا نهروان، فكتب إليهم علي (رضي الله عنه): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن الحصين ومن قبلهما، سلام عليكم، فإن الرجلين الخاطئين الحاكمين، اللذين ارتضيتكم حكيمين، قد خالفا كتاب الله، واتبعوا هواهما بغير هدى من الله، فلم يعملوا بالسنة، ولم ينفذا للقرآن حكما، فبرئ الله منهما ورسوله وصالحو المؤمنين، إذا بلغكم كتابنا هذا فأقبلوا إلينا، فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الذي كنا عليه"⁽¹⁾.

وهنا كشف أفراد الفئة الجديدة عن أنفسهم مدرجين آية من دون أن ينصوا على ذلك⁽²⁾، إذ كتبوا إليه لما وصل كتابه إليهم: "أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، ولكن غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك أنك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكيمين، واستأنفت التوبة والإيمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع إليك، وإن تكن الأخرى، فإننا نناذك على سواء، إن ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَائِلِينَ﴾"⁽³⁾.

وكشف الإمام (ع) عن موقفه بقوله الذي وصف فيه نفسه الشريفة (ع) مستعملا التناص مع القرآن الكريم، والذي كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة، وتنادوا أن لا حكم إلا لله: "أصابكم حاصب، ولا بقي منكم أثر، أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشهد على نفسي بالكفر لقد ﴿ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾"⁽⁴⁾.

وكشف الإمام (ع) عن سبب البلوى، بقوله: "أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة والمناذيين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضمن الزند بقدحه فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن [من بحر الطويل]:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد"⁽⁵⁾.

وخطب (ع) مخوفا أهل النهروان: "فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر وبأهضام هذا الغائط على غير بيئة من ربكم ولا سلطان مبين معكم قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم علي إباء المناذيين حتى صرفت رأيي إلى هواكم وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام ولم آت لا أبا لكم بجرا ولا أردت لكم ضرا"⁽⁶⁾.

(3) الإمامة والسياسة: 164/1، وينظر: تاريخ الطبري: 57/4، والأخبار الطوال: 206.

(1) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: 177.

(2) الأخبار الطوال: 206، وينظر: الإمامة والسياسة: 164/1، والنص القرآني في: يوسف/من 52.

(3) شرح نهج البلاغة: 129/4، والنص القرآني في: الأنعام/من 56.

(4) شرح نهج البلاغة: 204/2.

(5) م: 265/2. و(البحر): الداهية والأمر العظيم. ينظر: لسان العرب: مادة (ب ج ر).

وقال (ع) في الخوارج لما سمع قولهم: (لا حكم إلا لله): "كلمة حق يراد بها باطل نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله" (1). ومما يرتبط بكلامه (ع) قول "فروة بن نوفل الأشجعي- وكان من رؤساء الخوارج- لأصحابه: يا قوم، والله ما ندري علام نقاتل عليا، وليست لنا في قتله حجة ولا بيان، يا قوم، انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة في قتاله أو اتباعه. فترك أصحابه في مواقفهم، ومضى في خمسمائة رجل" (2). وروي أنه "لما رأى علي كتابهم أيس منهم، ورأى أن يدعهم، ويمضى بالناس إلى معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام علي خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن من ترك الجهاد وداهن في أمر الله كان على شفا هلكة، إلا أن يتداركه الله برحمته، فاتقوا الله عباد الله، قاتلوا من حاد الله، وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين، القاتلين لأولياء الله، المحرفين لدين الله، الذين ليسوا بقراء الكتاب ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في دين، ولا سابقة في الإسلام، ووالله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر. فسيروا وتأهبوا للقتال، وقد بعثت لإخوانكم من أهل البصرة، ليقدموا عليكم فإذا قدموا واجتمعتم شخصنا إن شاء الله" (3)، وبذلك ثبت صفة الفئة الأخرى المضادة لصفة فئته فئة المنتجبين وأتباعهم.

حاولنا فيما تقدم من صفحات أن نظهر الربط العضوي بين رسائل الإمام (ع) والظاهرة الاجتماعية وواقع المجتمع عموما، وأن نظهر أيضا الاهتمام بذلك الربط من حيث هو مطلب بنيوي تكويني. وتبين لنا من خلال البحث عن البنية الإيديولوجية ومقابلتها بالبنىات الاجتماعية، أن ذلك الربط لم يكن علاقة بسيطة بين مضمون تلك الرسائل والبنية الإيديولوجية للإمام (ع)، وأن تلك الرسائل كانت تبلورا لوعي فئة (المنتجبين وأتباعهم)، وأن هناك علاقة وثيقة بين تلك الرسائل وتلك الفئة التي تمثلت الرؤية المستقيمة التي أمر الله تعالى باتخاذها منهجا في القول والعمل، وأن هناك وحدة إيديولوجية قائمة في رسائل الإمام (ع) وفي نتاجه كله.

وظهر بشكل جلي أن هناك علاقة رابطة بين رسائل الإمام (ع) والسياق الاجتماعي الاقتصادي الذي سبق تكوينه، وأنها ليست مجرد توازن بسيط بين بنياتها وبين شروط إنتاجها، وأن سلوك الإمام (ع) سلسلة من الأجوبة أو الردود ذات الدلالة على مواقف واجهتها ذاته الشريفة وعاشها أفراد فئته الدينية بشكل جعلهم يصطدمون بالمشاكل نفسها، ويحلمون بالمطامح نفسها، وحاول أن يقيم نوعا من التوازن بينها وبين العالم المحيط بها.

وظهر أيضا أن التغير في الموقف من التحكيم ودعوة الأشرار لوقف القتال مثلا كان بسبب تغير الظروف المحيطة إلى حد قيام الفتنة، مما يستدعي إقامة توازنات جديدة بين ذاته الشريفة (ع) والموضوع الذي واجهته، وأن البنية المشتغل عليها

(1) شرح نهج البلاغة: 307/2.

(2) الأخبار الطوال: 210.

(3) الإمامة والسياسة: 164/1.

مرتبطة بالأعمال والتصرفات الإنسانية التي قام (ع) بها، من حيث إن لها طابعا دلاليا يشكل هدفا رئيسا للبنوية التكوينية.
وتأكد أن ظهور البنى الجديدة مثل بنية الخوارج مثلا مرتبط بالتحويلات التي تطرأ على البنى السابقة في الوجود.

- بعد القيام بهذه الدراسة البنيوية التكوينية لرسائل الإمام علي(ع)، توصلنا إلى نتائج متعددة؛ يمكن ذكر أهمها على وفق النقاط الآتية:
- إن الرؤية الكونية التي تمثلها الإمام علي(ع) هي الرؤية المستقيمة التي انبنى عليها الخطاب الديني منذ خلق الإنسان.
 - إن الفئة التي تمثلها رسائل الإمام علي(ع) هي فئة المنتجبين وأتباعهم. وهي فئة دينية وليست فئة أو طبقة اجتماعية.
 - إن أي نص أدبي يمثل وجهها وانبثاقا لرؤية ما، وإن كان بدرجات متفاوتة بصورة كبيرة. وإن رسائل الإمام علي(ع) مثلت وجهها واضح الدلالة على الرؤية التي تبنتها فئة المنتجبين وأتباعهم.
 - إن أية رؤية تمثل ربطا عضويا لتفصيلات متعددة في نص أدبي ما، وإن كان بدرجات متفاوتة بصورة كبيرة. وإن الرؤية التي تبنتها فئة المنتجبين وأتباعهم مثلت ربطا عضويا واضح الدلالة لتفصيلات كثيرة في رسائل الإمام علي(ع).
 - إن أية رؤية تبحث عن منافذ تمثلها وتكشفها، وإن كان بدرجات متفاوتة بصورة كبيرة، ومن بين تلك المنافذ النص الأدبي. وإن الرؤية التي تبنتها فئة المنتجبين وأتباعهم وجدت في رسائل الإمام علي(ع) منفذا واضح الدلالة عليها بصورة كبيرة جدا.
 - إن وعي الإمام علي(ع) برؤية المنتجبين وأتباعهم، مثل أقصى وعي ممكن لها، وقد تجلّى ذلك في رسائله.
 - إن أساس أي صراع بين طرفين في قضية الخلافة والإمارة، هو الجانب الإيديولوجي، وليس الجانب الشخصي المحض.
 - إن أية رؤية للعالم في رسائل الإمام علي(ع) لا يمكن الكشف عنها من خلال الدراسة الجزئية لها، بل من خلال الدراسة الشمولية لها.
 - إن الرؤى المتنوعة للعالم لا تضحل، وإنما تهمش أو تقصى. ولذلك حدث الصراع الإيديولوجي في حرب صفين مثلاً.
 - إن الإمام علي بن أبي طالب(ع) كاتب تجاوز فديته بشكل جعل منه قادرا على أن يكون بؤرة الفئة التي يمثلها في أثناء خلافته الرسمية، وأن يحدد المتغيرات أو البذور النافية التي يراها في أحد أفراد تلك الفئة.
 - إن لهيمنة رؤية العالم التي يمثلها النص الأدبي، والبنية الذهنية التي شكلت فكر كاتبه، أثرهما الفاعل ومساحتهما الواسعة في اكتساب النص سمة الديمومة في الجانب التداولي، وصفة الخلود في الجانب الفني. ورسائل الإمام علي(ع) دليل على ذلك.

✓ القرآن الكريم.

- ✓ التوراة والإنجيل، موقع Arabic bible.
- ✓ العهد القديم والجديد، مجمع الكنائس الشرقية.
- ✓ الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية.

المصادر والمراجع

(١)

- ✓ اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، نهاد التكرلي، دار الحرية، بغداد، العراق، ط1، 1979.
- ✓ الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع- دراسة في فلسفة العلم (الابستمولوجيا)، عبدالله إبراهيم، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.
- ✓ الإتحاف بحب الأشراف، عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي، تح: سامي الغريزي، ستارة، قم، ط1، 2002.
- ✓ الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي (ت560هـ)، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، العراق، 1966.
- ✓ الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تح: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1960.
- ✓ الاختصاص، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت413هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، 1982.
- ✓ اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، الشيخ الطوسي (ت460هـ)، تح: محمد باقر الحسيني ومير داماد ومهدي الرجائي، مطبعة بعثت، قم، 1404هـ.
- ✓ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت413هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط1، 1413هـ.
- ✓ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت463هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، قدم له وقرظه: د. محمد عبد المنعم البري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002.
- ✓ أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ)، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003.

- ✓ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)،
تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان، ط2، 2002.
- ✓ أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت329هـ)، ضبطه وصححه وعلق
عليه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف، بيروت، لبنان، 1990.
- ✓ الاعتقادات، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ
المفيد (ت413هـ)، تح: عصام عبد السيد، دار المفيد، ط2، 1414هـ.
- ✓ إعلام الوري بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
(ت548هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ستارة، قم،
ط1، 1417هـ.
- ✓ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ)، تح: سمير جابر، دار الفكر،
بيروت، لبنان، ط2، د.ت.
- ✓ الأمالي، الشيخ المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري
(ت413هـ)، تح: الحسين استاذ ولي علي أكبر غفاري، المطبعة الإسلامية،
قم، إيران، 1403هـ.
- ✓ أمالي الشيخ الطوسي، أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ)،
تقديم: محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط2، 1981.
- ✓ الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر، راجي أنور هيفا، دار العلوم،
بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- ✓ الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء)، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن
قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تح: علي شيري، مطبعة أمير، قم، إيران، ط1،
1413هـ.
- ✓ الإنسان والإسلام، د. علي شريعتي، ت: د. عباس الترجمان، مراجعة: حسين
علي شعيب، مؤسسة الآداب الشرقية، النجف الأشرف، العراق، ط1، 2006.
- ✓ افتتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،
وبيروت، ط1، 1989.
- ✓ أوائل المقالات، الشيخ المفيد (ت413هـ)، تح: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد،
بيروت، لبنان، ط2، 1993.

(ب)

- ✓ بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت1111هـ)، مؤسسة الوفاء،
بيروت، لبنان، ط2، 1983.
- ✓ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، تح: علي
شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408.
- ✓ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تح: لجنة، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

- ✓ بشارة المصطفى (ص) لشيعه المرتضى (ع)، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (ت525)، تح: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط1، 1420هـ.
- ✓ البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان ويون باسكاوي وجاك لينهارت وجاك دوبوا وجان دوفينو ور. هيندلس، راجع الترجمة: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
- ✓ البنيوية في الأدب، روبرت شولز، ت: حنا عبود، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1984.
- ✓ البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، ت: مجيد الماشطة، مراجعة: ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1986.
- ✓ البنيوية والنقد الأدبي، جورج مونان وجيرار جونيت وميكائيل رفاتير، ت: محمد لقاح، أفريقيا الشرق، 1991.
- (ت)
- ✓ تأصيل النص- المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان، محمد نديم خشفة، مركز الإنماء، حلب، سوريا، ط1، 1997.
- ✓ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط1، 1931.
- ✓ تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ)، مراجعة: نواف الجراح، دار الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- ✓ التاريخ الكبير، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (256هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- ✓ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت571هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، 1415هـ.
- ✓ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (ت284هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ✓ التحليل الاجتماعي للأدب، السيد يس، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، مصر، ط1، 1970.
- ✓ تحليل علمي للإيديولوجية الإسلامية، د. محمد بهشتي، تر: نبيل المسعودي، دار النبلاء، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- ✓ تطور المناهج الاجتماعية في النقد الأدبي، د. عبد الهادي أحمد الفرطوسي، الأديب العراقي، العراق، ع3، س2، 2006.
- ✓ التلقي والسياقات الثقافية- بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، د. عبدالله إبراهيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت.
- ✓ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979.

✓ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج جمال الدين بن يوسف بن عبد الرحمن المدني (ت742هـ)، تح: عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

✓ التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت381هـ)، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

(ث)

✓ الثابت والمتحول- بحث في الإبداع والإبداع عند العرب 1- الأصول، أدونيس، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1974.

✓ الثقافات، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت354هـ)، دار الفكر، ط2، 2003.

(ج)

✓ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، قدم له: الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ.

✓ الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيخ المفيد (ت413هـ)، تح: علي مير شريف، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ط1، 1413هـ.

✓ جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1988.

✓ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

✓ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مطبعة السعادة، مصر، ط18، 1957.

✓ جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب (ع)، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني (ت871هـ)، تح: محمد باقر المحمودي، مطبعة دانش، قم، ط1، 1415هـ.

(ح)

✓ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت430هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002.

(خ)

✓ الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت381هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

✓ الخطيئة والتكفير- من النبوية إلى التشريعية، د. عبدالله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985.

- ✓ خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار، حامد النقوي (ت1306هـ)، المطبعة: سيد الشهداء (عليه السلام)، قم، إيران، 1406هـ.
- ✓ خلفاء الرسول (ص)، خالد محمد خالد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

(د)

- ✓ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، صدر الدين علي خان المدني (ت1120هـ)، مكتبة بصيرتي، قم، إيران، ط2، 1397هـ.
- ✓ الدعوات، قطب الدين الراوندي (573هـ)، تح: مدرسة الإمام المهدي (عج)، أمير، قم، إيران، ط1، 1407هـ.
- ✓ دليل الناقد الأدبي، د.ميجان الرويلي ود.سعد البازعي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
- ✓ ديوان حسان بن ثابت، شرحه وضبط نصوصه وقدم له: د.عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت.
- ✓ ديوان السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة المعروف بالسيد الحميري، شرحه وضبطه وقدم له: ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة النور، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- ✓ ديوان الهذليين، السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1948.

(ر)

- ✓ الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، غانم جواد رضا، منشورات جامعة بغداد، العراق، 1976م.
- ✓ روضة الواعظين، محمد بن القتال النيسابوري، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

(س)

- ✓ سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ)، حققه وصححه: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، 1403هـ.
- ✓ سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت255هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق، د.ت.
- ✓ السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت303هـ)، تح: د.عبد الغفار سليمان البنداري وكسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991.
- ✓ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

- ✓ السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت774هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1396هـ.
- ✓ السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى المعروف بابن سيد الناس (ت734هـ)، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، 1986.

(ش)

- ✓ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت656هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- ✓ شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

(ص)

- ✓ صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- ✓ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.
- ✓ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي (ت877هـ)، صححه وحققه وعلق عليه: محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية، دم، ط1، 1384هـ.
- ✓ الصوت الآخر- الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1992.

(ظ)

- ✓ ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير، دم، ط2، 1985.

(ع)

- ✓ عصر البنيوية- من ليفي شتراوس إلى فوكو، أديت كيرزويل، ت: جابر عصفور، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، ط1، 1985.
- ✓ العقد الفريد، شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، تقديم: خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- ✓ علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت381هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، 1966.
- ✓ العلوم الإنسانية والفلسفة، لوسيان غولدمان، ت: ديوسف الأنطكي، مراجعة: د.محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، دم، ط1، 1996.
- ✓ علي بن أبي طالب (ع) رجل المعارضة والدولة، د.محسن باقر القزويني، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
- ✓ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي المعروف بابن عنبه (ت828هـ)، تح: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، ط2، 1961.

✓ عمدة عيون صحاح الأخبار، ابن بطريق شمس الدين بن الحسن الأسدي (ت600هـ)، تح: مالك المحمودي وإبراهيم البهادري، أفست، طهران، ط3، 1412هـ.

(غ)

✓ الغارات، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي (ت283هـ)، تح: جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن، د.ت.
✓ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني (ت1392هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1977.

(ف)

✓ الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت314هـ)، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
✓ في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان، د.جمال شحيد، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
✓ في معرفة النص- دراسات في النقد الأدبي، د. حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985.

(ك)

✓ الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت630هـ)، دار الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
✓ كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت230هـ)، تح: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
✓ كمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت381هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 2004.
✓ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي (ت975هـ)، تح: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1989.
✓ كنز الفوائد، أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت449هـ)، مكتبة المصطفوي، قم، إيران، ط2، 1410هـ.

(ل)

✓ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، د.ت.

(م)

- ✓ مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت581هـ)،
تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
- ✓ محمد مندور وتنظير النقد العربي، د. محمد برادة، دار الآداب، بيروت، لبنان،
ط1، 1979.
- ✓ مختصر أخبار شعراء الشيعة وأخبار السيد الحميري، أبو عبدالله محمد بن
عمران المرزباني الخراساني (ت385هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد
هادي الأميني، شركة المكتبي، بيروت، لبنان، ط2، 1993.
- ✓ المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي، محمد شبل الكومي، تقديم: محمد
عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2004.
- ✓ المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
- ✓ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
المسعودي (ت346هـ)، تح: أمير مهنا، دار الكتاب العربي ودار القارئ، بغداد
وبيروت، ط1، 2004.
- ✓ مسند أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، أحمد
بن حنبل (ت241هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ✓ مشكلات فلسفية (8) مشكلة البنية، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة،
مصر، د.ت.
- ✓ معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
المعروف بالصدوق (ت381هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن
الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، 1971.
- ✓ معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: مؤسسة النشر الإسلامي،
جامعة المدرسين، قم، إيران، ط1، 1412هـ.
- ✓ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي،
مؤسسة جمال للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- ✓ معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحق
(ت430هـ)، تح: محمد حسن إسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدني، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- ✓ مغامرة المنطق البنيوي- البنيوية كما هي، إبراهيم محمود، مركز الأبحاث
والدراسات الاشتراكية، دمشق، سوريا، ط1، 1991.
- ✓ مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ)، شرح وتحقيق: أحمد
صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1987.
- ✓ مقالات ضد البنيوية، جون هال ووليام بويلور ووليامز شوبان، ت: إبراهيم
خليل، دار الكرمل، عمان، الأردن، ط1، 1986.
- ✓ مقدمة في النظرية الأدبية، تيري إيغلتن، ت: إبراهيم جاسم العلي، مراجعة:
د. عاصم إسماعيل إلياس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1992.

- ✓ الملل والنحل، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني(ت548هـ)، تح: أمير علي مهنا وآخر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1992.
- ✓ المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي(ت568هـ)، تح: مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط2، 1411هـ.
- ✓ مناهل الضرب في أنساب العرب، جعفر الأعرجي النجفي(ت1332هـ)، تح: مهدي الرجائي، مطبعة حافظ، قم، إيران، ط1، 1419هـ.
- ✓ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(ت597هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ✓ منهج في الانتماء المذهبي، صائب عبد الحميد، مؤسسة قائم آل محمد (ص)، قم، د.ت.
- ✓ مواهب الوهاب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب(ع)، جعفر بن محمد النقدي(ت1369هـ)، تح: محمد هادي الأميني، شركة الكتبي، بيروت، لبنان، ط2، 1993.

(ن)

- ✓ النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، محمد بن عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي(ت1350هـ)، دار الثقافة، قم، إيران، ط1، 1412هـ.
- ✓ النص والاجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين(ت1377هـ)، تحقيق وتعليق: أبي مجتبى، المطبعة سيد الشهداء(ع)، قم، ط1، 1404هـ.
- ✓ نظرية البنائية في النقد الأدبي، د.صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
- ✓ نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، مؤسسة أنصاريان، قم، ط2، د.ت.
- ✓ نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلي، تعليق: عين الله الحسني الأرموي، دار الهجرة، قم، إيران، ط4، 1414هـ.
- ✓ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1396هـ.
- ✓ نوارد الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن- أبو عبدالله الحكيم الترمذي، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

(هـ)

- ✓ الهداية الكبرى، أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي(ت334هـ)، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط4، 1991.

(و)

- ✓ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ)، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
 - ✓ وقعة الجمل، ضامر بن شدقم بن علي المدني (ت بعد1082هـ)، تح: تحسين آل شبيب الموسوي، مطبعة محمد، دم، ط1، 1420هـ.
 - ✓ وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت212هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، دم، ط2، 1382هـ.
- (ي)

- ✓ ينابيع المودة لذوي القربى، الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت1294هـ)، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة، دم، ط1، 1416هـ.

شبكة المعلومات

- ✓ الاستقامة (مقال في شبكة المعلومات)، هبة رؤوف عزت.
- ✓ الاستقامة في حياة المسلم (محاضرة في شبكة المعلومات)، صالح الفوزان.
- ✓ الاستقامة في مائة حديث نبوي (كتاب في شبكة المعلومات)، د. محمد زكي محمد خضر، ط3، 1999.

Abstract

For the great importance which taken from the structural , formative mannar progress of the text, panorama , its' context, and for the big educative , sacred , historical, and sociable importance of Imam Ali (PBUH) letters, and by the directing from Assistant Professor Dr. Qaiss Hamza Al-Khaffajy, Who suggested this study (Imam Alis' (PBUH))Letters and Curriculum critical (structural and formative) to be the address of this studying . So I want to make this textual criticism process on this heritagical text which have a human sign by its' vision, principles, and aims, to understand the overall vision of Imam Alis' (PBUH) Letters, that direct his mind in all aspects, specially of relegion, literature, politic, sociality, history, and economy and to see the opposite vision that reach in its' opposite to the opposition level.

After the structural,formative work in the field of criticism, novel, and poetry, the studying have been divided into introduction, overture, three chapters, and epilog.

Overture concerned with (structural –growing and Gholdmans' crystallization). chapter one concerned with (direct vision – divine source and continoutiy),while chapter two and three delt with executive steps of structur a lmannar so understanding (interpretation)is found in chapter two and (explation) is found in chapter three . finally the epilog showed the conclusions that reached from this studying which can take some of it in this few lines:-

- The category which represented by of Imam Alis' (PBUH) letters is montajbeen category and their followers, it is a religion category and not social
- Any literature text presents a face of vision, even with asignificant difference , but Imam Alis'(PBUH) letters present a clear face for the vision of montajbeen and them followers category

- Any vision looks for ports present it and discover it , even with a significant difference, literature text is one from these ports. The vision which adopted by montajbeen category and their followers found Imam Alis' (PBUH) letters a clear means port of it .
- Imam Alis' (PBUH)conscious of montajbeen vision and their followers presented maximam possible concious for it and that was clear in his letters .
- The base of any conflict between two sides in the case of emarate and caliphate is ideologist aspect, not personal.
- Any vision of the world in Imam Alis' (PBUH) letters can't be discovered by partial studying , unless there is a full deep studying .
- The several visions of the world don't be vanished but be minor , therefore; the ideologist conflict happened in siffeen war, for example .
- Imam Ali (PBUH) is a writer passed on his singleness in a way that made him able to be the master of the category which adopted during his succession .
- The dominance of the world vision which represented by the literature text, and the structural mind which present the inspiration of its writer, have abig effect and wide area to make the text have continuity in critical side, and eternity in the artistic side,and Imam Alis' (PBUH) letters are proof of that .

Theorist

Imam Alis' (PBUH) Letters
Structural, formative studying

A thesis submitted by
Uhood Thuban Yuosif Al- Assady

To the council of the collage of Education –
Babylon University, as a partial fulfillment of the
degree for master in literature of Arabic language.

Supervised by
Assistant Professor Dr.
Qaiss Hamza Falih Al- Khaffajy

2008 a.d

1429 a.h